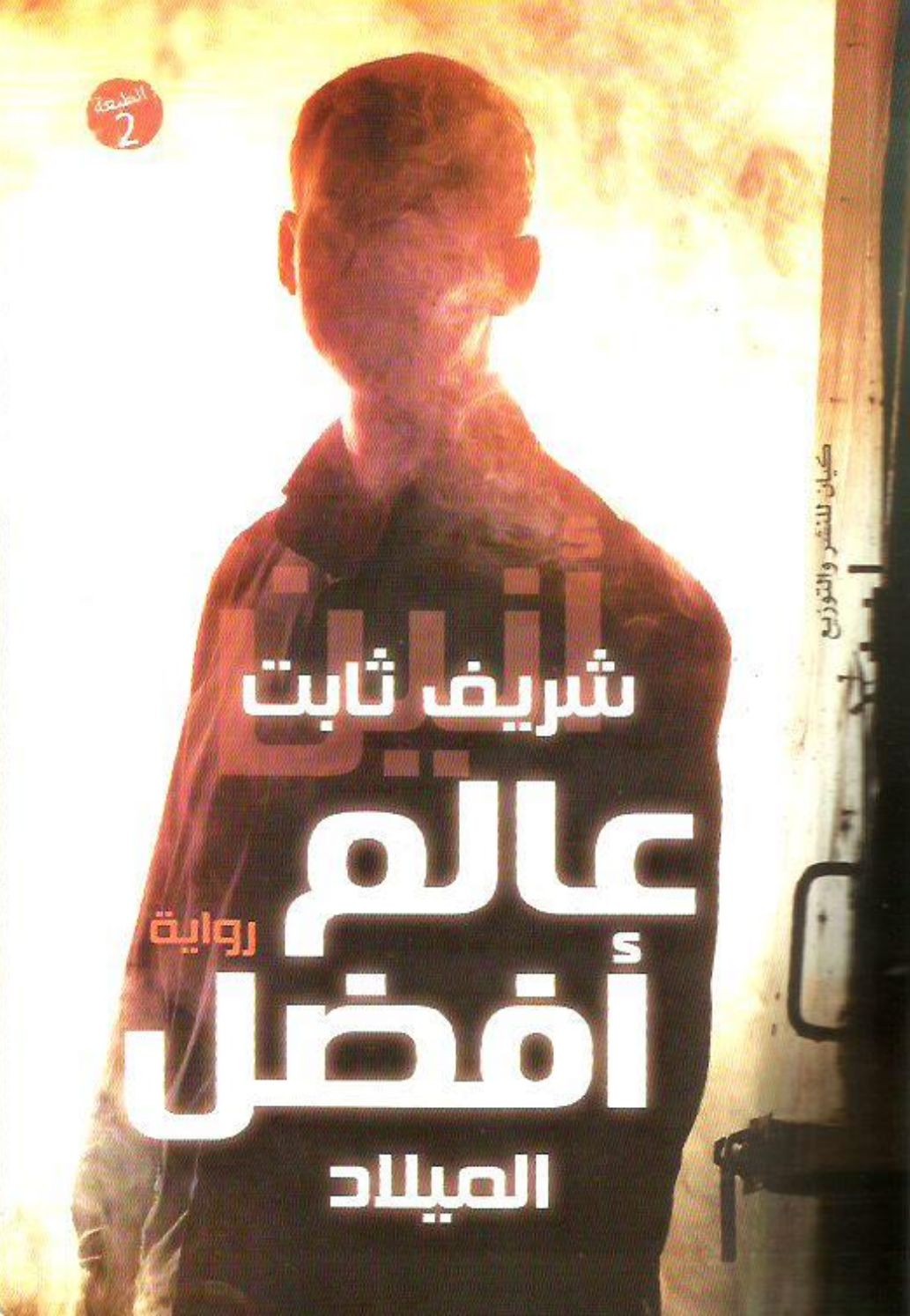
الطبعة 2
شريف ثابت
عالم أفضل
رواية
الميلاد
مكيان للنشر والتوزيع

رواية

أنين

عالم أفضل الميلاد

اسم الكتاب: أنين "الجزء الثانى" - عالم أفضل
تأليف: شريف ثابت
تصميم الغلاف أحمد مراد
رقم الإيداع:2014/19843
الترقيم الدولي: 978-977-6376-68-7

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

دار كيان للنشر والتوزيع - 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحى الجيزة - الهرم
محمول: 01005248794 - 01001872290 - أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

© جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشـر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

شريف ثابت

رواية

أنين

عالم أفضل
الميلاد

”حيـث يكـون حـق، لا يكـون سـلام.. وحيـث يثبـت السـلام، لا تجـد حقـاً“

بيلاطس البنطى

"العلم يقول إنّه ينبعث من كل منّا ما يُعرف بالسيال الحيوي.. وهو نوع من الطاقة الروحيّة تنبعث من أجسادنا طول الوقت، تؤثر بشكلٍ أو بآخر على المحيطين بنا"

"طاقة حقيقيّة ملموسة وإن كانت رؤيتها غير ممكنة بالطبع إلا في مجال للأشعة تحت الحمراء.. وما دام الأمر كذلك، فهو كغيره من أنواع وأصناف الطاقة، يمكن استخلاصه واستغلاله وِفقًا لقوانين فيزيائيّة معيّنة"

"سأحدثك عن النتيجة النهائية التي توصلوا إليها، وهي أنّ هذه الطاقة يمكن استخلاصها بسهولة من الأجساد المحتضرة.. استخلاصها وتخزينها في أنابيب مجهزة مخصوصة لهذا الغرض"

"حيوانات التجارب التي ماتت غرقًا أو حرقًا أو سلخًا أو صعقًا بالكهرباء أو... أو... بلا بلا بلا... سجلت معدلات انبعاث للطاقة الحيويّة أعلى بمراحل من الحيوانات التي ماتت بعد حقنها بالأنسولين أو منشطات القلب.. لا أقل من أضعاف أضعافها.. وكلما زادت فترة الاحتضار، زادت كميّة الطاقة التي نحصل عليها"

"لا أحب أن أدخل في جدل أخلاقي حول مدى بشاعة قتل إنسان للحصول على سياله الحيوي.. لست واعظًا ولا رجل دين.. ولكن بصدق أقول إنّ العيّنات البشريّة التي قامت مجموعة البحث بتعذيبها لانتزاع طاقتها الحيويّة كانوا موتى من الأساس.. عناصر بائسة في المجتمع لا فائدة منها، ومضارها عديدة، والأمل معدوم في أن ترتقي وتلعب دورًا في بناء أي مجتمع.. أي أنّهم عمليًّا لا يزيدون في شيء عن حيوانات التجارب التي تُجرى عليها البحوث"

"بدأت مجموعة البحث في هاليبرتون في استخراج طاقة السيال الحيوي من حيوانات تجارب بشريّة.. فماذا كانت النتيجة؟

مدهشة بكل المقاييس.. الطاقة الحيويّة المستخرجة من الأجساد البشريّة المحتضرة أبدت قابلية فائقة للتأيّن الكهربي، وهو ما يعني أنّ هذه الطاقة قابلة للتحول بسهولة إلى طاقة كهربيّة"

"كانت هذه الاكتشافات هي ثمرة ست سنوات متواصلة من البحث والتجارب في المختبرات المغلقة.. وإذا كانت المرحلتان الأوليان (استخلاص السيال الحيوي وتخزين طاقته) والثانية (تأيين هذه الطاقة وتحويلها إلى طاقة كهربائية) قد استغرقت هذه السنوات الست، فإن المرحلة الثالثة وهي تسويق هذا الاكتشاف وتحويله إلى مشروع استثماري لم تستغرق أكثر من عام"

"لم يكن صعبًا على مجموعة رجال الأعمال المالكين لأسهم هاليبرتون تأسيس مؤسسة عملاقة هي نيو ميدل إيست ـ إنرجي.. النشاط المعلن

هـو إنشـاء مشروعـات لإنتـاج وتصديـر الطاقـة المتجـددة في منطقـة الـشرق الأوسـط، بينـما النشـاط الحقيقـي (والـسري كذلـك بالطبـع) هـو اسـتخلاص الطاقـة الحيويّـة مـن الأجسـاد المحتـضرة وتحويلهـا إلى طاقـة كهربيّـة"

"كان قـرار مجموعـة رجـال الأعـمال أصحـاب المـشروع -وهـو قرار مسـتند إلى دراسـاتٍ اقتصاديّـة وسياسـيّة دقيقـة- أن نبـدأ بمـصر.. تقدمنـا بطلـب إلى الحكومـة المصريـة بإنشـاء شركـة متخصصـة في اسـتخلاص وإنتـاج الطاقـة المتجـددة تحـت إسـم (إيجـي ـ نيرجـي)"

"لا أرى أي داعٍ للخـوف مـن رفـض الحكومـة المصريّـة للمـشروع.. المقابـل الـذي سـيحصلون عليـه ليـس بالقليـل عـلى الإطـلاق"

"لم يسـتغرق الأمـر كثـيرًا مـن الوقـت بفضـل الرشـاوى الهائلـة التـي دفعناهـا.. قمنـا بـشراء آلاف الأمتـار المربعـة في مناطـق متفرّقـة، وتـم إنشـاء مـزارع للطاقـة تسـع آلاف البطّاريّـات البشريّـة، وعـددًا مـن المحـوّلات والخلايـا.. بالإضافـة إلى ديكـور تمويهـي بـارع يشـبه إلى حـدٍ كبـير ماكينـات وأجهـزة محطـات الطاقـة المتجـددة الحقيقيّـة"

ثـم كانـت الخطـوة التاليـة هـي إتمـام الاتفـاق الـسري الـذي أُبـرم مـع واحـدة مـن الشـخصيّات الهامـة جـدًا في البلـد.. لـن أذكـر أسـماء ولا أماكـن ولا تواريـخ.. ولكـن يكفـي أن تعـرف أنّـه بمقتـضى هـذا الاتفـاق تقـوم أجهـزة مـا في الدولـة بإمدادنـا بحاجتنـا مـن البطّـاريّات البشريّـة بصـورة دوريّـة منتظمـة".

"لم تكد تمضِ بضعة أشهر حتى وصلت بالفعل أول شحنة من البطاريّات البشريّة إلى المزرعة (أفضّل اسم: المحطة) الرئيسيّة.. كانوا مجموعة من الفلاحين قاموا بقطع الطريق الدولي وحرق بعض الممتلكات كنوع من الاعتراض على تجاهل الحكومة المصريّة لمشكلاتهم مع مياه الشرب فيما أذكر"

"في البدء نقلناهم إلى المحطة الرئيسيّة حيث قدمنا لهم رعاية طبيّة وغذائية فائقة لم يحظوا بمثلها من قبل، (تشهد على ذلك أجسادهم النحيفة ووجوههم السمراء الممصوصة).. كان هذا نوعًا من التسمين الذي يقوم به الجزّار للمواشي قبل ذبحها، واستمر الأمر كذلك لما يقرب من الشهر، حتى وصلت معدلاتهم الصحية والحيويّة إلى المستوى المقبول، وعندها بدأت الماكينات تعمل، وامتلأت البطّاريات بسيال حيوي متدفق"

"لاحظ فريق العمل بمعامل هاليبرتون أن الدكتور ويليام أوبرايان أُصيب بحالة من التوتر والأرق المستمر، وشكا عدة مرّات من هواجس غريبة وأصوات مريبة يسمعها أحيانًا.. طبعًا اعتبر زملاؤه هذه الأعراض نتائج طبيعيّة للعمل الشاق المتواصل في المختبرات المغلقة لفتراتٍ طويلة، ومنحه البروفيسور جولدمان إجازة ليريح أعصابه، غير أن الدكتور أوبرايان عاد من إجازته أسوأ حالاً مما كان.. ازداد عصبيّة وتوترًا.. لم يعد ينام تقريبًا.. وبدأ يهلوس بشأن العيّنات البشريّة التي نُجري عليها التجارب.. ثم بدأت تصيبه نوبات من الهياج العنيف

اندفع خلال إحداها محاولاً تحطيم الكمبيوتر المتصل ببوتقة التجارب، والذي يحمل برنامج المؤثرات المؤلمة التي تتعرّض لها العينة لانتزاع سيالها الحيوي، وكاد بالفعل يحطمه لولا تكالب رجال الأمن عليه.

وخلال الأيام التالية تم إجراء سلسلة كاملة من الفحوص على الدكتور أوبرايان.. فحوص فسيولوجيّة وسيكولوجيّة عالية الدقة"

"الخطأ ها هنا كان في عدم تأيّن السيال الحيوي بالكامل.. ثمة جزء ما ظل مستعصيًا على التحول إلى كهرباء.. جزء روحيّ غير منظور إلا في مجال للأشعة تحت الحمراء.. جزء يظل مرتبطًا بالتيار الكهربي حتى لحظة تحوله إلى طاقة حركيّة أو حراريّة أو صوتيّة، حسب الجهاز الذي يُستخدم التيار الكهربي في تشغيله.. في هذه اللحظة يتحرر الجزء النفسي من التيار الكهربي.. ينفصل عنه.. يخترق الأسلاك والموصلات.. يسبح في الهواء ليختلط بأقرب سيال حيوي له"

"تحررت بقايا الطاقة النفسيّة من ارتباطها بالتيار الكهربي -السيال الحيوي سابقًا- لتغادر الموصلات وجهاز التكييف كله، وتسبح ببطء في فضاء المكان/ الفيلا.

يحتاج الأمر إلى جهاز لعمل مجال للأشعة تحت الحمراء، لرؤية الجزيئات النفسيّة وهي تتسرّب عبر فتحات جهاز التكييف، لتحتشد في صورة أشبه بالسحابة، ثم تسبح بثقة ورويّة في الفراغ.. تطوف المكان كلّه.. تحتك بالحوائط.. بالسقف.. تزحف على الأرضيّة الباركيه.. ثم ترتفع بسلاسة ملامسة لملاءة الفراش الذي يتوسط الغرفة.. تطوف ببطء حول الجسد الراقد عليه (على الفراش) قبل أن تنحدر نحوه

بنعومة.. ثم تغوص خلال جزيئات السيال الحيوي الخاص به"

"بالنسبة إلى الدكتور أوبرايان، توصل العلماء إلى أنّ التلاحم الذي تم بين سياله الحيوي، والطاقة النفسيّة المنفصلة عن التيار الكهربي (والتي هي في الأصل جزء من السيال الحيوي الذي تم انتزاعه من إحدى عينات الاختبار البشريّة).. هذا التلاحم هو السبب في حالة الهياج التي أصابته والرؤى التي يراها.. تلك الرؤى التي هي عبارة عن ذكريات مطبوعة على الطاقة النفسيّة التي غزت كيانه"

كمال فودة

بحلم يا صاحبى يكون لنا..

حجيجة صافية ف عمرنا..

بحلم بعالم فيه جُلُوب..

بريئة دافية تِضُمِنا..

الكلمات تنبعث من السمّاعات المتصلة بالـDVD player.. وتكاد موجاتها الصوتيّة تتداخل مع سحب الدخان السابحة في فراغ الغرفة.

العينان شاردتان تحدقان في اللا شيء.. وكأنهما تخترقان ظلام الغرفة إلى خارجها، حيث يتألّق القمر الفضي كامل الاستدارة غامرًا صفحة البحر بضوئه البارد المنعش.

الشفتان تطبقان بقوة على سيجارة ملفوفة بإتقان.. تسحبان نفسًا طويلاً.. يتوهج طرف السيجارة في ظلام المكان.. لحظة من السكون.. ثم تنبعث سحب الدخان ببطء من فتحتي الأنف.

الجسد مسترخٍ على الفراش.. عارٍ من أي ملابس.. ساكن تمامًا وكأنّه جزء من الفراش.. اللهم إلا من حركة ميكانيكيّة ترفع الجوان إلى الفم ثم تخفضها.

حركة خافتة ندت من الجسد الراقد بجواره.. الجسد الأنثوي الضئيل المتكور على نفسه وقد شدت صاحبته الملاءة البيضاء حول نفسها بأصابع مطليةُ أظافرها الطويلة باللون الأسود، وانتفشت خصلات

شـعرها القصـيرة حـول رأسـها.

انتبه.. التفت يرمقها وقد أولته ظهرها.

- صاحية؟

لم تـرد.. ظلّـت تحـدق بعينـين متحجرتـين محاطتـين بالهـالات السـوداء في نقطـة واحـدة مـن الفـراغ، وعـاد هـو بـدوره إلى شروده والأنفـاس التـي يسـحبها مـن سـيجارته الملفوفـة.

عالم جدييييد..

يمكن بعيييييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

أزاحـت المـلاءة البيضـاء مـن حـول جسـدها، نهضـت ببـطء.. قدماهـا الدقيقتـان ذاتـا الوشـم والمانيكـير الأسـود تسـتقران عـلى باركيـه الأرضيّـة وسـط علـب البـيرة الفارغـة، وأعقـاب السـجائر المتناثـرة.

حدّق في الخطوط المتداخلة الموشومة على ظهرها العاري.. تساءل:

على فين؟

لا تـرد عليـه.. تسـير عاريـة، حافيـة القدمـين، بخطـوات مترنحـة نحـو الردهـة المؤديـة للحـمام.

ثوانٍ، ثم يسمع صوت المياه تنهمر لتملأ البانيو.

بَحلَم أشوف الكون عمار..

فـ دُنيا ما تعرف دماااار..

بَحلم بعالم ليل نهار..

يطرح محبة فـ أرضناااا..

نظـر بعينـين خاويتـين إلى سـيلويت جسـدها الواضـح مـن خلـف بـاب المسـبح الزجاجـي إذ تنسـل إلى داخـل البانيـو.

طرف السيجارة يتوهج.

يدير عينيه.. ينهض.. يفتح النافذة الزجاجية العريضة.

الهـواء البـارد يندفـع ليجتـاح الغرفـة.. السـتائر الحريريّـة الرقيقـة تتطايـر بقـوّة.

عالم جدييييد..

يمكن بعيييييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

يتنفس بعمق.. يملأ صدره بالهواء النقي.. يسعل.. يسعل.

السماء صافية تمامًا.. حقًا يبدو القمر مزهوًّا ببهائه وسط النجوم في مثل هذه الليلة الرائعة.

صفحة البحر الزرقاء اللامعة تمتد أمامه إلى ما لا نهاية.. أصوات الأمواج تداعب أذنيه برقة.

يرنو إلى أسفل.. إلى قمم الأشجار الواقعة أسفل الجرف.. حتى في ليلة مقمرة مثل هذه لا يستطيع بفعل الارتفاع الشاهق تمييز قمم الأشجار من كتل الصخور المشرفة على ساحل البحر.

لدقائق ظل يرقب هذا المشهد الساحر.

*****

بحلم وبهرب بالخيال..

للحب والخير والجمااال..

بحلم بعالم مش مُحَال..

يبجى حَجيجة فـ يدنااا..

انتبه إلى تأخرها.. أدار عينيه إلى الردهة المؤدية إلى الحمام.

- حياة!

لا رد.

ما تنجزي يا بيبي، أنا جُعت!

لا رد.

- يا حياة!

أطفأ سيجارته في مطفأة سجائر بلورية موضوعة على منضدة صغيرة، وتقدم نحو الردهة. يدفع الباب نصف المفتوح.

- نمتي ولا إيه؟!

وفي اللحظة التالية، انتفض قلبه في صدره وسرت رعدة قوية في بدنه كله.

*****

عالمٌ جديييد..

يمكن بعيييييد..

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

*****

جسـدها الضئيـل مسـتقر وسـط ميـاه البانيـو، العينـان مغمضتـان، خصـلات الشـعر المبتلـة ملتصقـة بجبهتهـا.. الـذراع مـدلاة خارجًـا والدمـاء تنـز مـن جـرح قطعـي في المعصـم صانعـة بركـة حمـراء تتسـع تدريجيًـا عـلى سـيراميك الأرضيـة أبيـض اللـون.

*****

لكن أكيد..

هَيكون لنا..

*****

الجزء الأول

الميلاد

-١-

لقطة تليفزيونيّة لكوكب الأرض الأزرق اللامع يسبح في الفضاء وسط النجوم المتألقة.

موسيقى ناعمة.

(صوت أنثوي هامس):

«الأرض».

فوتومونتاج ناعم للقطات غابات خضراء، جبال شاهقة، سهول ممتدة، وديان سحيقة، صحارى، محيطات، أسراب من الغزلان تركض وسط الحشائش.

"عالمنا".

فوتومونتاج سريع لمشاهد بالأبيض والأسود ثم بالألوان للأهرامات، أسلاك الهاتف، أول قطار بخاري، سيارة كارل بنز، الحربين العالميتين، ثم صاروخ يغادر قاعدته متجهًا إلى الفضاء.

"ماضينا".

فوتومونتاج سريع لشوارع مدن عصرية حديثة مليء بحركة المارة

والمركبات، واشنطن، طوكيو، باريس، بكين، القاهرة، دبيّ، تل أبيب.

" حاضرنا."

فوتومونتاج للقطات لمصانع عملاقة، وغيطان خضراء شاسعة، ثم سلوموشن لأطفال جميلي ودقيقي الملامح، جنسيات وألوان مختلفة، يركضون ضاحكين ببهجة وحيوية وسط حديقة جميلة المنظر، وتحت سماء زرقاء صافية.

" مستقبلنا"

فوتومونتاج سريع للقطات نار مشتعلة في أغصان جافة، طواحين هواء تدور مراوحها العملاقة، نافورات من النفط تتفجر من رمال الصحراء، أنابيب غاز ممتدة لمرمى البصر، ثم انفجار نووي.

" الطاقة"

فوتومونتاج للقطات رياح عاصفة تنحني لها رؤوس الأشجار، قرص الشمس، وردة زاهية الألوان تتفتح على استحياء.

" الأمل"

مساحات شاسعة من آلاف من الصفائح والخلايا الضوئية المنتصبة بزاوية لأعلى، وتنعكس عليها أشعة الشمس.

" الحلم"

لقطة وان شوت، تتحرك الكاميرا برشاقة داخل منزل عصري حديث، ألات التنظيف الآلية، التليفزيون ثلاثي الأبعاد، مصابيح الإنارة المسطحة، ثم تستقر الكاميرا أسرة مكونة من أب وأم وطفلين رائعي الملامح، في قلب المنزل، يواجهون الكاميرا بابتسامات مشرقة.

" الإنسان".

(EGY-NERGY عريضة متلألئة تملأ الكادر).

" هدفنا".

(إظلام تدريجي).

" عالم أفضل"

*****

-٢-

الخرابة مظلمة، مخيفة، كئيبة في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

تمشي البنت الشابة بخطوات تحاول أن تكون ثابتة.. هي تسكن في عزبة قريبة، تفصلها عن السكة الزراعية هذه الساحة الواسعة المظلمة، الزاخرة بجبال القمامة والمخلفات التي تفوح منها رائحة روث بشعة ألفها أنف الفتاة بالتأكيد، على عكس قلبها الذي لم يزل يخشى هذا المشوار اليومي الذي تقطعه كل ليلة لدى عودتها من المستوصف الذي تعمل به في المركز القريب.

ليس مبعث خوفها هو الظلام، ولا التلال عطنة الرائحة ذات اليمين وذات الشمال، بالطبع ثمة خوف فطري من نباح كلب قريب، أو من الحركة السريعة التي تنبعث من آن لآخر لواحدة من العِرَس أو الجرابيع التي تكتظ بها الخرابة بطبيعة الحال، ولكن كل هذه المخاوف -في النهاية- اعتيادية، تذوب بمرور الأيام وتكرار الخبرة وبالذات في حالة بنت ريفيّة تربت وسط الغيطان.

مبعث خوفها الحقيقي هو الضحكات الماجنة القادمة من ركن الخرابة، ضحكات المتحلقين حول النار.

كم عددهم؟ لا تعرف.. يبدون كثيرين من بعيد.. عشرات، مئات، آلاف.. زبالة من نوع آخر تفرزه يوميًا العِزَب القريبة المتناثرة حول المركز.. عيال صيّع بلا شغلة ولا مشغلة، شمامين كُلّة ووش إجرام وخريجو السجون والأحداث.. لا بيت ولا أهل لأي منهم، لذا فهم يتخذون من هذه الخرابة مترامية الأطراف بيتًا ووكرًا.

القصص التي سمعتها عنهم وعن إجرامهم مرعبة، وهذا يفسر أنفاسها التي تحبسها في صدرها، والخوف الذي طبع بصمته على صفحة وجهها، وخطواتها التي تجاهد مع كل صوت وضحكة ماجنة تعلو من بعيد، من خلف تلال القمامة.. تجاهد لكبح جماحها كي لا تتسع وتتحول إلى ركض مصحوب بصراخ هيستيري.. تجد السير في مسار مدروس استطاعت رسمه وتجويده شهرًا بعد شهر من المسيرة اليوميّة الليلية، لتتجنّب الالتقاء بأي من هذه المسوخ.

مشت في خط مستقيم بين صفين من التلال، مائة متر ثم انحرفت يمينًا مع انحراف صفي القمامة.. خمسون مترًا أخرى، ثم خفضت رأسها لتعبر كوّة في الصف الأيسر أدّت بها إلى ممر آخر أضيق عرضًا، عبرته في أقل من دقيقة شاعرة بتوترها يتصاعد مع عبورها المنطقة الأكثر اقترابًا من تجمع المتشردين، والتقاط أذنيها أصوات ضحكاتهم وشتائمهم بوضوح.. بلغت ماسورة صرف قديمة في نهاية الممر، فكوّرت جسدها الضئيل وحشرته داخل فتحتها، وراحت تزحف بخفة تناسب ضآلتها وسط الجسد الأسطواني المكسوة جدرانه بالصدأ والفطر خانق الرائحة، الأمر الذي لم تكُ تملك ترف الشكوى منه.

وصلت للطرف الآخر من الماسورة، تأهبت لتدفع جسدها دفعة أخيرة تلقي بها خارج هذا الجحيم الخانق، عندما وقعت عيناها على ما جعل قلبها يرتج في صدرها رعبًا.

في البدء ضربت رائحة الصنان النفاذة أنفها.. ثم في اللحظة التالية لمحت الكعبين المشققين المتباعدين، يتساقط من بينهما خيط رفيع من بول أصفر داكن اللون.. تجمدت في موضعها وكتمت بأصابعها شهقة تلقائية كادت تفلت من بين شفتيها، وبصرها يزحف لأعلى على سمانتين سمراوين متكورتي العضلات، ثم أطراف السروال القماشي المهترئ حائل اللون.. صاحب السروال والسمانتين وخيط البول يغني أغنية ما بصوت أجش مخمور.. ينتهي من بولته ثم يبتعد تاركًا وراءه بركة امتزجت سريعًا بالتراب صانعة طينة ذات رائحة لا تُطاق.

انتظرت لدقائق أرهفت خلالها سمعها حتى اطمأنّت لابتعاد صوت الخطوات، وامتزاجها بالضجة القادمة من بعيد، مالت برأسها بحذر لتطل بزاوية على المشهد خارج فتحة الماسورة، ثم دفعت نفسها لتغادر وخطت محاذرة الخوض في التراب الممزوج بالبول، لتدوس في خطوتها على حفنة من الأغصان الجافة فتكسرها صانعة صوتًا خافتًا.

الصوت كان خافتًا بالفعل، ولكنّه فيما يبدو كان كفيلاً لطرق مسامع المخمور صاحب البوّلة الذي لم تنتبه لاستلقائه على ظهره عن قرب.. فقط انتبهت عندما صك أذنيها صوته الأجش المشروخ المنبعث من الظلام القريب يردد "مين إنتي؟!"

إنتصبت جذور شعر رأسها من فرط الرعب وهي تلتفت بحركة حادة إلى مصدر الصوت لتحدق في العينين المتسعتين اللتين غزت صفارهما أوردة حمراء كثيفة، والشعر المفلفل، والوجه الأسمر المتسلخ.. لحظة واحدة استشعرت خلالها حقيقة أن الكابوس قد تحقق، ثم أطلقت ساقيها للريح.

قدماها الدقيقتان تمسان الأرض الغارقة في الأوحال والزبالة وروث الماشية مسًا.. تركض وتركض وهي تكتم الصرخة في حلقها، والدموع تتدافع في عينيها.. تثب لتجتاز كومة من الفضلات.. تطأ جثة جرذ منتفخة.. تضغط على أسنانها.. لا تلتفت خلفها، ولكنّها تشعر بأقدام تعدو في إثرها.. أقدام ثقيلة جشعة.. تركض وتركض.. تتركز كل طاقتها وإرادتها في ساقيها.. تختفي أصوات الكون من حولها، اللهم إلا صوت دقات قلبها.

تركض.. تركض..

تنحني..

تثب..

تناور واحدة من أكوام الفضلات..

تركض وتركض..

تلوح لها فرجة من بين أكوام القمامة.. فرجة تعرف جيدًا أنها تؤدي إلى الطريق الترابي الذي تقع عزبتها في نهايته.. الأمل يغزو قلبها.. عزبتها الحبيبة.. أحضان أمها العجوز.. أخواتها الصغار.. الـ..

كان هذا آخر ما فكرت فيه قبل أن تتعثر وتسقط على وجهها.

وفي اللحظات التالية كانت تختنق تحت ضغط الأجساد التي انهالت

عليها

كم كان عددهم؟! لا تعرف طبعًا، ولم يخطر على بالها أن تسائل نفسها.. مشاعرها كانت موزعة بالتساوي بين الصدمة والرعب الحيواني والألم العنيف.

لم تكُ مواقعة أو تحرش أو اغتصاب.. كانوا ينهشونها بالمعنى الحرفي للكلمة.. الأصابع والأظافر والأسنان والقضبان تنتهك كل ملليمتر من جسدها.. أصوات متداخلة تملأ أذنيها بين زمجرة وفحيح ولهاث وشتائم.. تشعر باختناق وضغط شديد يحطّم ضلوعها، تعجز عن التنفس وقد فقدت إحساسها بنصفها السفلي الذي فشخت الأذرع ساقيه، وتناوبت القضبان على المهبل بعنف مجنون، الواحد تلو الآخر.. الأظافر تمزق ظهرها وساعديها وبطنها، الأصابع تمزق خصلات شعرها، تشدها من ثدييها، ويندلع فيهما ألم حارق جعلها تصرخ من أعماقها عندما عضها أحدهم فقضم حلمتها.. ثيابها؟! تمزقت بالكامل في أول ثلاث ثوان.

ما بين الدم والدموع والآلام المبرحة والأنفاس المكتومة تمنت من الله أن تموت حالاً.

فقدت الإحساس بالزمان والمكان وبالوجود.. لذا فلم تسمع الصرخات.. لم تشعر بالاضطراب المحموم الذي ساد جموعهم.

كانت تختنق تحت ما لا يقل عن عشرة أجساد، فلم تر الأجساد الأخرى وهي تنفض وتتبعثر برعبٍ شديد.

لم تسمع أصوات الفحيح المصاحبة للطلقات المخدرة وهي تغادر فوهات البنادق، تشق الهواء، تنغرس في أجساد مئات الأجساد الفارّة فتسقطها جثثًا هامدة على أرض الخرابة.

الأجساد العشرة التي تنهشها تُنتَزَع من عليها انتزاعًا، ولكنها لا تشعر..

يتساقطون من حولها، ويظهر من ورائهم جندي مدجج السلاح، متشح بالسواد، وجهه مغطى بالكامل بقناع أسود، يقبض على بندقية بين أصابعه.. آخر هؤلاء الحيوانات العشرة ينتبه لتساقط رفاقه كالذباب، يعتدل ليرى المشهد غير المتوقع.. المئات من عشيرته متناثرون جثثًا ساكنة في الأرجاء، والعشرات من المسلحين المقنعين المتشحين بالسواد يطاردون من تبقى منهم بين تلال القمامة، وأحدهم -أقربهم إليه- يسدد فوهة سلاحه نحوه هو شخصيًا.

زمجر، انقض عليه، تفادى المقنّع انقضاضته برشاقة، وأدار كعب بندقيته ليهوي به على وجهه ليسقطه أرضًا.

لم تر جسد المقنع وهو يتصلب إذ يحدق من وراء منظار الأشعة تحت الحمراء، في جسدها الممزق الذي غطته الدماء وملأته الخدوش.

نقل بصره إلى جسد الحيوان الممدد أرضًا، ثم أعاد الكرّة بكعب بندقيته.. هوى بها على وجهه بكل قوّته، مرة واثنتين وثلاثة، عشرة، حتى غطته الدماء.. دفن حذاءه العسكري الثقيل في كليته، في رأسه، في منتصف عموده الفقري.

انتبه له أحد زملائه من ذوي الأقنعة، فاتجه نحوه بخطوات واسعة.. جذبه من ساعده، ليتبادلا معًا نظرة طويلة من خلف قناعيهما، دفعته لأن يسترد ذراعه، يختتم "العُلقة" بطلقة مخدرة استقرت في مؤخرة عنق الجسد المهشم، الممدد على الأرض.. ثم ركلة وداع أخيرة.

ولكنّها لم تشعر.

لم تشعر به وهو يتحسس نبضها، ثم يميل عليها لينصت إلى صوت تنفسها والأنين الضعيف المنبعث من بين أسنانها.

لم تر الأنوار الساطعة التي هبطت من السماء في قلب الخرابة، مثيرة

عواصف من ترابها.

وبالتأكيد لم تحس بالإبرة المخدرة التي انغرست في عنقها، وأطفأت وعيها تمامًا، ثم بنفسها وهي تُحمَل حملاً بين ذراعيه المفتولتين.

*****

استغرقت عمليات المطاردة والقنص وجلب وتعبئة الجثث المُخَدّرة ما لا يزيد عن الساعتين، توزعت بعدها مئات الأجساد الموثقة بإحكام على طوافتين ضخمتين حالكتيّ السواد متوقفتين في مساحة من الخرابة خالية نسبيًا من أكوام القمامة.

تحرك الجنود بعدها في روتينيّة، فاحتلوا أماكنهم المعتادة في الطوافتين اللتين امتزج أزيز محركاتهما بهدير مرواحهما التي أثارت عواصف جديدة من الغبار، وهما ترتفعا عموديًّا بنعومة عن الأرض.

خلع المُقنّع الذي أنقذ الفتاة الشابة قناعه ذا منظار الأشعة تحت الحمراء، مسح بأصابعه تقاطيع وجهه الثلاثيني القوية، ورأسه الذي زحف عليه الصلع.. أخرج علبة سجائر من جيب زيه الأسود، سحب منها واحدة دسها بين شفتيه، وهو يتطلع عبر النافذة إلى الأرض التي تبتعد وتذوب في ظلام الليل.. سأله زميله الجالس إلى جواره (نفس المقنع الذي دعاه ليتوقف عن ضرب المتشرد قبل دقائق) وهو يخلع قناعه كاشفًا عن وجه أربعيني مليء بالتجاعيد:

- البنت عايشة؟

نفث دخان السيجارة وأجاب باقتضاب:

- تقريبًا.

*****

-٣-

حلّقت الطوافتان في السماء المظلمة على ارتفاع متوسط، وفي مسار محدد سلفًا مدروس بدقة.. ابتعدتا عن دلتا النيل باتجاه الجنوب، ثم انحرفتا فوق بنى سويف غربًا بزاوية حادة، وطارتا بسرعة ضعف سرعة الصوت فوق رمال الصحراء الغربيّة.. تجاوزتا الواحات وسط ثرثرة لا سلكية لا تنقطع بين طياريهما وجهة إرشادية ما.

شيئًا فشيئًا بدأت تتضح أضواء المبنى العملاق الجاثم في قلب الصحراء.. كتل خرسانيّة ممتدة على مساحة شاسعة من الصحراء، أميال من الأسلاك التي تربط عددًا من الأبراج المعدنية، وكل هذا محاط بسور خرساني شاهق بارتفاع تسعة أمتار، تعلوه ثلاثة أمتار أخرى من الأسلاك الشائكة، ويتوزع عليه بانتظام عدد من أبراج المراقبة.

عبرت الطوافتان الأسوار، وبدأتا في الدوران حول نفسيهما، ثم الهبوط رأسيًّا ببطء في المهابط المخصصة لهما.

بمجرد أن استقرتا على الأسفلت الناعم الممهد، انفتحت الأبواب وبدأ الجنود في المغادرة ليختلطا بعشرات الفنيين في أزياء موحدة برتقاليّة اللون تحمل على الجيب العلوي حرفي .E.N واضحين، تحركوا بخطوات نشطة منظمة، وبدؤوا في إخراج الأجساد المخدرة الموثقة من قلب الطوافتين، وتوزيعها على عربات صغيرة ذات صناديق خلفيّة.

سار قائد الجنود (المقنع الأربعيني) بخطوات متثاقلة، ممسكًا بسيجار مشتعل بين أصابعه، وقد ثبت سلاحه إلى ظهره، رفع يده بالتحية

العسكرية إلى عساكر الحراسة شاكي السلاح الّذين توزعوا بانتظام حول مهبطيّ الطوافتين، واتجه إلى رئيس ورديّة الفنيين الذي وقف عن قرب يراقب عملية التفريغ بعينيّ صقر، صافحه بإرهاق محييًا، فرد عليه رئيس الورديّة تحيته، ثم أردف مبتسمًا:

الصيد ما شاء الله كويس الليلة يا كابتن خالد.

نفث الكابتن خالد سحابة من دخان السيجار وهز رأسه قائلاً برضا:

- الحمد لله، صور القمر الصناعي كانت دقيقة.

ومد يده نحوه بشريحة دقيقة مستطردًا:

دا ريبورت العمليّة.

تناول رئيس الورديّة الشريحة، فدسها في لوح التابلت الذي يمسك به، وراقب أرقامها وبياناتها وهي تنساب إلى داخله وتمتم:

- عظيم.

هز الكابتن خالد رأسه مرة أخرى ثم ابتعد متجهًا نحو أحد المباني القريبة وهو يبادل من يصادفه التحية، استقل مصعدًا وسط عدد من رجاله، أضاء مصباح صغير بلونٍ أخضر بما أشار لتعرف كمبيوتر المصعد على بصماتهم الحيوية المسجلة في ذاكرته (الأمر الذي تكرر عند مدخل المبنى كإجراء أمني، وإلا ما سُمِحَ لهم بالدخول أصلاً) وراح الرجال يتبادلون الدعابات من حول قائدهم وهو صامت مكتفٍ بابتسامة خفيفة على شفتين رفيعتين قاسيتين.. هبط المصعد ثلاثة طوابق تحت الأرض، ثم انزلق بابه بنعومة كاشفًا عن ممر قصير مضاء جيدًا بأضواء بيضاء ذاتية ، غادروه جميعًا إلى قاعة ضخمة مليئة بحركة محمومة من عشرات الأشخاص في أزياء متنوعة بين أزياء الفنيين البرتقالية ومعاطف الأطباء البيضاء وأردية الحراس السوداء، بالإضافة إلى عدد

كبير من المهندسين والموظفين الموزعين بين عدد من الشاشات مختلفة الأحجام.

اتخذ الكابتن خالد مسارًا مغايرًا لرجاله، وقبل أن يبتعد التفت كمن تذكر شيئًا، نادى:

- وليد.. شادي.. مصطفى.

ارتد الثلاثة منفصلين عن زملائهم، عائدين إليه، أدار بصره في وجوههم متسائلاً:

أومال فين رابعكم؟.. فين زين؟!

تبادلوا النظرات للحظة قبل أن يهزوا أكتافهم.. قال مصطفى:

آخر مرة شوفته كان ف الطيارة.

شكرهم خالد باختصار ثم استدار مكملاً طريقه نحو كابينته، أغلق بابها خلفه، وتخلص من ثيابه العسكرية السوداء، فنضها مع سلاحه جانبًا، وأخذ دشًا سريعًا في الحمام الجانبي الصغير، خرج منه يتقاطر الماء من جسده الذي غطى نصفه السفلي بمنشفة بشكيرية عريضة، ثم أشعل سيجارًا سحب منه نفسًا عميقًا نفث دخانه باستمتاع.. فتح علبة مياه غازية باردة استخرجها من ثلاجة صغيرة مجاورة..

- T. V..

أضاءت شاشة التليفزيون المجسم، استجابةً لأمره الصوتى الذى وجهه لكمبيوتر الكابينة، واسترخى هو على فراشه الصغير يدخن ويرشف الكولا الباردة، ويتابع المحطات التليفزيونية المتتالية على الشاشة المجسمة، وشيئًا فشيئًا بدأ جفناه يتثاقلان وكاد يستغرق في النوم، عندما ارتفع أزيز رتيب انتزعه انتزاعًا من سنته.

اعتدل جالسًا وحدق للحظة في الرقم المرتسم على شاشة الهاتف

المجاور لفراشه.. أمر بالإيجاب، فتكونت صورة هولوجرامية مجسمة لرئيس الورديّة:

آسف للإزعاج يا كابتن خالد.

- ولا يهمك يا رشدي.. خير؟

- العدد الإجمالي اللي تم حصره بعد عملية التصنيف والتوزيع أقل من العدد الموجود في الريبورت اللي اتسجل في موقع العملية.

عقد خالد حاجبيه متسائلاً:

- أقل بأد إيه؟!

- بطارية واحدة.

راجعت أكواد الصيادين على كل بطارية؟

- الأكواد سليمة والأعداد مظبوطة ما عدا عدد بطاريات الكابتن زين.

زين!

- عدد البطاريات اللي عليها كود الكابتن زين أقل من العدد المسجل باسمه في موقع العملية.

- سألته طيب؟

- حصل يا كابتن، وقالي إن البطارية المفقودة ماتت قبل عملية الحصر.

ضاقت حدقتا الكابتن خالد وهو يسأل:

- ماتت إزاي؟!

- صدمة عصبية بسبب التعرض لعملية تعذيب واغتصاب جماعي.

- ابعتلي تقرير التشريح من فضلك.

- دقايق ويكون عندك.

- شكرًا يا ر شدي.

- في خدمتك يا كابتن.

ومع تبدد صورته المجسمة، عاد خالد ليستلقي على فراشه، وإن لم يغمض عينيه.. ظلتا متسعتين مسلطتين على الألواح البيضاء التي تغطي السقف.

*****

-٤-

الاسم الرباعي؟

- يوسف محمد احمد شهاب.

- الوظيفة؟

رئيس وردية التنظيم رقم 2 بالمزرعة EN-SE 8B- أبو رواش.

- هل كنت موجودًا بمقر عملك في اليوم؟

- أيوه، كنت موجود.

- هل تزامن الـshift بتاعك مع الحادث اللي جرى في ذات التاريخ وبالتحديد الساعة 1:35 صباحًا؟

- مش بالظبط، بس أنا بالصدفة شوفت الحادث بعينيّ.

إحكى لِلَجنة شهادتك الكاملة عن الأحداث اللي جرت في التاريخ والساعة المذكورين.

كل ما يمكن أن أعد حضرات الباشاوات أعضاء اللجنة به، هو أنني سأقص ما أعتقد أنني رأيته بعينيّ، وهو ما لا أكاد أصدقه حتى هذه اللحظة.

التحقت بالعمل في Egy- Nergy قبل خمسة عشر عامًا بالتمام والكمال.. استغرقت قبلها عامًا كاملاً في الخضوع للاختبارات والتحريات،

وعامًا آخر للتدريبات، بعدها بدأت عملي في سلك التنظيم حتى وصلت إلى مركز رئيس ورديّة.

قسم التنظيم هو قسم وسيط يقع بين قسم التوريد وقسم التشغيل.. تتلخص طبيعة وظيفتي الحالية في الإشراف على سير العملية الإنتاجيّة منذ لحظة عبور البطاريات الجديدة لأسوار المزرعة، مرورًا بحصرها وتصنيفها وتوزيعها ومتابعتها طبيًّا وبيولوجيًّا، وحتى تسليمها لقسم التشغيل.. المسؤولية ليست بسيطة لأن البطاريات ثمينة جدًا، وخسارة بطاريّة واحدة كفيلة بخسارتي عملي إن لم يكُ ما هو أسوأ.

يساعدني في عملي مساعدين اثنين يرأسان عددًا من الفنيين، والعمل كله يتم من خلال لائحة تشتمل على عدد من الإجراءات أحفظها ورجالي عن ظهر قلب، والتأكد من أدائها كفيل بإنهاء العمل على خير ما يرام.. كلما زادت أعداد البطاريات زادت المسؤولية الملقاة على عاتقي، ولكن مع الوقت والممارسة تتحول العملية لمحض روتين تتم ممارسته بشكل آلي.

في هذه الليلة كان الوارد متوسطًا.. بضع عشرات من البطاريات عاد بهم الصيادون من إحدى قرى الجنوب.. وصلت الحملة قبيل منتصف الليل بدقائق، جاءني الإخطار من مركز المراقبة، فاستدعيت فريقي وهبطنا لاستقبال الطائرات العائدة بالبطاريات الثمينة.

حتى الآن يا حضرات الباشوات، لا أذكر أني رأيته أو انطبعت ملامح وجهه في ذاكرتي، سواء عند المعاينة الميدانية (غالبًا ما يقوم بها مساعداي، ولكنني فعلتها بنفسي تلك الليلة كسرًا للملل) أو مراجعة تقرير كل حالة أثناء الحصر، استعدادًا لتقديم تقرير نهائي يتم بناءً عليه تسليم البطاريات لقسم التشغيل.. فيما بعد -بعد الحادث أقصد-

عـدت إلى تقريـر هـذه البطاريـة عـلى الكمبيوتـر، وتفرسـت في صورتهـا.

ملامـح عاديـة، وأقـل مـن العاديـة.. وجـه أسـمر نحيـف، شـعر أسـود كـث، زغـب قليـل يعلـو شـفتين غليظتين.. العينـان نصـف مغمضتـين بفعـل المخـدر (وقـت التقـاط الصـورة) فلـم أتبـين لـون حدقتيهـما.. وبالعـودة إلى تقريـر قسـم التشـغيل قبيـل دقائـق مـن بـدء تشـغيله، شـاهدت لأول مـرة صـورة واضحـة مكتملـة لـه.

تـم تسـليم الشـحنة نهائيًـا لقسـم التشـغيل قبـل ثلاثـة أيـام من الحـادث.. متوسـط الفـترة التـي تقضيهـا البطاريـات بحـوزة القسـم قبـل تشـغيلها قـد تصـل إلى أسـبوع بـين متابعـة وعـلاج وتغذيـة، ولكـن الـذي حـدث هـذه المـرة أنَّ التشـغيل بـدأ بعـد ثلاثـة أيـام فقـط، وهـو أمـر يتكـرر أحيانًـا عندمـا يشـتد الطلـب عـلى منتجـات الطاقـة.. ومـا عرفتـه فيـما بعـد أنّ أوردر عاجـل بطلبيـة ملحـة وصـل قبـل يـوم واحـد مـن إحـدى المجموعـات الاسـتثمارية العملاقـة التـي تعمـل في تصنيـع الصلـب.

كل هـذا خـارج عـن نطـاق عمـلي الـذي ينتهـي بتسـليم البطاريات لقسـم التشـغيل، كـما سـبق وأوضحـت لحضراتكـم.. وسـمحت لنفـسي أن أبحـث في بيانـات صاحـب البطاريـة بسـبب الحـادث.

علاقتـي بالحـادث جـاءت بمحـض الصدفـة.. كنـت أسـير (وقـد أنهيـت عمـلي قبـل قليـل) في الممـر العريـض الـذي يربـط بـين قسـم التنظيـم وقسـم الإعاشـة، سـعيًا وراء دش سـاخن ووجبـة شـهية في الكافيتريـا ثـم سـاعات مـن النـوم اسـتعدادًا للـshift القـادم.

الممـر محـاذٍ لممـر آخـر يعـبر فـوق واحـدة مـن قاعـات الماكينـات التـي تسـحب الطاقـة الحيويـة مـن البطاريـات.. هـذه القاعـات مبطنـة وعازلـة للصـوت تمامًـا، الأمـر الـذي أصابنـي بالدهشـة عندمـا سـمعت أصواتًـا قادمة

مـن الجـدار المجـاور.

توقفـت أحـدق مندهشًـا في الجـدار.. تلفـتُّ حـولي، أنـا وحـدي بالممـر.. اقتربـت مـن بـاب طـوارئ موصـد بالحائـط، مِلـتُ بجسـدي، ألصـق أذني بـه.

لا شـك بهـذا؛ هنـاك صـوت مـا، لا أسـتطيع تمييـز طبيعتـه.. وهو بالمناسـبة يعلـو بوضـوح، يقترب.

تراجعـت شـاعرًا بالخـوف.. اتجهـت نحـو الهاتـف المثبـت إلى علبـة مـن البلاسـتيك الشـفاف أحـد جـداريّ الممـر.. فتحـت العلبـة ومـددت سـبابتي إلى الشاشـة الرقميـة، عندمـا دوى الانفجـار.

لا، لم يكـن انفجـارًا.. كان دوي بـاب الطـوارئ، إذ انفتـح بعنـفٍ شـديد، وعـبر منـه جسـد مألـوف ميّـزت فيـما بعـد أنـه جسـد رئيـس فنيّي التشـغيل بالورديّـة.. عـبر بسرعـة خاطفـة ليرتطـم بالحائـط المقابـل لفتحـة البـاب.. يسـقط أرضًـا ثـم ينهـض ليركـض مبتعـدًا عـبر الممـر، وحنجرتـه لا تكـف عـن الـصراخ.

حدّقـت بخـوف في فتحـة البـاب، التـي بـدأت تتخلـل أنـوار النيـون داخلهـا سـحب مـن الدخـان مصحوبـة برائحة شـياط.

الآن أسمع بوضوح صرخات الرعب القادمة من أسفل.

ثم سمعت هذا الصوت.

سرت القشعريرة في جسدي.. الصوت واضح هذه المرة.

زمجرة.

فركـت عينـيّ اللتـين امتـلأت مقلتيهـما بالدمـوع بسـبب سـحب الدخـان، وحدقـت في الجسـد الداكـن الـذي عـبر البـاب المفتـوح قادمًـا مـن داخـل قاعـة الماكينـات.. ضخـم.. أسـود.. يسـير بتمهـل وثقـة عـلى أربـع، جـارًا وراءه ذيـلاً كثًّـا.

حاولت أن أكتم الشهقة بأصابعي، ولكن صوتًا خافتًا أفلت مني، جعله ذلك الكائن الذي أفكر الآن أنه كان كلبًا أسود عملاقًا يدير رأسه المدبب نحوي، ويرمقني بعينين قانيتي الاحمرار، ولعاب كثيف يسيل من بين أنيابه مرعبة المنظر.

كلب أسود! هنا!

للحظات امتلأ قلبي برعب هائل، وفقدت السيطرة على مثانتي وأنا أغوص في كأسيّ الدم اللذين يملآ عينيّ هذا الوَحش ، قبل أن يستدير مكملاً طريقه عبر الممر المؤدي إلى قسم الإعاشة، ويلف الظلام وعيي فأفقده.

- الاسم الرباعي؟

أحمد صفوت عبد المولى طلبة.

الوظيفة؟

طبيب نوبتجى بالوردية رقم 2 بالمزرعة EN-SE 8B- أبو رواش.

*****

ما رأيته لم يكُ كلبًا أسود يا حضرات.. كان **alien**!

صدقوني، أنا لا أهذي، لا أعاقر الخمر، ولم أتعاط أي نوع من المخدرات طيلة حياتي، وتقاريري الطبية تشهد على صحة كلامي.

الـذي حـدث أن الأوردر جـاء بتشـغيل هـذه المجموعـة مـن البطاريـات بعـد ثلاثـة أيـام فقـط مـن دخولهـا قسـم الإنتـاج، وهـو أمـر يحـدث في بعـض الأحيـان عندمـا تـأتي طلبيـة عاجلـة، مـن دون سـابق حجـز.. قـام الرجـال بنقـل البطاريـات مـن عنابرهـم إلى العيـادة، حيـث قمـت بقيـاس معدلاتهـم الحيويـة والتأكـد مـن جهوزيـة سـيالهم الحيـوي للتشـغيل.

في العـادة لا أتجـاوب مـع أسـئلة البطاريـات إلا بأكليشـيهات مطمئنـة تعودنـا أن نحفظهـا بخصـوص مـا نفعلـه بهـم مـن فحوصـات وحقـن لمـواد مجهولـة.. طبعًـا لا أخبرهـم بـأن هـذا السـائل وردي اللـون الـذي أحقنـه في أوردة أذرعتهـم هـو رحمـة السـماء بهـم، وأن هـذه التكنولوجيـا التـي حُـرِمَ منهـا أسـلافهم طيلـة خمـس عـشرة سـنة الأولى مـن عمـر مـشروع Egy-Nergy سـتفصل وعيهـم وترحمهـم مـن الإحسـاس بـالآلام المروعـة المصاحبـة لتقطيـع أوصـال أجسـادهم داخـل الماكينـات لانتـزاع طاقتهـم الحيويـة.. هـذا العقـار القنبلـة الـذي أحـدث نقلـة في عمـل المـشروع، ودفـع حكومـات عديـدة (فيـما تـسرب إلينـا مـن أنبـاء) لتبنـي المـشروع.

هـذه البطاريـة بالـذات، موضـوع الحـادث، لم تسـأل.. لم تثرثر.. لم تسـتفسر عـن طبيعـة السـائل الـوردي الـذي حقنتـه في عـروق ذراعهـا البـارزة.. كان مستسـلمًا تمامًـا، فلـم أنتبـه لـه إلا والحـارس يسـحبه مـن ذراعـه.. رفعـت عينـي أنظـر إليـه سريعًـا بينـما أصابعـي تتحـرك بسرعـة وروتينيـة عـلى الشاشـة التاتـش المجسـمة أمامـي، لتسـتكمل الريبـورت قبـل قـدوم البطاريّة الجديـدة.. نظـرة خاطفـة، خطـر لي بعدهـا أنّ هـذا البنيـان المتهالـك لـن يصمـد طويـلاً داخـل الماكينـة، وأنـه لـولا الحاجـة، لـكان أولى بنـا أن ندعـه يسـتكمل برنامـج تأهيلـه البـدني والغـذائي قبـل تشـغيله.

اكتمـل التقريـر عـلى الشاشـة أمامـي بتعـرف الكمبيوتـر عـلى بصمتـه (بصمـة البطاريـة) الحيويـة.. ألقيـت نظـرة سريعـة عـلى البيانـات والصـورة

المجسمة التي حملت وجهًا شابًا لم يتجاوز صاحبه عقده الثاني.. تثاءبت وأنا أضغط save مجسمة، ثم ضغطت زرًا مجاورًا لي كي تدخل البطارية التالية.

لا أعرف كم مر من الوقت لأنني استغرقت بالكليّة في عملي، نظرًا لضيق الوقت وإلحاح الإدارة على سرعة تلبية الأوردر.. فقط انتبهت لأزيز الهاتف، ضغطت زر الإيجاب، فتكونت أمامي في الفراغ صورة مجسمة لزميلي الباشمهندس يحيى.

- الاسم الرباعي؟

- يحيى إبراهيم عبد الحميد حسان.

- الوظيفة؟

مهندس تشغيل بالوردية رقم 2 بالمزرعة EN-SE 8B- أبو رواش.

كان عنكبوتًا عملاقًا أسود اللون! أنا متأكد من هذا كما أنا متأكد من مثولي الآن أمام اللجنة الموقرة.

طرق الدكتور صفوت باب حجرتي ثم دلف من دون أن ينتظر إجابة، نظر إليّ بوجه متوجس وتساءل:

خير يا باشمهندس؟!

أشرت له ليتقدم وأنا أقول:

- مشكلة غريبة.

تقدم ليجلس على المقعد المقابل لمكتبي، حركت أصابعي لتستدير الشاشة الهولجرافية المجسمة نحوه وقلت:

دي البطارية رقم (...).

تأمل الداتا المرتسمة بحروف مضيئة في الفراغ، ألقى نظرة على التاريخ والساعة ثم تساءل:

دي المفروض دخلت التشغيل من نص ساعة، مش كده؟

مظبوط.

فين المشكلة؟

حركت كفي أفقيًّا فتلاشت صفحة البيانات من على الشاشة الهولوجرافية، وحل محلها رسم بياني.

-المشكلة إنه مفيش حاجة..

رفع حاجبيه مرددًا بدهشة:

مفيش حاجة!

مفيش أي باور.

مفيش باور إزاي؟! تقصد مات يعني؟!

حركت كفي مرة أخرى لتنقسم الشاشة إلى قسمين، قسم تظهر عليه أرقام المعدلات الحيوية، والقسم الآخر بث حي من داخل الماكينة.

لا مامتش.. ومعدلاته الحيوية نموذجية، وبرنامج استخراج السيال الحيوي شغال بكفاءة، بس مفيش إنتاج.

حدّق مذهولاً في الجروح البشعة التي أحدثتها أذرع الماكينات في جسد البطارية، وعداد الباور الذي لم يكد يبتعد عن الصفر حتى يقفز عائدًا

إليه.. ثم رفع عينيه ونظر عبر زجاج النافذة إلى صفوف مقصورات ماكينات استخلاص السيال الحيوي المتراصة بالمئات على الجهة المقابلة لغرفة مكتبي.. همس:

- إزاي ده؟!

قلبت كفي وأنا أقول:

مش عارف! دي أول حالة من نوعها، فحبيت اسألك.

نقل بصره من الشاشة إلى وجهي مرددًا:

تسألني؟

أنا قريت الريبورت بتاعك، والبروسيدجز اللي إنت مشيت عليها.

- تمام.

- فيه أي عامل طبي أو بيولوجي ممكن يكون سبب في الـcase دي؟

ظل صامتًا للحظات كست خلالها وجهه علامات تفكير عميق، قبل أن يهز رأسه قائلاً:

- صعب أحدد دلوقتي.. الـcase ؛ واضح إنها more than complicated من إني أفسرها وأنا قاعد هنا.

- والحل؟!

قال بحسم:

- دي مشكلة أكبر مننا.. أوقف التشغيل حالاً وابعت إيميل بالتفاصيل للـHead Department.

ارتفع صوت أزيز مزعج في هذه اللحظة، وصاحبته إضاءة مصباح الطوارئ أحمر اللون.. تبادلنا النظرات الشاحبة، وأسرعت أضغط زر الانتركوم، تجسدت أمامي صورة هولوجرافية لرئيس الفنيين وهو يهتف

بوجه ممتقع:

- فيه مشكلة ف الماكينة يا باشمهندس!

هرعنا إلى الخارج حيث سادت حركة مرتبكة بين الفنيين، وتوقفنا أمام البوتقة التي تحمل رقم البطارية صاحبة ذات المشكلة، وحدقت بدهشة في سحب الدخان التي بدأت تتسرب من داخلها من وراء الباب الموصد إلكترونيًا.

إيه ده يا عزيز؟!

أجاب بلهجة موشكة على البكاء:

والله ما أعرف يا باشمهندس! البطارية دي عليها عفريت أصلاً، مفيش باور خارج منها، وآدى الماكينة كمان بوظتها.

نظرت إلى خط سير برنامج الاستخلاص على الشاشة الصغيرة المجاورة للباب، وفتحت فمي لأقول شيئًا عندما حدث شيء رهيب.

- الاسم الرباعي؟

- عبد العزيز رأفت محمد عبد العزيز.

الوظيفة؟

رئيس فنيين التشغيل بالوردية رقم 2 بالمزرعة EN-SE 8B- أبو رواش.

*****

المكان كله راح يرتج يا حضرات الباشاوات.. كأن مسًّا من الجان أصاب كل شيء.

الماكينات.. الأجهزة.. الكراسي والترابيزات.. الشاشات.. مؤشرات العدادات راحت تتقافز بجنون.

ثم تلك الصرخة العاتية.

شهقنا وتراجعنا جميعًا متخبطين في رعبٍ هائل.

تجمدت عيناي على باب البوتقة التي تضم البطارية رقم (...).

الباب المصنوع من الفولاذ راح يهتز كورقة، سمعت صوت طقطقة مفاصله، ثم رأيت بعينيّ هاتين، أطرافه تنثني.. تتجعد.. ثم لم يلبث أن -والله العظيم ثلاثًا- ذاب كقالب من الزبد.. ثوانٍ قليلة بدت لي كدهرٍ كامل، ثم خلت فتحة البوتقة من أيّ حواجز تحجب ما بداخلها.

وفي اللحظة التالية، انفجرت مصابيح النيون كلها، وامتزجت الشرارات بشظايا الزجاج في الهواء.

كان دويًا هائلاً، ساد بعده ظلام دامس، رحنا جميعًا نصرخ بعزم ما فينا، وقد ألصقنا ظهورنا بجدران القاعة.

من وسط صراخنا، ميزت بوضوح صوت خطوات على مقربة منّي.

خطواته.

خطوات الشيطان الذي خرج من البوتقة!

لا يا حضرات، أنا لا أبالغ ولا أهذي والله.. لقد رأيته رأي العين في ضوء كشاف المحمول الذي أضأته بأصابع مرتعشة محمومة.

كان غولاً حقيقيًّا كما نقلت لنا حكايات الآباء والأجداد.

جسد عملاق، مفتول العضلات، أسود اللون كقلب الكافر، العينان

جمرتـان مـن النـار، وثمـة بخـار يندلـع مـن منخـاره.. أمـا السـاقان، فسـاقا ماعـز.. وقبـل أن تنفجـر شاشـة التليفـون، لمحـت الأرضيّـة المصنوعـة مـن القنالتكـس تـذوب في موضـع خطواتـه.

زحفـت مبتعـدًا بحـركات متشـنجة، ثـم نهضـت وهرولـت متجهًـا نحـو السـلم المعـدني المـؤدي إلى أعـلى.

-٥-

- Enough

خرجت حاسمة قاطعة من بين الشفتين الرفيعتين المحاطتين بشارب منمق ولحية أنيقة وخطتهما شعيرات بيضاء زادتهما أناقة لآدم المصري، المدير الإقليمي للمجموعة، ومالك الحصة الأكبر من أسهم Egy-Nergy.. وعلى الفور، وبنعومة، تبددت الصورة الهولوجرامية المجسمة لعبد العزيز رأفت عبد العزيز رئيس الفنيين وهو يدلي بشهادته أمام لجنة التحقيق.. والتفت في بذلة سوداء أنيقة يواجه الوجوه الهولوجرامية لشركاءه الخمسة.

كلب أسود، alien، عنكبوت عملاق، وغول.

نطق "غول" كما ننطقها نحن بالعربية، تساءل الشريك الصيني بالإنجليزية عن معناها.

- It means some kind of a monster

واعتدل مستطردًا بذات الانجليزيّة:

-هذه عينة من بين مجموعة من شهادات العاملين الّذين شاهدوا الحادث وقت وقوعه.. كلهم تقريبًا اتفقوا على تفاصيل ما جرى، حتى نقطة معينة اختلفت بعدها رواياتهم.. الرواية الموحدة هي جلب البطاريات، ومن بينها البطارية موضوع الحادث، وإعدادها وفقًا للبروسيدجز المعتمدة باللائحة، إدخالها للماكينات، ثم تعطل الماكينة التي تشغل البطارية إياها.

تساءل الشريك الفرنسي:

- ومن بعدها اختلفت الروايات؟

- بالضبط مسيو ريمون.

كل الروايات؟!

- يمكننا القول بلا خطأ كبير إن كل رواية جاءت مستمدة من ثقافة صاحبها، أفكاره، مخاوفه، ومن الطبيعي أن تتشابه روايات لأفراد منتمين إلى نفس البيئة والثقافة.

قالت الشريكة الأمريكيّة واضعة ساقًا على ساق:

وأين الحقيقة وسط كل هذا؟

حدجها آدم بنظرة محايدة وقال:

الحقيقة هي ما سجلته كاميرات المراقبة.

ومع آخر حروف كلماته ساد الظلام، تكونت في الفراغ، في قلب القاعة، صورة هولوجرامية مجسمة لقاعة الماكينات من منظور عين الطائر، بما يشير إلى أنها مُلتَقطة من كاميرا مثبتة بأعلى الجدار.

تركزت أعين الجميع على الفيديو المجسم.. ثمة هرج ومرج واضحين في حركة الفنيين من حول بوتقة الماكينة التي تضم البطاريّة إياها.. الدكتور صفوت والمهندس يحيى يصلان القاعة، يتبادل الأخير حديثًا قصيرًا مع رئيس الفنيين، يتجه بعده إلى كمبيوتر البوتقة، قبل أن يبدأ الارتجاج.

كل شيء يرتج، بما فيه الصورة نفسها (بما يشير لاهتزاز الكاميرا). المهندس يحيى، وبحركة متشنجة يضغط أزرار كمبيوتر البوتقة، فينفتح بابها.

تنفجر مصابيح الإضاءة، ويسود الظلام قاعة الماكينات لجزء من الثانية، تنتقل بعده الكاميرا أوتوماتيكيًا لنظام الأشعة تحت الحمراء.. ثمة جسد غير واضح المعالم يغادر البوتقة.

مال الشركاء الخمسة للأمام بحركة تلقائيّة طلبًا لرؤية أفضل.. الجسد تتضح تفاصيله تدريجيًا مع اقتراب مساره من موضع الكاميرا.. لم يكُ كلبًا ولا عنكبوتًا ولا مخلوقًا فضائيًا ولا غولاً بالطبع.. كان بشريًا.. رجل عادي نحيف الجسد، عارٍ تمامًا، يمشي في الظلام بين أجساد الفنيين المرعوبين الصارخين.. بخطوات مترنحة، ولكنّها -خُيل لهم جميعًا- حملت قدرًا من الثقة.

صعد السلالم المعدنية (في أثر رئيس الفنيين) المؤدية إلى الممر العلوي المعلق، وكأنه يحفظ طريقه جيدًا.. وصل إلى باب الطوارئ الذي فتحه رئيس الفنيين في طريق هروبه الهيستيري، عبره بثقة إلى الممر العريض المؤدي إلى قسم الإعاشة.

الإضاءة في الممر كانت أفضل حالاً.. ميزوا جميعًا (من الكاميرات المثبتة في الممر) بوضوح، الدماء القانية التي تغطي أغلب أجزاء الجسد.. استمر في المشي بتؤدة، ألقى نظرة على رئيس وردية التنظيم الملقى أرضًا، ثم واصل طريقه.. عَبَرَ ممرات قسم الإعاشة، وساد هرج عنيف وتعالت الصرخات لدى مروره بين موائد الكافتريا، ولاحظوا أنّ الجميع بمن فيهم رجال الأمن شاكي السلاح يتراجعون أمامه بهلع حقيقي.

الموقف ذاته تكرر بالخارج، وبالقرب من البوابة الفولاذية التي تتوسط السور الخرساني الشاهق، حاول أحد الحراس استجماع شجاعته، فشهر سلاحه في وجه صاحب الجسد النحيف (البطارية سابقًا) هاتفًا

بـشيء مـا.. ثـم في اللحظـة التاليـة تلفـت حولـه بهلـع، وأطلـق النـار عشـوائيًا في جميـع الاتجاهـات. فيـما بعـد، تضمنـت شـهادته أنـه راي قطيعًـا مـن الذئـاب الصحراويـة تركـض نحـوه مـن جميـع الاتجاهـات.

لحظـة أمـام بوابـة الأفـراد الملاصقـة للبوابـة الفولاذيـة الرئيسـية.. لحظـة واحـدة انفتحـت بعدهـا بنعومـة. أقـر حـارس البوابـة في شـهادته بالتحقيـق أنـه اضطـر إلى فتـح البوابـة حتـى يسـمح للعاملـين بالمزرعـة بالفـرار مـن ألسـنة اللهـب التـي أقسـم أنـه رآهـا تـأكل كل شيء.. ثـم، وبهـدوء واثـق، عبرالجسـد النحيـف فتحـة البوابـة، ليـذوب في ظـلام الصحـراء.

Enough

تبـددت الصـورة المجسـمة، وعـاد آدم المـصري يلتفـت لشركائـه الخمسـة الذيـن كسـت أمـارات الدهشـة والصدمـة وجوههـم.. قـال بهـدوء:

هـذه هـي (موجهًـا حديثـه لهولوجـرام جوليـا فرانكلـين، الشريكـة الأمريكيّـة) الحقيقـة التـي سـألتِ عنهـا مسـز فرانكلـين.

لنصـف دقيقـة ران صمـت ثقيـل عـلى قاعـة الاجتماعـات الفسـيحة، قبـل أن يقطعـه الشريـك الهنـدي قائـلا:

- عفوًا، مستر آدم.. هل هذا التسجيل حقيقي؟

غزت ابتسامة خفيفة زاوية فم آدم وهو يقول:

حقيقي، مستر راجا.

- ولكن هذا مستحيل!

كـذا ردد الشريـك الفرنـسي مذهـولاً، فمـر عليـه آدم بنظـرة سريعـة ثـم قـال:

- We have a situation here.

حدّقوا فيه.

لنستبعد المستحيل حتى نستطيع التعامل.

لنفعل.

قالتها الأمريكية بحماس.

- بينما لم تسجل أجهزة الاستخلاص بالبوتقة أيّ طاقة تم نزعها من سيال البطاريّة الحيوي، سجلت المؤشرات الحيوية اختلافًا غير مألوف في طبيعة هذا السيال الحيوي.

ومع كلماته تكونت صورة هولوجرامية مجسمة جديدة في الفراغ.. الصورة رسم كروكي لجسدٍ جالس على مقعد، ومن حوله هالة ذات لون أصفر خفيف.

- هذا هو السيال الحيوي الطبيعي الخاص بأي بطارية قبيل بدء عملية التشغيل.

يبدأ عداد رقمي إلى جانب الصورة في عد متسارع، ومعه يبدأ لون الهالة المحيطة بالجسد في الشحوب تدريجيًا حتى تتلاشى تمامًا، ويصاحب ذلك صفير خافت:

تشغيل ناجح.. تم استخلاص الطاقة الحيوية من البطاريّة.

تعود الصورة الأولى المحاطة بالهالة الصفراء من جديد.

الأمر مختلف قليلاً في الحادث الأخير.

يبدأ العداد الرقمي في العد.. ولكن الهالة الصفراء لا تشف أو تتلاشى، على العكس، تزداد إظلامًا، تتحول إلى اللون البرتقالي، فالأحمر القاني.

- السيال الحيوي هنا لم يستجب لمؤثرات الألم التي تعرضت لها

البطاريـة، بـل عـلى العكـس.. يمكننـا القـول دون خطأ كبـير (ووفقًـا للدراسـة التـي أجرتهـا معاملنـا عـلى شريـط تسـجيل عمليـة التشـغيل) إنّ السـيال الحيـوي للبطاريـة ازداد كثافـة لـو كان هـذا واردًا.

ردد الصيني مندهشًا:

ازداد كثافة!

هز آدم رأسه قائلاً:

نعـم، هـذا مـا سـجلته الأجهـزة والعـدادات.. وبمعنـى آخـر، السـيال الحيـوي لهـذه البطاريـة في مقاومتـه للانتـزاع، تضاعفـت كثافتـه، وصاحـب هـذا تلـك القـدرات النفسـية غـير المألوفـة التـي شـاهدتموها في تسـجيل الفيديـو قبـل قليـل.

تساءل الفرنسي:

أي قدرات؟!

الوهم.

رددت الأمريكيّة مع الفرنسي والهندي بصوت واحد:

الوهم!

الوهـم.. كل واحـد مـن أصحـاب الشـهادات راي في المشـهد كابوسـه الخـاص.. كلـب أسـود وعنكبـوت عمـلاق وغـول ومسـخ فضـائي وقطيـع مـن الذئـاب وحريـق يلتهـم المزرعـة و... و... بينـما فيديوهـات المراقبـة لا تُظهِـر أكـثر مـن رجـل عـادي ينـزف، يسـير بـين الجمـوع.

وصمت لحظة راقب فيها تأثير كلماته على وجوههم ثم تابع.

يعنـي باختصـار.. السـيال الحيـوي الخـاص بهـذه البطاريّـة مـن دون غيرهـا، اسـتفزته محاولـة الاسـتخلاص، واسـتنفرته للدفـاع عـن صاحـب

الجسد، ففجرت به هذه القدرة النفسيّة الخارقة.. القدرة على الغوص في العقول، واستخراج مخاوفها وخلق وهم تجسدها أمام أصحابها.

وأخذ نفسًا عميقًا.

- ومن ثم ببساطة، تمكن من الهروب.

تساءلت الأمريكيّة مشدوهة:

- هل هناك شيء كهذا؟!

هز الصيني رأسه، وقال الهندي:

القدرة على الوهم والإيحاء موجودة لدى أغلب البشر، وجزء كبير من عمل النصابين والحواة مرجعه إلى تلك الموهبة، ولكنني لم أر من قبل شيئًا بهذه القوة.

تساءل الفرنسي:

- هل هي الحالة الأولى من نوعها في المشروع؟

كلا.

خرجت ثقيلة، بطيئة، واثقة من بين شفتي الشريك الروسي اللتين لم تنفرجا منذ بدء الاجتماع.. استدارت الأعين كلها إليه، فتابع وهو يداعب شاربه الذي طغى الشيب على شقرة خصلاته:

هناك أربع حالات مسجلة ما بين روسيا ومصر وزامبيا والفلبين، على مدى ربع القرن الفائت.

وسلّط عيناه الزرقاوين النافذتين على آدم مستطردًا:

لقد واجهتم شيئًا كهذا قديمًا.. أليس كذلك؟

بادله آدم نظرة ثابتة بأخرى مماثلة قبل أن يقول ببطء:

- ليس بالضبط!

قبل خمس وعشرين عامًا:

المظاهرة حاشدة تعبر جسر قصر النيل.. الأعداد ضخمة تُقدَّر بعشرات الآلاف ما بين رجال ونساء من مختلف الأعمار والطبقات والتوجهات.. أعلام مصر، ولافتات قماشية مختلفة الأحجام والألوان تحمل إدانات وتنديدات مختلفة بالعربية والإنجليزيّة بجرائم شركة Egy-Nergy في حق الإنسان حول العالم، وأكثر من لافتة تحمل صورة للشهيد أحمد ممتاز خشبة.. الهتافات تصم الآذان.. كاميرات تحمل شعارات أكثر من محطة أجنبية تنقل المشهد على الهواء مباشرة.

مدرعات الداخلية تقترب من جهة ميدان التحرير.. تشكيلات العساكر من ذوي الأردية السوداء تنتظم في صفوف.. حاملو بنادق قنابل الغاز المسيل للدموع يتقدمون يشهرون فوهات بنادقهم بزاوية ٤٥ درجة لأعلى باتجاه المظاهرة القادمة عن بعد.. يضغطون الأزندة.

تنطلق عشرات القنابل مصحوبة بعشرات الفرقعات.. تشق السماء متجهة نحو المتظاهرين.

يحدث هنا أمر غير طبيعي.

ترتبك مسارات قنابل الغاز في السماء.. تتبعثر وتفقد اتجاهها، ثم وبشكل مستحيل فيزيائيا، وكأنّ قوة خفية غير منظورة جمعتها ثم قذفتها.. ترتد عائدة لتهوي وسط صفوف عساكر الأمن المركزي.

تضطرب صفوف العساكر وينهار تنظيمهم.. الكل يهرع وهو يغالب ذهوله مبتعدًا عن الغاز المتسرب من القذائف.

حاملو البنادق يحاولون استعادة تنظيمهم، وإعادة الكَرّة.

المظاهرة الصاخبة مستمرة في تقدمها.

*****

-٦-

انتهت عاملة محطة التموين من تركيب البطاريّة الجديدة التي تحمل لوجو .E.N في سيارة الكابتن زين.. أشارت إليه حيث جلس وراء الزجاج في مقعد القيادة، فأدار الموتور وألقى نظرة سريعة على العدادات، ثم لوّح بقبضته المضمومة مرفوعة الإبهام إشارة إلى الجودة.

أعادت العاملة الشابة غطاء الكبود إلى موضعه، وتأكدت من إحكام إغلاقه، ثم دارت حول مقدمة السيارة متجهة إلى زين، سحبت جهازًا صغيرًا من حزام اليونيفورم، ضغطت أزراره وهي تقول بروتينيّة:

- Egy-Nergy بتقدم طاقة نظيفة صديقة للبيئة بأسعار في متناول الجميع.. كارت الـE.N بيقدم لحضرتك بطاريّة مجانيّة على كل أربع بطاريّات.. سعر الكـ..

بترت عبارتها الآليّة وهي تحدق في البطاقة الممغنطة التي دفع الكابتن زين بها إليها مبتسمًا بإنهاك.. تناولتها من بين أصابعه.. شعار .E.N، الاسم والصورة.. نقلت بصرها بين الصورة في البطاقة والوجه المنهك ذي الذقن نصف الحليقة الماثل أمامها، قبل أن ترتسم ابتسامة جذابة على شفتيها المصبوغتين وهي تقول:

- I am Sorry يا كابتن.

هز رأسه، بينما دست هي البطاقة الممغنطة في فجوة شريطيّة مستطيلة في جانب الجهاز الذي تمسك به، والذي استغرق ثانيتين ليصدر بعدها أزيزًا، وفاتورة مطبوعة، سحبتها العاملة وناولتها مع

البطاقة الممغنطة إلى زين وهي تقول محافظة على ابتسامتها:

- في خدمتك دائمًا يا كابتن.

شكرها بكلمات خافتة وهو يتناول بطاقته ويدسها في محفظته.. أصدر أمراً لكمبيوتر السيارة يحدد المسار المطلوب بين المطار ومنزله بالقاهرة الجديدة، ثم أسبل جفنيه واسترخى في كرسيه تاركًا مهمة القيادة للسائق الآلي، الذي قاد السيّارة خارج محطة التموين، ثم انزلق بها بنعومة إلى الطريق الأسفلتي العريض.

ثلاث عشرة دقيقة تقريبًا قضاها ما بين النوم واليقظة، ومذياع السيارة يبث أغاني كلاسيكيّة لسيلين ديون وليونيل ريتشي، قبل أن تتوقف السيارة في موضعها المخصص بجراج البناية التي يقطن بها.. رسالة مسجلة بصوت أنثوي تهنئه بسلامة الوصول، انفتحت الأبواب أوتوماتيكيًا، فغادر حاملاً حقيبة ظهر صغيرة على كتفه.. في طريقه إلى شقته، حيّا من قابل من جيرانه بإكليشيهات موجزة مصحوبة بابتسامة حافظ عليها بصعوبة من فرط إرهاقه.

ضغط أزرار الشفرة، فانفتح الباب، وتعرف كمبيوتر الشقة على بصمته الحيويّة بمجرد دخوله.. اشتعلت أضواء الأباليك أوتوماتيكيًا، وانبعثت موسيقى هادئة من السماعات الموزعة بهندسة احترافيّة في الشقة.

- (بصوت أنثوي حنون): حمد الله على السلامة يا زوزي!

ابتسم وهو يجيب رسالة ترحيب الكمبيوتر:

الله يسلِمك.

وحشتني يا حبيبي!

- وإنتي كمان يا ماما.

وتوقف يتأمل صورة كبيرة معلقة إلى موضع مميز على الحائط لسيدة أنيقة في أربعينيات العمر، وثمة خط أسود مائل يقطع أحد أركانها.. همس:

- أوي!

صوتك تعبان آحبيبي.

استلقى متهالكًا على أقرب مقعد إليه، وألقى حقيبته إلى جواره.

الصيد كان كتير الأسبوع ده.

أجهزلك الشاور؟

بليز، ماما.

سمع صوت خرير المياه قادمًا من الحمام، إذ انفتح صنبورها إثر أمر من شبكة الكمبيوتر الداخلية لتملأ البانيو.

حد اتصل بيّ؟

نهال، اتصلت 3 مرات.

رفع رأسه متسائلاً:

عايزة إيه؟!

تحب تسمع الماسدج اللي سابتهالك؟

أسمع.

"هاي زين.. إيه أخبارك؟ أنا بتصل عشان أفكرك إن معاد تجديد اشتراك النادي خلاص قرب يعَدي.. أنا حاول أجددهولك ف الهايتس، بس الإدارة رفضت عشان المشكلة الأخيرة.. خالو عادل ممكن يتوسطلك عندهم، بس إنت لازم تبقى موجود.. بليز، أول ما ترجع كلمني ضروري.. باي"

بـدا عليـه شيء مـن السـأم.. نهـض مـن مقعـده متجهًـا إلى بـاب مغلـق لغرفـة جانبيـة.. خاطبـه الكمبيوتـر بـذات الصـوت الأمومـي الحنـون:

الشاور جاهز، والمية دافية.

لم يعلـق.. فتـح البـاب المغلـق، ودلـف إلى الغرفـة ليتوقـف أمـام الفـراش الـذي يتوسـطها، وتأمـل (في ضـوء الأباجـورة الموضوعـة عـلى الكومودينـو) الجسـد المسـجي عليـه، والملفـوف بكاملـه تقريبًـا بالأربطـة والضـمادات.

أخبارها إيه يا ماما؟

الدكتـور بيبجـي يوميًـا للمتابعـة، وممرضـة الشـيفت المسـائي هتوصـل خـلال دقايـق.

أطلّـت لمحـة مـن الإشـفاق مـن عينيـه.. مـر بسـبابته عـلى الكـف الدقيـق الملفـوف بالشـاش.

-٧-

سألها:

ليه النضارة؟

تحسست الإطار الداكن الدقيق بأناملها، وابتسمت بدلال قائلة:

وحشة؟

ابتسم بدوره وقال:

لا خالص، مش القصد.. أنا بس مش فاكر اني شوفت حد لابس نضارة طبية، يمكن من أكتر من 20 سنة.

- النضارات والعدسات وكل البصريات دي انقرضت من زمان.. عمليات الليزك حلت مشكلات ضعف البصر للأبد.

- ماده اللي بقوله! ليه بقى إنتي لابسة نضارة؟!

خفضت السيجارة بين أصابعها ونفثت عمودًا من الدخان من بين شفتين مضمومتين مصبوغتين، لم تلبثا أن انفرجتا عن ابتسامة وهي تقول:

- بلبسها ف البيت ساعات Just for fun.. بحسها بتِدي جاذبية معينة لوِش البنت.. بتخليه more sexy وكده.

بدا الإعجاب واضحًا على صورته الهولوجرامية المجسمة وهو يقول:

- ده حقيقي.

-ميرسي.

قالتها بمزيج من خجل وانتشاء ودلال، ثم تساءلت مغيرة الموضوع وكأنما لتداري انتشاءها:

- عيد ميلاد مريومة كان عامل إزاي؟

- لطيف.

رفعت ساقها اليسرى إلى المقعد، وثنت ركبتها لتضمها إلى صدرها وهي تقول بمرح:

- تفاصيل يا رِخِم!

مر بأصابعه بين خصلات شعره فضية اللون وهو يقول:

- عادي، الكامب اهتموا بكل التفاصيل.. التورتة، الشو، اللبس.. واخدين مني شيك برقم مش بطال أبدًا.

تنفث مزيدًا من الدخان:

- وإنتو عملتم إيه؟

إحنا مجرد نزلنا من البيت، قعدنا شوية ورجعنا.

رفعت حاجبيها المزججين بعناية قائلة:

بَطّل بقى! دي بنوتك!

- بنوتي فرحت وانبسطت ولعبت مع أصحابها وقضت يوم عيد ميلاد حلو ورجعت البيت مبسوطة آخر انبساط.

هزت رأسها وهي تنفض الرماد من على طرف سيجارتها في قلب المطفأة البلورية على المنضدة أمامها وقالت:

مش مصدقاك بجد! بعد كل كلامنا الأيام اللي فاتت؟!

زفر قائلاً:

- مفيش! حاولت يا إيمان ومقدِرتِش.. ده سقفي.

وابتسم بمرارة مستطردًا:

- ومتقلقيش، مامتها قايمة بالواجب وزيادة.. والبنت واصلالها دوز كير تكفي مدرسة بنات!

ابتسمت مغمغمة بإشفاق:

- البنت ملهاش دعوة بأي مشكلة بينك وبين مامتها، ولازم تخليها تحس دايمًا إنك مهتم بيها.

تنهد قائلاً:

- بكرة تكبر وتفهم.

متكلمتوش تاني؟

- مَعندهاش استعداد تتكلم أساسًا.

هي اللي معندهاش ولا إنتَ اللي معندَكش؟

ردد بدهشة:

- أنا مَعَنديش؟!

نفثت الدخان مجددًا وقالت:

- أيوه معندكش استعداد تاخد أي خطوة يا يحيى! إنتَ خلاص سَستِمت نفسك على إن حياتك وعلاقتك برضوى وصلت لطريق مسدود، لمجرد إن فيه ميس كوميونكيشن بينكو ف كام موقف كده.

رفع حاجبيه قائلاً:

- أنا يا إيمي؟! يا ربي! ده أنا حَكيتلِك كل حاجة!

هزت رأسها قائلة بإصرار:

- وعشان حَكيتلي كل حاجة بقولَك إنت اللي لازم تاخد خطوة لقدام.. مش معنى إنها مش مركزة معاك إنك تكبر دماغك منها.. لازم تفهم

كويس إنك ليك متطلبات غير الأكل والشرب واللبس.

- ودي حاجة محتاجاني أفهِمهالها؟!

آه يا سيدي! نصيبك بقى! تعمل إيه؟! تشتري دماغك وتبيع بيتك، وتسيب بنتك تتعقد وتكبر وسط أب وأم مش طايقين يبصوا ف وِش بعض؟! ولا تستجدع كده وتطول بالك على مراتك عشان تغير طريقتها معاك؟!

قال بحنق:

يا ستي حاولت، والله العظيم حاولت!

تحاول تاني وتالت وعاشر.. دي بنتك وده بيتك يا ابني!

صَمَت.. زفر بحنق، وسحبت هي نفسًا عميقًا توهج له طرف السيجارة بين شفتيها، نفثت على أثره سحابة كثيفة من الدخان.. تأملها بنظرة طويلة ثم قال بلهجة مغايرة:

على فكرة إنتي وحشتيني.. وأوي.

صمتت للحظة قبل أن تقول بخفوت:

وانت كمان

عارفة أنا بقالي أد إيه مشوفتكيش؟

رفعت أصابعها لتزيح خصلة نافرة من على جبهتها وهي تقول بعينين لامعتين:

إسبوعين.

سبعتاشر يوم.

ينفع كده يعني؟!

زمت شفتيها وبدت على ملامحها للحظة علامات صراع ما، قبل أن ترسم ابتسامة مرتبكة على شفتيها وتقول:

إنت معندَكش شغل بكرة ولا إيه؟

ضحك ضحكة خفيفة وهو يقول:

- قديمة أوي الطريقة دي.

ضحكت بدورها متسائلة:

مش هتاكل معاك يعني؟!

أي حاجة تجيني منِك هاكلها أكل.

رفعت كفها محيية بحركة مسرحية وهي تقول مداعبة:

- مطرح ما يسري يمري يا سيدي.

ضحكا معًا مرة أخرى، قبل أن تسأله:

قولي بقى بجد.. الشغل ماشي كويس؟

الحمد لله، السوق متذبذب شوية بس under control.

تمتمت أن الحمد لله، ثم خلعت نظارتها الطبية وهي تقول:

- بكرة يوم مشحون.. شكلي كده هقولَك تصبح على خير.

ابتسم قائلاً:

- وانتي من أهل الخير.. بس خلي بالك، مش هتهربي مني كتير.

أنهيا الاتصال، تابعت هولوجرامه وهو يذوب ويتبدد.. ظلت جالسة إلى مقعدها لدقيقة تحدق في الفراغ أمامها بشرود وثمة بقايا ابتسامة عالقة ما زالت بشفتيها وعينيها.. نهضت لتعبر فراغ غرفة المعيشة المتسع، مرت بالأثاث القليل المنسق بعناية، والجيتار الرقمي المثبت في فراغه المخصص بالحائط، في طريقها إلى الشرفة.

داعبها هواء الليل البارد، فسرت قشعريرة في جسدها أسفل ثيابها المنزلية البسيطة، التيشرت والبنطلون القطني فاتح اللون.. أحاطت كتفيها العاريتين بذراعيها ووقفت تحدق في المشهد الأخاذ من حولها لأضواء القاهرة المتلألئة في ظلام الليل من على ارتفاع سبعة وعشرين طابقًا.

بقايا ابتسامتها؟ .. ذابت تمامًا.

-٨-

(تسجيل هولوجرامى قديم):

فتاة شابة ضئيلة الجسد، شاحبة الوجه، سوداء الشعر قصيرته، تجلس صامتة في رداء مستشفى أبيض أمام طبيب ثلاثيني هادئ الملامح، يجلس معتدل الظهر خلف مكتبه.. ممرض له جسد مصارع يقف قرب باب الحجرة.

حياة.

يخاطبها الطبيب، فلا ترد.. يكرر نداءه بصوتٍ أعلى، فلا يبدو عليها أنها سمعته، لا تنظر إليه من الأساس.

ينهض من مقعده، يدور حول المكتب ليجلس على المقعد المقابل لها.

حياة.

يربت بكفه على أصابعها المستكينة على طرف المكتب.

(برفق): إنتي لازم تساعديني عشان أقدر أساعدك.

تحدق في أصابعه، ثم ترفع ببطء عينين زجاجيتين إلى وجهه.. تنفرج شفتاها.. تهمس:

- تساعدني!

يهز رأسه قائلاً بابتسامة مشجعة:

- طبعًا.. أنا هنا عشان أساعدك.

تمر ثوانٍ.. تتماسك نظرتها.

- سيجارة.

- نعم؟!

- عاوزة سيجارة.

(مرتبكًا): بس التدخين ممنوع هنا ف المستشفى.

ثم يتنهد.. يرفع عينيه إلى الممرض الواقف قرب الباب.

- سيجارة من فضلك يا منعم.

يبتسم الممرض وهو يتقدم مخرجًا علبة سجائره، يمد بواحدة نحو حياة، ثم يشعلها لها، ويعود إلى وقفته الأولى.

يراقبها للحظات وهي تمتص السيجارة بجشع، وتنفث الدخان بكثافة سحابة وراء سحابة.. يبتسم قائلاً:

إنتي خرمانة أوي كده؟!

لا ترد.

ممكن تحكيلي عن الأصوات اللي بتكلمك؟

تستدير إليه بعينيها.

بتكلمني!

- الأصوات اللي بتسمعيها ف ودانك.. بتقولِك إيه؟

تصمت للحظات، قبل أن تهز رأسها.

- مش بتقولي حاجة.

وتكور شفتيها.. تدفع من بينهما بعمود من الدخان.. تستطرد بلهجة تقريرية:

مش بتكلمني.

يحدق بدهشة في التعبير المحايد الذي يفترش ملامحها.. يبتلع دهشته بمهنية يُحسد عليها، ويتساءل بهدوء:

- أومال بتكلم مين؟

تخبط جانب السيجارة بأوسطها برفق لتسقط عمود الرماد المتدلي منها على الأرضية.. تجيب بهدوء مماثل:

- مش بتكلم حد.. مش بتتكلم أصلاً.0

وزحفت كرتا عينيها على حوائط المكان ذاتية الإضاءة، وكأنها تبحث عن شيء ما وهي تسأله:

- إنت مش سامع؟

- سامع إيه بالظبط؟!

تحدق في عينيه مباشرة، تقول بحدقتين متسعتين:

- الأنين.

لدهشته، يتراجع أمام سواد عينيها بشيء من الذعر.. يردد مأخوذًا:

الأنين!

آه الأنين.

وبحركة مباغتة تثب من مكانها برشاقة لتعتلي جسده، تكتم فمه بكفها اليسري، وبأصابع اليمنى تدفن السيجارة المشتعلة في راحته.

ينتفض جسده ألمًا، وتجحظ عيناه.. يئِن بعنف، ويتداخل أنينه مع صرختها المفاجئة:

- أنين زي ده.

وفي اللحظة التالية يتحرر منها عندما يحتويها الممرض منعم بين

ذراعيه المفتولتين ويحملها ببساطة كما لو كان يحمل طفلة صغيرة.. تقاوم بشراسة، تطوح رأسها وساقيها صارخة بهيستريا:

الأنين مبيخلصش.. مبيخلصش.

تاخد مهدئ بسرعة، وتروح أوضتها يا منعم.

يقولها الدكتور وهو يعتدل ويتحسس راحته المحترقة بألم، بينما تواصلت صرخاتها وهي تبتعد بين ذراعي الممرض:

إنتو مبتسمعوش عشان ضمايركو ماتت.. ضمايركو ماتت.

-٩-

ثلاثين دقيقة أمضاها الكابتن زين في الركض في الشوارع الخالية في تلك الساعة المبكرة من الصباح.. في ثوب رياضي بسيط ملتصق بجسده بفعل العرق الغزير الذي ينضح من مسامه، وأديداس رماديّة، وبسماعة MP7 دقيقة في الأذن اليسرى، وزجاجة مياه بلاستيكيّة بين أصابع اليد اليمنى، دار دورة أخيرة حول صف من الشجيرات، وعَبَر بوابة حديقة البناية.. صعد لشقته بالطابق الثاني.

(بصوت متهدج): الله يسلِمك يا ماما.

مجيبًا تحية كمبيوتر الشقة، ثم:

الشاور بسرعة بليز.

حالاً، حبيبي.

اتجه إلى الغرفة الجانبية، طرق الباب ثم دخل.. ألقى تحية الصباح على الممرضة الشابة الجالسة إلى المقعد المجاور للفراش.

إيه الأخبار؟

أجابته بصوت منهك:

-الحمد لله.

وأشارت إلى الجسد الممد على الفراش، واستطردت:

-المعدلات الحيوية بتتحسن، والجروح بتلتئِم.. امبارح بالليل فاقت

شـوية وطلبـت تـشرب.

تنهد، شكرها بوجه حمل علامات الرضا.. قالت:

أنـا اسـتنيت حضرتـك ترجـع عشـان أبلغـك إني هنـزل دلوقتـي.. نـيرس الشـيفت الجديـدة هتوصـل خـلال دقايـق إن شـاء اللـه.

اسـتحمم سريعًـا، وخـرج ليجـد النسـكافيه سـاخنًا بانتظـاره في الغلايـة، والخبـز محمصًـا في آلـة التحميـص.. قـال آمـرًا الكمبيوتـر:

- تليفزيون.. ناشيونال جيوجرافيكس.

ثـم جلـس يتنـاول إفطـاره ويرشـف النسـكافيه وهـو يشـاهد التليفزيـون المجسـم.. قبـل أن يفـرغ مـن طعامـه، ارتفـع أزيـز جـرس البـاب.. تسـاءل:

النيرس؟

أجابه الكمبيوتر بالصوت الأمومي الحنون:

لا يا حبيبي.. دول أربع أفراد.

تكونـت في الفـراغ صـورة هولوجراميـة مجسـمة التقطتهـا الكاميـرا المثبتـة في المدخـل.. أربعـة أفـراد.. رئيسـه المبـاشر الكابـتن خالـد، ورفاقـه الثلاثـة شـادي، مصطفـى، وليـد، في أرديتهـم الرسـمية السـوداء.

شـعر بالدهشـة لقدومهـم إليـه في منزلـه للمـرة الأولى، وفي مثـل هـذا التوقيـت، ولكنـه ابتلـع دهشـته بسرعـة وقـال للكمبيوتـر:

افتحيلهم، ودخليهم الريسبشن.

و...

اقفلي باب الأوضة.

نهـض سريعًـا ليغسـل يديـه، وبينـما يجففهـما سـمع الكمبيوتـر يـردد عبـارات الترحيـب المسـجلة.. رسـم ابتسـامة ترحـاب عـلى شـفتيه وهـو

يخطـو داخـل الريسبشـن، حيـث نهـض خالـد ووليـد لمصافحتـه.

تساءل بدهشة:

- أومال فين مصطفى وشادي؟!

ابه وليد:

- تحت مستنيينا ف العربية.

- مطلعوش ليه؟!

أصلنا مش هنتأخر عليهم.

قالها الكابتن خالـد وهـو يسـترخي في مقعـده، فـاردًا سـاقيه داخـل حذائه العسـكري الثقيـل.. رفـع السـيجار المشـتعل بـين أصابعه:

- أنا سمحت لنفسي أدخن بعد إذنك يا زين.

أسرع يردد:

- البيت بيتك يا كابتن!

شكره الكابتن، ثم ابتسم وهو يلوِّح بسبابته في الهواء مستطردًا:

لطيـف صـوت الكمبيوتـر الـلي انـت بتسـتعمله.. ده مـن اسـتوديو الشركـة؟

- لا أنا طلبته مخصوص من مهندس الصوت.

- قريب من صوت حد معين؟

آه.

وصمت للحظة ثم أردف بخفوت:

- صوت ماما الله يرحمها.

لم تفُتـه النظـرة السريعـة التـي تخاطفتهـا أعينهـما لجـزء مـن الثانيـة،

بينـما شـفاهما تتمتـم بـ"اللـه يرحمهـا"، ولكنّـه لم يتوقـف عندهـا.. نهـض مـن مقعـده قائـلاً:

- الكلام خدنا، ومسألتكوش تشربوا إيه!

- مفيش داعي.

- لا إزاي؟ لازم تقولوا.

نهض وليد قائلاً بأريحيّة مفاجئة:

- أنـا هجيـب حاجـة سـاقعة م التلاجـة.. (ضحكـة صفـراء) مـش البيـت بيتنـا، ولا إيـه؟!

نظر إليه زين للحظة قبل أن يعود لمقعده قائلاً بابتسامة باهتة:

- طبعًا!

تحـرك الشـاب بنشـاط باتجـاه المطبـخ، وتابعـه زيـن بعينيـه للحظـة، قبـل أن ينتبـه إلى أنَّ الكابـتن خالـد يخاطبـه:

واضح إنك كنت مرتبط بوالدتك جدًا.

تنهد زين وهو يلتفت إليه قائلاً:

- ده حقيقي.

(يضـع سـاقًا فـوق سـاق): إنـت لازم تفكـر جديًـا تمـلا فـراغ حياتـك يـا زيـن.. مـش نـاوي تتجـوز؟!

- ما إنت عارف اللي فيها يا كابتن.. جربت حظي خلاص.

جرب تاني يا أخي!

(يبتسم): مفيش نِفس.

غمز خالد بعينه قائلاً:

- ف عينك كده!

حدّق زين في وجهه بحيرة، فاستطرد:

مفيش حاجة حصلت كده اليومين اللي فاتوا؟!

- (بارتباك): حاجة إيه وإمتى يا كابتن خالد؟! هوَ الشغل مدينا فرصة ناخد نفسنا؟!

نفث دخان سيجاره مبتسمًا بسخرية:

يمكن حاجة ف الشغل يا سيدي.

تجمدت الابتسامة الحائرة على شفتي زين؛ قال بصعوبة:

- حاجة ف الشغل إزاي؟!

عاد وليد في هذه اللحظة إلى الريسبشن، وقال بلهجة جادة مخاطبًا الكابتن:

باب الأوضة مقفول.

شحب وجه زين وهو ينقل بصره بينهما، وشعر بحلقه جافًا تمامًا.. حدق في عينيّ الكابتن خالد المسلطتين على وجهه، تساءل بصعوبة:

هو فيه إيه بالظبط؟!

خرجت منه الكلمات خافتة، مختنقة.. عقد وليد ساعديه أمام صدره وهو يرمقه بتحدٍ، في حين نفث الكابتن خالد مزيدًا من دخان السيجار ثم قال:

- بلاش تضيع وقتك ووقتنا يا زين.

- يعني إيه؟!

قال ضاغطًا على حروف كلماته:

- يعني تقول لماما تفتح لنا باب الأوضة المقفولة.

*****

-١٠-

طـرق مُعتَـز حشـاد بـاب غرفـة رئيـس التحريـر، ثـم دلـف عـلى الفـور مـن دون انتظـار الإذن بالدخـول، لعلمـه المسـبق بـأنّ لا رئيـس التحريـر ولا مرؤوسـيه الملتفـين حـول مكتبـه انتبهـوا لطرقاتـه عـلى البـاب..

عـشر دقائـق قضاهـا يمـارس أنشـطة مهمـة جـدًا مـن قبيـل التثـاؤب، حـك كعـب حذائـه في الموكيـت القديـم حائـل اللـون، حـك فـروة رأسـه بظفـر بنـصره الطويـل، وفقـع الحبـة الناميـة أسـفل أنفـه... إلـخ. عـشر دقائـق، انتهـي الـmeeting بعدهـا، وغـادر رؤسـاء الأقسـام بعدهـا، وبقـي مُعتَـز (لم تفُتـه النظـرات التحتيـة التـي رمقـوه بهـا لـدى مرورهـم بـه) وقـد نفـض عنـه بقايـا الكسـل، واعتـدل في وقفتـه مـن دون أن ينبـس بحـرف.

قـال لـه رئيـس التحريـر مـن دون أن يرفـع عينيـه عـن الشاشـة الهولوجرافيـة أمامـه:

عايز حاجة يا معتز؟

تقدم مُعتَز منه وقال مغالبًا بحة في صوته:

- صباح الخير يا ريس.

لم يـرد رئيـس التحريـر الخمسـيني، اسـتمرّ يتنقـل بأصابعـه بـين الصفحـات المجسـمة، فتنحنـح مُعتَـز قائلاً:

- أنا كنت عايز أعتذرلك بس يا ريس عشان اليومين اللي فاتوا.

لم يبد على الرئيس أنه سمع حرفًا، فتابع:

أنا والله كُنت تعبان وعندي حرارة، وكلمت حتى كاميليا بلغتها.

- سلامتك!

لفظها الرئيس باقتضاب كأنه يبصقها، واستمر في عمله، واستمر الشاب واقفًا في مكانه.

- حاجة تاني يا معتز؟!

أسرع يقول:

شغل يا ريس! (يضحك بافتعال) أنا كده قاعد عاطل!

مش ده اللي إنتَ عايزه؟!

(بوجوم): اللي هو إيه بالظبط؟!

إنك تقعد ف بيتكو وآخر كل شهر تنزل تسحب مرتبك من أقرب ATM!

هتف بانزعاج:

أنا؟! ليه بتقول كده بس يا ريس؟!

- مش أنا اللي بقول.. ده الريبورت بتاعك.

وأدار الشاشة الهولوجرامية نحوه مستطردًا:

- دا التايم ساكدجيوال بتاع الـ3 شهور اللي فاتوا.. 21 يوم غياب.. و8 أيام "بس" حضور ف معادك.. معدل الإنتاج: صفر.

يا ريس!

- معتز، وفر بليز كل الكلام اللي هتقوله لأني عارفه ولأني مش فاضي.. ريح نفسك، أنا مش هطلب منك شغل لأنك مش بتاع شغل.. خليني أكون صريح معاك؟ إنت عارف كويس إنه لولا إن مدير أكبر وكالة إعلان بتتعامل مع الموقع بتاعنا هو اللي طلب تعيينك بشكل شخصي،

مكنتش كملت معانا شهر.. إحنا موقع صغير، وفلوسنا مش كتيرة عشان نبعزقها على صحفي بينزل من بيتهم بالعافية.

يا ريس والله العظيم ظروفي كانت وحشة و...

- متكلمنيش عن ظروف ومش ظروف، I do not give a shit.. ويكون ف علمك، أنا هقابل مستر شاكر الأسبوع الجاي، وهكلمه عنك.

هتف معتز بضراعة:

اديني فرصة أخيرة يا إبراهيم بيه.. فرصة واحدة أخيرة، وأوعدك إني هعمل تحقيق هايل.

رمقه رئيس التحرير للحظات، قبل أن يلقي نظرة على أرقام ساعته ثم يقول بحسم:

قدامك 48 ساعة.. تقب وتغطس وترجعلي بشغل، ومش أي شغل.. عايز تحقيق يكسر الدنيا، يلف النِت وياخد الأعلى مشاهدة بعد دقايق من رفعه.. مفهوم؟

أسرع معتز يقول بحماس:

مفهوم.

- 48 ساعة يا معتز.

- 48 ساعة يا ريس.. بس فيه حاجة.

إيه تاني؟

- هحتاج جاسوس.

*****

-١١-

خلف مكتبها الواقع في الطابق التاسع والثلاثين من ذلك البرج الشاهق المكسوة واجهته بالزجاج، والمطل على كورنيش المعادي، جلست إيمان في توب أبيض يعلوه جاكيت رمادي وجوب قصير بنفس لون الجاكيت، تتفرس بعينين فاحصتين في هولوجرام مجموعة من الرسومات ثلاثية الأبعاد لمبنى ما.

الرسومات تتوالى، تكبر وتصغر إثر نقرة وأخرى من سبابتها ذي الظفر المطلي بمانيكير داكن.. على المقعد المقابل للمكتب استرخت زميلتها هند واضعة ساقًا على ساق، تتشاغل بالنظر إلى السماء الصافية عبر الحائط الزجاجي للغرفة، ومتابعة خط المترو الطائر الذي يمر قرب ضفة النيل الأخرى، ومن آن لآخر تمد أصابعها داخل علبة مفتوحة على المكتب تحمل لوجو مونجيني، وترفعها ممسكة بميني سندوتش إلى فمها وتمضغ ببطء.

دقائق قليلة، انتهت إيمان بعدها من مراجعة اللوحات، نقرت بضعة أزرار على لوحة المفاتيح المجسمة، ثم أجرت اتصالاً:

آا يا عصام.. أنا خلاص راجعت الرسومات.. آه، كل الكومنتس اتصلحت.

أشارت لهند بمعنى أن خلاص قربت، فابتسمت لها الأخيرة متفهمة.

لا، خط التهوية رقم 3 مكانش فيه مشكلة أصلاً.. آه.. اتأكدت.. خلاص، أنا دخلت كود الكواليتي كونترول وبَعَتّ الإيميل لمستر مصطفى

عشان يـconfirm الشغل.. (تنظر في ساعتها) قدامنا 28 دقيقة على ميعاد التسليم.. يلا ربنا معاكو.. باي.

تلاشى هولوجرام المهندس الشاب، وعادت هي لصديقتها معتذرة:

-أنا آسفة!

- (تبتسم): آسفة على إيه؟! إنتي اللي البريك بتاعك انضرب يا مسكينة.

تناولت قطعة من الميني سندوتش التهمتها بنهم وهي تقول:

الكاستمر ملوش دعوة ببريك ولا بغير بريك.

وابتسمت مستطردة بشدقين متكورين:

- وبعدين أنا head department.. يعني أعمل اللي أنا عايزاه.. ياكش حتى آخد اليوم كله بريك.

- يا جامد!

ضحكتا معًا، ولثوانٍ انهمكتا في مضغ سندوتشات التونة والسوسيس والجبنة بالزعتر، وشرب الشاي في مَجَين خزفيين موضوعين على سطح المكتب، قالت هند بصوت حالم:

- سيجارة بقى، ويبقى الكوكب ده هو الأحلى ف درب التبانة.

أشارت إيمان إلى لافتة no smoking وفمها منشغل بمضغ الطعام، فدمدمت هند بسخطٍ مفتعل:

أومال head department إيه بس؟!

وأشارت بسبابتها مطلية الظفر إلى ضلفة النافذة الزجاجية المفتوحة قائلة:

- والشباك المفتوح ده ليه بقى؟

كولستروفوبيا.

- إنتى لسه مخلصتيش م القصة دي؟!

- ومش هَخلَص شكلي.. الدكتور تقريبًا يئِس مني.

ساد الصمت قليلاً، ثم تساءلت هند بشغف:

- مقولتيليش صح، أخبار المُز إيه؟

رشفت إيمان من مَج الشاي وخفضته قائلة:

كويس.

لسه بتتقابلوا؟

- مش كتير.. الشغل زي ما انتي شايفة.

بس بتتكلموا فون.

كل يوم.

غمزت هند بعينها قائلة بلهجة عابثة:

طب إيه؟!

إيه؟!

إمتى؟!

إمتى إيه؟!

- متستعبطيش يا إيمي!

- مفيش حاجة م اللي ف دماغك الوسخة دي!

ضحكت:

أيوه ما أنا عارفة إنه مفيش.. عشان كده بسأل إمتى هيبقى فيه!

تنهدت قائلة:

مش هيبقى فيه.

رفعت حاجبيها وهي تتساءل:

- ليه؟!

أطرقت إيمان بعينيها أرضًا ولم ترد، فتابعت هند:

- إنتي يا بنتي مش قولتيلي إنه وهمي؟! ذكي ومختلف وناجح وحنين وhandsum ومش وسخ؟!

أومأت إيمان برأسها مؤيدة، فرددت هند:

مش ميال ليكي؟!

هزت إيمان رأسها نافية.

إنتي مش ميالة ليه؟!

متنيلة!

طب إيه بقى؟!

غمغمت إيمان:

- عشان هو مش وسخ، مينفعش أبقى أنا وسخة.

- وسخة ليه؟!

صمتت إيمان لثوانٍ، قبل أن تخرج علبة السجائر من حقيبتها وتسحب واحدة لتدسها بين شفتيها أمام عيني صديقتها المستنكرتين.

Head department.

قالتها وهي تشعل السيجارة وتهز رأسها مبررة، فابتسمت هند وهي تشعل سيجارة أخرى نفثت دخانها وتراجعت برأسها للخلف، وهي ترمق صاحبتها التي صمتت لثوانٍ أخرى ثم قالت بخفوت:

- يحيى متجوز.

- إيه؟!

كررت بصوت أعلى:

- متجوز، يحيى متجوز.

-(تنفث دخان السيجارة): so؟!

متجوز يا بنتي!

- So؟! ما سامح كان متجوز!

- سامح متجوز، بس هو أصلاً مكانش بتاع جواز.. اتصدم شوية بالحقيقة دي وبعدين تأقلم على إن جوازته حبر على ورق وقرر يعيش حياته زي ما هو عايز.

ونفثت عمودًا من الدخان من بين شفتيها المضمومتين وقالت:

- يحيى غير.. يحيى زوج وأب.. family man.. عنده شوية مشاكل مع مراته، هرشة السبع سنين، أزمة منتصف العمر، so what؟ دي حاجة بتحصل كل يوم ف كل بيت ومع كل الناس، ولما بتتعالج صح بتعدي من غير خساير.

ساد الصمت بعدها للحظات، تكاثفت خلالها سحب الدخان في المسافة الفاصلة بينهما، قبل أن تتساءل هند وهي تنفض بقايا الرماد العالقة بطرف السيجارة في منفضة على سطح المكتب:

- حب؟

- مش عارفة!

فعلاً؟!

لم ترد إيمان على الفور، نفثت مزيدًا من الدخان ثم قالت بصوت

متهـدِج:

- عنـدي حالـة شـغف بيـه.. متخيلـة؟! شـغف! مـش مُـز زي سـامح، مـش غنـي حـرب زي زفـت الطـين هيثـم.. family man في منتصـف العمـر، متكحـرت ف الفلـوس، وبكـرش! بـس عنـده حالـة مـن السـلام الداخـلي مـش طبيعيـة.. أبيـض، مـش عبيـط، مـش غبـي، اشـتغل وسـافر وشـاف كتـير، بـس جـواه حاجـة نضيفـة متلمسـتش، حاجـة بحسـها بتطهـرني لمـا بتكلـم معـاه، عارفـة نفـسي ف إيـه؟

(بخفوت): إيه؟

إني أنـام، واريّـح راسي عـلى رجلـه، وأسـمعه وهـو بيتكلـم ويتكلـم وصوابعـه بتحسـس عـلى شـعري لغايـة مـا أروح ف النـوم.

نظـرت إليهـا هنـد بتأثـر ثـم غلبهـا حـس الدعابـة، فقالـت بابتسـامة عابثـة:

المهـم بـس المشـهد يعـدي عـلى خـير.. أنـا واثقـة فيـه، بـس مـش واثقـة فيكي !

قالت إيمان مبتسمة:

- لا متقلقيش، الـvibrator رجع م الصيانة.

جلجلـت ضحكتيهـما صافيتـين منطلقتـين ، وسـارعتا بوضـع أصابعهـما عـلى فميهـما لتكتـما الصـوت المجلجـل.. سـاد الصمـت للحظـات قبـل أن تلتقـط هنـد نفسـا عميقًـا وتتسـاءل:

طب وهو؟!

تنهدت قائلة:

بيحبنـي.. مقالهـاش بصراحـة، بـس عينيـه قالتهـا، ابتسـامته قالتهـا، تـون

صوته قالها.. اهتمامه.. قلقه.. خوفه.

مش شرط، دي طبيعة مرحلته العمرية.. الرجالة ف السن ده بتحب على روحها.

هزت كتفيها وهي تقول:

ممكن!

وتراجعت مريحة رأسها على مسند مقعدها وقالت:

وحتى لو! أنا أدمنت إحساسي معاه.

وبعدين؟ أدمنتي إحساسك معاه، وف نفس الوقت مش عايزة تقتحمي حياته أكتر عشان متبوظيهاش! هتحليها إزاي دي؟!

دفنت إيمان بقايا سيجارتها في المطفأة وأجابت بهدوء:

هحلها بإني أحافظ على المسافة بيني وبينه.. أحافظ على مقعد الصديقة.. نتكلم كل يوم، أسمعه ويسمعني.. أنصحه وينصحني، من غير ما اللي بيننا يتطور لأكتر من كده.

بس اللي بينكو already تجاوز المرحلة دي!

يرجع تاني.

ارتفع أزيز الهاتف في هذه اللحظة، التقى حاجبا إيمان وهي تنظر إلى الرقم، فتساءلت هند بشغف:

هو؟!

هزت إيمان رأسها نافية وهي تقول:

لا، دي خالتي.

والتقطت سماعة أذن دقيقة دستها في أذنها اليمنى مستطردة:

بتستعمل phone قديم من غير هولوجرام!

ثم.

- آا يـا شوشـو.. وعليكـم السـلام ورحمـة اللـه.. إزيـك؟ أنـا كويسـة الحمـد للـه.. آه معلـش، إنتـي عارفـة الشـغل وقرفـه.. معـاكي حـق (بضجـر).. أنـا.. أيـوه واللـه.. طيـب.. جنـازة إيـه؟! مـين؟! الهـلالي؟ آه.. مـش ده بتـاع الـ..؟ إممـم.. دي إمتـى؟ (تنظـر في سـاعتها).. مـش عارفـة واللـه يـا خالتـو، الوقـت ضيـق.. لا لا.. اسـتني طيـب.. طـب إنتـي فـين دلوقتـي؟ (تزفـر بحنـق) ماشي، حـاضر.. هعـدي عليـكي ونـروح سـوا.

-١٢-

تجاوزت الطوافة المجال الجوي للعاصمة، ثم أطلق الطيار لها العنان، وسرعان ما استحالت الأرض للناظر من نوافذها إلى سجادة رملية ذهبية مترامية الأطراف، تلمع تحت أشعة شمس الصباح.

بالداخل، اضّجع الكابتن خالد في مقعده واضعًا ساقًا على ساق، وراح يدخن سيجاره وهو ينقل بصره بين رجاله الثلاثة، وليد وشادي ومصطفى، (الذين توزعوا في أرجاء الطوافة ما بين منظفٍ لسلاحه ومسترخٍ في مقعده ومعتنٍ بالجسد الضعيف الذي اصطحبوه معهم من الغرفة المغلقة بمنزل زين)، ورابعهم زين نفسه، المنكمش بين ذراعيّ كرسيه قبالة الكابتن خالد مباشرة.

نفث الكابتن دخان سيجاره، ثم تساءل:

ليه يا زين؟

رفع زين عينين زائغتين متسائلتين، فأومأ برأسه تجاه الجسد الملفوف بالضمادات.

- ليه زورت تقرير الوفاة، وهَرّبت البطارية دي م المزرعة؟

نظر زين إليه، وحاول أن يفتح فمه ليقول أي شيء ولكنه لم يستطع، فأطبق شفتيه.

ابتسم خالد والدخان يتراقص خارجًا من طاقتيّ أنفه.. وقال:

- إنت عارف إنك محيرني من زمان؟

- محيَّرك!

كذا ردد لأول مرة منذ صعوده على مَتن الطوافة، بصوت أجش حائر.

زي ما بقولك كده.. من أول ما ابتديت شغلك معايا.. تفتكر من كام سنة؟!

قال وليد المسترخي في مقعده عن قرب:

تسع سنين يا كابتن.

برافو وليد.

ثم نفث مزيدًا من الدخان.

كنت غير زمايلك يا زين.. زمايلك اللي الشركة استلمتهم من دور الأحداث ورعاية الأيتام وأخضعتهم لاختبارات وبرامج تدريب عسكرى متطورة أهّلتهم إنهم يبقوا صيادين في Egy-Nergy.. إنت كنت مفصول من سنة أولى شرطة عشان ضربت مدربك وزمايلك.

نظرة مُقت أطلت من عيني وليد.

ارتجت الطوافة رجّات خفيفة متتالية، وانفتح باب كابينة القيادة بنعومة مصحوبًا بأزيز، وارتفع صوت الطيار من داخلها قائلاً بمرح:

- تسع دقايق وأربعة وتلاتين ثانية يا دَرش.

ألقى مصطفى نظرة على أرقام ساعة يده، ثم مط شفتيه وعاد إلى الجسد الذي بدأ يستعيد شيئًا من وعيه، وانبعث أنين ضعيف من بين شفتيه.. صاح الكابتن خالد متسائلاً:

- بدري أد إيه عن المرة اللي فاتت يا عبد الله؟

أجابه الطيار مبتهجًا:

- اتنين وعشرين ثانية يا كابتن.

قال له شادي المنهمك في تنظيف سلاحه:

- حلال عليك الرهان يا عم.

دمدم مصطفى بسخط وأصابعه تملأ محقنًا بسائل شفاف:

- حلال ورهان do not mix!

ضحك زملاؤه الثلاثة، شادي ووليد وعبد الله، في حين اكتفى الكابتن خالد بابتسامة هادئة وعاد إلى زين قائلاً:

- العنف.. اللي لاحظته عليك كان العنف.. مش أي عنف.. كل زمايلك عندهم درجة من درجات العنف في أدائهم، جايز يكون مرتبط بالتنشئة اللي طلعوا عليها.. جايز يكون إخلاص زيادة ف الشغل.. لكن ف النهاية، عنفهم كان خاضع لمهنيتهم.. لاحترافيتهم.. إنت بقى، غير.

تركز بصر زين على أسنانه السفلى غير المنتظمة الأشبه بقواطع حادة من حولها إطار من شعيرات لحية غزاها البياض.

خليني أعترفلك اعتراف.. إنت صياد شاطر.. الأشطر يمكن من بين زمايلك، دي نتايج تدريباتك واختباراتك.. ورغم كده إنتاجك دايمًا الأقل بين إنتاجهم.. جواك غضب.. جواك غِل.. مسيطرين عليك.. بيحركوك.. إنت مش بتصطاد عشان تحقق أعلى نسبة بطاريات زي شادي ومصطفى ووليد.. تؤ.. بتصطاد كنوع من تفريغ الغضب.. من الانتقام.

- وَحش!

قالها شادي ساخرًا وهو يرش قطرات من الزيت على فوهة السلاح.. وعلى عكس مرؤسيه، لم يبتسم الكابتن خالد حتى.. تابع وكأنه لم يسمع:

بتنتقم من مين يا زين؟ ده السؤال اللي كان محيرني بشأنك.. ولما زُرناك أنا ووليد فـ البيت وسمعت الصوت اللي انت أدخلته لسيستم كمبيوتر الشقة عشان يحاكي صوت والدتك، فكرت فـ احتمال كده..

وصمت لحظة ليرقب آثار كلماته على وجه فتاه، ثم ألقى سؤاله:

- فين بابا يا زين؟

رغم وجه البوكر الذي كسا ملامح زين، إلا أن سحابة الانفعال التي عبرت عينيه بسرعة، والاختلاجة الخاطفة في عضلات وجهه، لم تغيبا عن عينين قديمتين كعيني كابتن خالد.. ابتسم بظفر وهو يتراجع بظهر مقعده.. نفث سحابة من دخان السيجار في وجهه قائلاً:

كده أنا بفكر فـ الاتجاه الصح.

تنهد زين، وأشاح بوجهه إلى الزرقة الصافية المطلة من النافذة المجاورة.

لما نخلّص، هعمل الحاجة اللي كنت المفروض أعملها من زمان.. هراجع ملفك الشخصي.

نخلص؟!

ردد زين متسائلاً وهو يعود ببصره إلى قائده الذي ابتسم مجيبًا:

التحقيقات وكده.

وبعد التحقيقات؟!

- اقرأ عقدك يا كابتن! سرقة وتهريب البطاريات جريمة خيانة عظمى في عُرف الشركة، والخيانة عقابها واحد في كل الأعراف.

قال وليد ساخرًا:

متنساش بس تسلملنا على الماما.

أدار زين رأسه ليرمقه بعينين حمراوين، استقبلهما بابتسامته الشامتة، مر بعينيه على زميليه الآخرين سريعًا، ثم أعادهما إلى قائده الذي قال

برفق:

- دخـول الحـمام مـش زى خروجـه يـا زيـن.. إنـت already اتحولـت لبطاريـة بمجـرد مـا فكـرت تتـصرف التـصرف الطايـش بتاعـك ده.. أنـا فعـلاً مسـتغرب إنـت إزاي مفكرتـش، محسـبتهاش صـح! لغايـة دلوقتـي مـش فاهـم إنـت عملـت الـلي عملتـه ده ليـه! بـس أوعـدك إني هجتهـد وأفهمـك صـح مـن ملفـك.

- لا تبع فراء الدب قبل صيده يا كابتن.

سـحب خالـد مسـدس الطلقـات المخـدرة بحركـة سريعـة مـن غمـده، وسـدده نحـوه قائـلاً:

- بـلاش تصعّـب الأمـور عـلى نفسـك وعلينـا يـا ابنـى.. دول زمايلـك، وانـا الكابـتن بتاعـك، والمفـروض انـك عـارف ان مفيـش فايـدة مـن التهـور معانـا.

مـع كلماتـه، سرت موجـة مـن التحفـز في أجسـاد الصيادين الثلاثـة، في حين قـال زيـن بهـدوء مثير:

- إسمحلى اختلف معاك فـ نقطة الحمام.

- الحمام؟!

التقى حاجبا خالد..

- ساعات الخروج من الحمام..

وهو يحدق في وجهه المحتقن..

- بيبقى أسهل من دخوله!

ضغـط خالـد زنـاد مسدسـه، فغـادرت الطلقـة المخـدرة فوهتـه لتغـوص في ظهـر المقعـد في الموضـع الـذي كان يحتلـه زيـن قبـل جـزء مـن الثانيـة، وفي الجـزء التـالي شـعر خالـد برأسـه يـدور وبالرؤيـة تهتـز وتغيـم أمـام عينيـه،

وسمع صرخات مرؤوسيه وكأنما قادمة من بئر عميق.

شدد زين من ضغط أصابع يده اليسرى أسفل أذن قائده السابق مانعًا تدفق الدم إلى المخ، وباليد اليمنى، وبسرعة البرق، رفع كفه القابضة على المسدس، وضغط سبابته المتقلصة على الزناد.

الطلقة الأولى اخترقت كتف شادي، وكان قد هبّ واقفًا وأشهر سلاحه الذي كان ينظفه لتوّه.. وقبل أن يهوى أرضًا كانت الطلقة الثانية قد أصابت صدر مصطفى.

وبينما كان يدير ماسورة المسدس باتجاه وليد، زميله القديم وخصمه الثالث، التقطت أذنه صوتًا مكتومًا، ميز بسهولة أنه صوت خروج الطلقة المخدرة من فوهة مسدس محسن المسددة نحوه.

رد الفعل جاء سريعًا بشكل أدهشه هو نفسه.. تخلى عن ذراع الكابتن خالد، ومال بجذعه للخلف بمرونة، وملح الطلقة (وكأنما هو مشهد سينمائي يُعرض بالـslow motion) تعبر أمام عينيه مباشرة.. تشق فراغ الطوافة.. تعبر باب كابينة القيادة المفتوح.. ثم تنغرس في مؤخرة عنق الطيار.

*****

-١٣-

لا، لسه موصلتش نزلة المعادي.

قالها معتز الجالس خلف مقعد قيادة الميني كوبر الدقيقة، وعجلاتها تنهب أسفلت الطريق الدائري نهبًا.. أصابعه تقبض على عجلة القيادة، وعلى التابلوه أمامه صورة هولوجرام مصغرة ليارا زميلته في الموقع جالسة خلف مكتبها.. تردد صوتها عبر ميكروفون سماعة تليفون السيارة:

- هو كده كده هيستناك ف القِسم لغاية الضهر.. اسمع منه ونقيلك قضية كده تكون حلوة وفيها ساسبنس تعرف تشتغل عليها.

صنع غرزة خاطفة بارعة بين ثلاث سيارات وهو يدمدم من بين أسنانه:

- 48 ساعة برخامة أمه!

إنت اللي م النوع اللي مبيشتغلش غير لما يتزنق.. نسيت مشاريع الكلية؟!

خلاص خلاص، إنتي هتشتغليلي؟! بقولِك إيه؟ صاحب خطيبك ده لذيذ كده وهعرف أتعامل معاه ولا تِلح زي صاحبه؟

- تصدق، أنا اللي غلطانة إني خليته يساعد حيوان زيك!

أطلق ضحكة خافتة عابثة تداخلت مع صوت كمبيوتر السيارة المسجل ينبهه لاقترابه من تجاوز السرعة القصوى.. خفف من سرعته

قليلاً وهو يقول:

- لو مكانش لسانك زفر كده، كنا عملنا couple هايل.

(بضجر): معلش ملناش ف الطيب نصيب يا عم المؤدب.. يلا بقى وقتك خِلِص، أنا مش فاضية.

- سلام يا بيبي.

انتهى الاتصال فتبددت الصورة الهولوجرامية بنعومة.

- مزيكا.. كاباكا.

قالها بلهجة آمرة لكمبيوتر السيارة، فارتفعت دقات الطبلة ممتزجة بالإلكتريك جيتار والصوت المبحوح الـdouble لعبده كاباكا، وبدأ معتز يدندن معه صانعًا إيقاعًا بالطرق بأنامله على عجلة القيادة.

كان ذلك قبل أن يخبره الكمبيوتر بأنه مضطر إلى خفض السرعة لأن ثمة اختناق مروري على بعد ما يقرب من الكيلومترين.. زفر بحنق مدمدمًا أن "يا ديني عَ العَطَلة!" وهو ينظر إلى مؤخرات السيارات المتكدسة في طوابير عن بعد، وطلب من الكمبيوتر أن يفتش عن السبب على الإنترنت..

مرت ثوانٍ قليلة بلغ خلالها مؤخرة الطابور وتوقفت السيارة تمامًا.. بدت له ألسنة اللهب وسحب الدخان عن بعد في موضعٍ ما أمام أرتال السيارات المتوقفة، وذلك قبل أن يخبره الصوت المسجل للكمبيوتر بتقرير من موقع الإدارة العامة لمرور القاهرة، أن الاختناق سببه "حادث مروري قبل ثماني دقائق نتيجة انقلاب سيارة نقل، الحصر المبدئي تحطم أربع سيارات ووفاة شخصين وسقوط عدد من المصابين".

يا فرج الله!

تمتم بانفعال وأصدر أمره للكمبيوتر فانفتح باب السيارة المجاور له رأسيًا.. وثب خارجها بنشاط غير عابئ بلفحة الحرارة التي استقبلته بمجرد خروجه من قلب السيارة مكيف الهواء.. انغلق الباب خلفه أوتوماتيكيًا، وانطلق هو يركض بكل قوته بين أرتال السيارات التي غادرها بعض قائديها ليستطلعوا ما هنالك، وفضلت الغالبية البقاء في الهواء المكيف وإرسال البلاغات عبر الإنترنت لإدارة المرور ورادیو مصر.

راح صدره المعبق بالتبغ يعلو ويهبط وهو يقطع الكيلومترين الفاصلين بينه وبين موضع الحادث ركضًا.. سمع هديرًا يقترب.. توقف يلهث، ورفع لأعلى وجهًا غارقًا في العرق.. ضيّق حدقتيه بسبب الشمس، ولمح طوافة الإسعاف تحلق في السماء الصافية مقتربة.

(قبل عشرين دقيقة):

يتحرك بخطوات بطيئة، ولكنها واثقة.

كم ظل سائرًا على قدميه؟ لا يعرف.. فقد من ضمن ما فقد -بفعل المخدر الذي حُقِنَ في عروقه قُبيل دخوله الماكينة- الإحساس بمرور الزمن.

بالواقع لم يكُ هو من يتحرك.. لم يكُ من يتحكم.. لم يكُ من يرسل الإشارات الكهربية الناتجة عن تفاعلات الصوديوم والبوتاسيوم في الخلايا من المخ إلى الأعصاب ومن ثَمَ للعضلات.

كان الوعي غائبًا تمامًا، ودفة الجسد كانت بالكامل تحت سيطرة تلك الهالة غير المرئية من الطاقة الحيوية أو السيال الحيوي أو الإكتوبلازم

المحيط بالجسد.

هي التي تقافزت من حول الجسد وتضاعفت قدراتها أضعافًا مضاعفة بينما الماكينات داخل البوتقة تمزق أواصر الجسد المخدر صاحبه كليًا.

هي التي اندفعت كالعاصفة لتغزو عقل المهندس الشاب الواقف أمام البوتقة وسط رجاله، تنبش فيه، تنتزع صورة لطفلة صغيرة (ابنته) وفي جزء من الثانية تجسدها أمامه، فيراها في عقله موثقة داخل البوتقة تصرخ ألمًا، يجن جنونه ويهرع ليضغط أزرار الكمبيوتر، فيوقف عمل برنامج استخلاص الطاقة الحيوية، وينفتح باب البوتقة.

كيف عرفت أن هذا المهندس هو من يملك إيقاف البرنامج؟ هل أدركت أن هناك برنامجًا أصلاً بينما صاحبها نفسه لا يدرك من أمر نفسه شيئًا؟!

كيف شقت طريقها إلى خارج المزرعة بجسد ممزق وبصر فقأت الماكينات داخل البوتقة أدواته؟!

كيف امتلكت تلك القدرة؟!

هل مارستها من قبل؟!

لا توجد إجابة عما سبق.. يمكننا نحن أن نجيب فقط عن السؤال الأخير بـ"لا" أما بالنسبة إليها، فهي لا تطرح أسئلة.. لا تفكر.. تتحرك على نحو غريزي صِرف.. تستشعر ما تملك من قدرة، وتستشعر في ذات الوقت الخطر المحدق بصاحبها.

لماذا تفعل؟ لو كان لها أن تسأل أو تبحث لكان الجواب الأنسب هو ما يمكن أن تجيب به إنزيمات الهضم داخل المعدة عن سبب أدائها لوظيفتها.

هي لا تسأل.. فقط تفعل.

ليلة ليلاء كانت.. طلع الصبح على الناس شرق الطريق الدائري فتهامسوا برعب في البيوت والمحلات والوِرَش عن شياطين، عن كلاب مسعورة، ذئاب صهباء، ثعابين ضخمة، عصابات من السرسجية ظلت تجوب القفر الممتد بين أبو رواش وصقر قريش.

يتحدثون ويقسمون أغلظ الأيمان أنهم لم يكونوا مخمورين أو مساطيل، غير عالمين أن ما رأوه لم يكُ يعدو جسدًا عاريًا نحيفًا مغطىً بالدماء، مشقق الأقدام (بعد حفاء ومسير ليلة كاملة على أرض جبلية)، أعمى (!) بعد أن انفجرت كرتا عينيه داخل البوتقة.. يسير بغير هدى أو هدف أو وعي.

لم يروا بأعينهم سوى ما انتزعته طاقته الحيوية الخارقة من عقولهم من صورٍ مرعبة ثم جسدتها أمامهم وهمًا خالصًا.. الأمر الذي ربما يفسر الحركة المتشنجة التي أدار بها سائق سيارة النقل السائرة على الدائري عجلة قيادته، بينما قدمه تعتصر دواسة الفرامل ليتفادى الشاحنة المملاقة التي فوجئ بها تبرز من الفراغ وتندفع نحوه، في عكس اتجاه السير الطبيعي، بسرعة لا تقل عن مائة كيلومتر في الساعة.

انقلبت الناقلة؛ طارت في الهواء لتعبر من فوق جسد نحيف مغطى بالدماء يقف متهالكًا في منتصف الطريق الأسفلتي السريع.. ثم تهوى أرضًا لتنقلب مرتين بدوي صاخب.

صرير الفرامل امتزج بعواء الكلاكسات وصرخات النساء وارتطام عشرات السيارات بعضها ببعض.. ثم انفجار خزان وقود الناقلة.

حدق رئيس التحرير في فيلم الهولوجرام المجسم أمامه لموقع الحادث بعينين فاحصتين، قبل أن يداعب ذقنه الحليقة، ويقول بلهجة راضية:

- Good job يا معتز.

المشاهد ثلاثية الأبعاد المجسمة في فراغ المكتب حملت لقطات متتالية من مناظير وزوايا مختلفة لموقع الحادث على الطريق الدائري.. الفوضى والسيارات المتداخلة والزجاج المكسور، والنيران كثيفة الدخان المندلعة في جسم الناقلة المقلوبة، خراطيم المطافئ التي ترش تيارات من المياه لإخماد الحريق، ورجال الشرطة والإسعاف يهرعون هنا وهناك لنقل الجثث وأجساد المصابين.

ارتفع صوت معتز المتحمس عبر ميكروفون الهاتف الموزعة سماعاته باحترافية في المكتب:

لسه يا ريس، مفيش ولا جورنال أو ويب وصل موقع الحادث.. يعني الصور بتاعتنا هتبقى الأولى.

حرك رئيس التحرير الهولوجرام بأصابعه ليتمكن من الرؤية بشكل أوضح، وهو يتساءل:

الشرطة قفشت على التصوير؟

تحركت شفتا الصورة الدقيقة المجسمة لمعتز وهو يجيب:

ف الأول مخدوش بالهم مني، وبعد ما بعدوني ومنعوا التصوير استعملت "الجاسوس" حددت الإحداثيات وزوايا التصوير المطلوبة وظبطت البرنامج وسبته يصورلنا الفيلم الجميل ده.

اشتغلت بالجاسوس قبل كده؟

مرة واحدة أيام الكلية يا ريس.. كان واحد زميلنا له عم مصور حر وبيشتري الكاميرات الجديدة أول بأول، وسمحلنا نستعملها.

(مبتسمًا): طب ما انتَ كويس أهو.

- أنا مش ناقصني غير الفرصة تجيني بس يا ريس.

- الفرصة مبتروحش لحد، إنت اللي بتروحلها.. (مستمر في تقليب اللقطات) طبعًا إنت عارف اننا مش هننزل بالصور دي كلها عشان منفضحش نفسنا ونزعّل الأمن الوطني والمجلس الأعلى للصحافة.. إحنا مجرد بس هـ.. إيه ده؟!

التقى حاجباه وهو يحدق لوهلة في الجسد النحيف النازف الممدد على الأسفلت.

- فيه حاجة يا ريس؟

لم يرد.. نقر بسبابته على صورة الجسد، فقامت الكاميرا بتكبيرها مع الحفاظ على الـresolution العالية.. حدق مبهوتًا في الجلد المتسلخ المصبوغ بالدم، والجروح البشعة التي تزين الكتفين والصدر والبطن والفخذين.. نقرة أخرى على الوجه، شهق وهو ينظر إلى الفجوتين الخاليتين من الأعين.

- فيه حاجة يا ريس؟

- (بصوت مختنق): ده من مصابي الحادث؟!

أجاب معتز بعد لحظة من الصمت نظر خلالها (في سيارته) إلى اللقطة المقصودة:

- أكيد يا ريس.. أومال إيه اللي خرشمه كده؟!

هز رئيس التحرير رأسه قائلاً:

الجروح دي مش بسبب الحادث.

ونقر نقرة أخرى طالبًا المزيد من الـzoom.. تأمل الجروح القطعية

في الذراعين.

- دي جروح قطعية متعمدة أحدثتها أدوات حادة.. وعلى درجة من التجلط.

- يعني إيه؟

- يعني دي جروح مش حديثة.. على الأقل مش من زمن الحادث ده.

ثم مال بجسده مدققًا.

- ده عايش أصلاً؟

- عايش يا ريس والإسعاف نقلته على المستشفى (Emergency Case) مع باقي المصابين.

تطلع على هناك دلوقتي حالاً، وتجيبلي ميديكل ريبورت كامل بحالته.. حجم الإصابات وأسبابها وكده.

- حالته هو بس، ولا حالات كل المصابين؟

قال بضيق:

حالة كل المصابين أوتوماتيك يا معتز من غير ما hقولك طبعًا.. مفهوم؟

- مفهوم يا ريس.. بس...

- بس إيه؟!

بالنسبة للخبر والسبق الصحفي وكده؟

هينزل حالاً على الموقع باسمك.. المهم تكمل عشان شكله حوار كبير.

- ومهلة الـ48 ساعة؟

- (بصرامة): لسه زي ما هي!

تبـدد هولوجـرام معتـز إثـر انتهـاء الاتصـال الهاتفـي، وعـاد رئيـس التحريـر يقلـب في اللقطـات المجسـمة، تحديـدًا لقطـات الجسـم النحيـف الجريـح الممـدد أرضًـا.. بالمزيـد مـن الـزووم وتعديـل زوايـا التصويـر تمكـن مـن ملاحظـة جـرح حديـث تنـزف منـه الدمـاء في المنكـب الأيمـن.. ثـم لم يلبـث أن التقـى حاجبـاه مجـددًا.

نقـرة أخـرى وأخـرى وأخـرى، ثـم ضاقـت حدقتـاه وهـو يحـدق في الحـروف المنقوشـة عـلى الكتـف، والتـي لم تفلـح الدمـاء المتجلطـة في إخفـاء الحرفـين الأبـرز منهـا.

.E.N.

(أزيز الهاتف).

آلو يا ريس.

- معتز، خلصت المديكال ريبورت؟

لسـه واصـل المستشـفى يـا ريـس، الطريـق واقـف بسـبب الحادثـة إنـت عـ..

(مقاطعًـا): اسـمعني كويـس.. هتخلـص الريبـورت، وهتطلـع مشـوار مهـم جـدًا عشـان تسـتكمل التحقيـق.

*****

-١٤-

انتهى إمام مسجد السلام بحي عاشر مدينة نصر من أداء صلاة العصر.. سلم المصلون من خلفه ذات اليمين وذات الشمال، ثم انتظموا صفوفًا ليؤدوا صلاة الجنازة التي سبق وأن نَوَه عنها قبيل تكبيرة الإحرام.

جاء النعش محمولاً على الأكتاف.. وُضِعَ أمام الإمام الذي صلى سريعًا على صاحبه، ثم عادت

الأكتاف والأذرع لتتناقله، مصحوبة باسترجاع وتهليل الألسن حتى استقر أخيرًا في قلب عربة نقل الموتى.

العدد لم يكُ كبيرًا، وأغلب المصلين كانوا موجودين بالصدفة وفضلوا الانتظار بعد الفريضة لأداء صلاة الجنازة طمعًا في ثوابها، لذا كان منطقيًا أن يكون العدد الذي صاحب الجثمان إلى مثواه الأخير محدودًا.. الأمر الذي سهل على معتز الجالس في سيارته تمييز السيدة الستينية الوقورة المتشحة بالسواد، التي تغطي عينيها بمنظار شمسي داكن، وتسير بخطوات واهنة متكئة على ذراع سيدة شابة في النصف الأول -كما خَمّن معتز- من الثلاثينيات ترتدي جاكيت رماديًا وجوبًا قصيرًا بنفس اللون يكشف عن ساقين بديعتين.. وتغطي عينيها هي الأخرى بمنظار داكن.

المدفن مبني بالطوب الأحمر ومغلق بباب من الفولاذ ذي رتاج إليكتروني رقمي. جرت مراسم الدفن وسط جو حزين، بدت أجواء

وألوان الغروب المقبل بسرعة ملائمة له.. "مدفن عائلة الهلالي". قرأها معتز على اللوح الرخامي المثبت قرب باب المدفن بصعوبة من مكانه داخل سيارته، نقّل بصره بين العدد المحدود من الرجال والنساء المتشحين بالسواد ثم عاد ليركز على السيدة الستينية التي اختارت أن تقف مع مرافقتها الثلاثينية على مبعدة من الجمع.

"يا شعب مصر، جه الوقت عشان تفوق.. حياتك وحريتك وكرامتك أصبحت على المحَك"

خرجت الكلمات من الفيديو القديم قِدِم مرحلة ما قبل ظهور الهولوجرام.. تأمل معتز ملامح قائلتها الأربعينية المحجبة وقد امتلأت بقدر هائل من العزم والتصميم.

"إحنا أصبحنا فريسة العالم كله بينهش فينا"

عاد يرفع عينيه إلى السيدة الستينية الواقفة عن بعد.. فكر أن ربع قرن فعل الكثير حقًا في هذا الوجه المكتنز والجسد الممتلئ.. فكر في هذا وعيناه تزحفان على الجسد الهزيل الذي فقد الكثير من وزنه وحيويته وبدا أكثر ضآلة في الثياب السوداء.

نقرة على الشاشة.. فيديو آخر لها وسط مظاهرة حاشدة تقطع شارع جامعة الدول، إلى جوارها يسير رجل أربعيني نحيف في ثياب بسيطة.. عدد من ميكروفونات المحطات الفضائية مصوبة إليهما.

"مفيش رفاهية لأي خيانة أو مصالح شخصية أو صراعات سياسية.. الملايين اللي نازلة الشارع دي عارفة كويس إن الخطر المرة دي حقيقي وبيمس أرواحهم حرفيًا"

- (مراسل إحدى الشبكات الإخبارية): خطتكم إيه؟

(بصوت يحاول أن يعلو على الهتافات الصاخبة): "التصعيد لأعلى من أعلى سقف ممكن.. شايف الناس اللي حوالينا دول؟ فيه زيهم ملايين ف كل ميادين مصر والعالم الحر.. ومحدش منهم هيسيب الشارع ويرجع بيته لغاية ما الصفقة القذرة اللي بين الشركة والدولة تتفضح، وكل من تآمر على أرواح المصريين يتحاسب"

(مراسل شبكة أخرى): "ممكن تكلمونا عن أسلوب التصعيد؟"

"الاعتصامات.. المظاهرات السلمية.. العصيان المدني"

ارتفع رنين الهاتف، تعرف كمبيوتر السيارة على المتصل، فأمره معتز بالإيجاب، وفي اللحظة التالية تكوّن هولوجرام مجسم دقيق لرئيس التحرير.

لقيتها يا معتز؟

لقيتها يا ريس.

(بانفعال): اتعرفت عليها؟ متأكد إنها هي؟!

- 90% هي.. شكلها اتغيّر عن الفيديوهات القديمة اللي حضرتك

بعتهـالي يـا ريـس.. عجـزت أوي.

- طبيعي، دول 25 سنة.. لو كانت هي فعلاً!

صورتها؟

آه.

ابعتلي الصورة.

أطاعـه معتـز، ومـرت ثـوانٍ مـن الصمـت قـال الرئيـس بعدهـا بلهجـة مشـوبة بالارتيـاح:

هي.

ملهاش عنوان أو داتا ممكن نوصلها؟

هز رأسه مجيبًا:

- مفيـش أي داتـا مـن أي نـوع.. هـي سـافرت بـرة مـصر من بعـد الأحداث القديمـة، وكل بياناتهـا انمحـت كأنهـا ملهـاش وجـود.. ومـن كام سـنة عرفـت مـن مصـدر خـاص انهـا رجعـت مـصر.. بـس معرفـش فـين ولا بتعمـل إيـه.

يعني لولا الجنازة دي مَكناش هنعرف نوصلها؟!

بالظبـط.. دي صدفـة أقـرب للمعجـزة.. بشـير الهـلالي اللـه يرحمـه كان أقـرب أصدقائهـا، وكان شريكهـا فـ القلـق الـلي حصـل زمـان مـن 25 سـنة، ولمـا شـوفت خـبر الوفـاة عـلى النـت، ربـك ألهمنـي انهـا إذا كانـت عايشـة فهـي لازم هتكـون فـ جنازتـه النهـارده.

تسـاءل معتـز وهـو يحـدق بإمعـان في سـاقي الشـابة الثلاثينيـة التـي ترافـق هدفـه:

- ودي إيه علاقتها بالتحقيق بتاعنا يا ريس؟

صمت رئيس التحرير للحظة ثم أجاب:

- بيان الداخلية وشهادات الشهود بخصوص الحادثة مرتبكين جدًا.. مفيش قصة محددة متماسكة تفسر إزاي الحادثة دي حصلت.. والكاميرات المتوزعة على الطريق مش موضحة اللي حصل بالظبط.. فيه حاجة غامضة فـ الليلة دي.. حُط دي مع الشخص المتشلفط المختوم بلوجو .E.N.

وأردف ببطء وكأنه يكلم نفسه:

لو اللي بفكر فيه صح، فالمخمضة اللي حصلت النهاردة دي هي نفسها اللي حصلت من 25 سنة.

- اللي هو إيه يا ريس؟

- سوبرمان.

- سوبرمان؟!

- سوبرمان جديد.

- مش فاهم يا ريس!

هفهِمَك، بس المهم دلوقتي تمشي وراها، تعرفلي ساكنة فين.. نمرة العربية.. ادخل على النت اعرفلي بياناتها.. عندنا أكتر من طرف لأكتر من خيط.

تنحنح معتز قائلاً:

- والـ 48 ساعة؟

- *(بصرامة)*: وصلوا *38* يا أمور*!*

*****.

-١٥-

(إعلان تليفزيوني):

(لقطات لعروس شابة جميلة في ثوب العرس الأبيض، تتبادل french kiss مع عريسها الشاب الوسيم، يرقصان slow، يقطعان تورتة الفرح، تدير ظهرها لصديقاتها ثم تلقي لهن بباقة من الزهور وهي تشاركهن الضحكات المبتهجة).

(موسيقى ناعمة في الخلفية).

- (تعليق صوتي أنثوي): مين فينا يا بنات مَحِلمِتش باليوم ده؟ الفستان الأبيض.. الفرحة.. الورد.. الأهل والأحباب.. بداية حياة جديدة مع الإنسان اللي اختاره قلبِك؟

(لقطة خارجية لمنزل أنيق).

- (الصوت الأنثوي): طب كام واحدة فينا حلمها مَتحوِلش لكابوس؟!

(الموسيقى تفقد نعومتها وتزداد غلظة).

(طفل سمين يصرخ "جعان يا مامي!" طفلة أصغر منه سنًا تبكي بسبب تحطم لعبتها.. رضيع لا يتوقف عن الصراخ.. الزوج -العريس الشاب الوسيم في المشهد الأول- بكرش منتفخ في فانلة داخلية بيضاء وبوكسر منقط يمسك قميصًا بين يديه ويهتف مواجهًا الكاميرا "القميص بقاله إسبوعين ف الغسيل يا هانم" "الأكل فييين؟!" دخان كثيف يتصاعد من حلة على نيران البوتاجاز.. أكوام من البامبرز المستعمل متناثرة في الحمام.. "مش معقول كده، البت عواطف تتأخرلها يومين، البيت يتحول لزريبة!").

(الصوت الأنثوي متحسرًا): مش بس كده!

(الزوج ينهض من الفراش بحركة حادة، يلتفت إلى زوجته المستلقاة إلى جواره في ظلام الغرفة.. يدمدم بصوت لاهث ولهجة ساخطة "تعبانة تعبانة! كل يوم تعبانة! وأنا إمتى هاخد حقي الشرعي؟!").

(الصوت الأنثوي): هي دي البنوتة الحلوة اللي كانت منورة فستان فرحها؟!

(الزوجة -العروس الشابة الجميلة في المشهد الأول- وقد تعملقت أردافها وتهدل صدرها في ثياب منزلية غير متناسقة، وأطلت خصلات شعرها جافة متقصفة من تحت إيشارب يحيط برأسها.. هالات سوداء تحيط بعينين شاردتين اكتسبتا نظرة كئيبة ثابتة، وسيجارة مشتعلة بين أسنان صفراء).

(الصوت الأنثوي): هي دي النهاية؟!

(تتراجع الكاميرا بحركة بان ليتسع الكادر، ويظهر الزوج والأطفال وقد أحاطوا بالزوجة البائسة الجالسة إلى ترابيزة وسط المطبخ الخانق المتسخ المليء ببقايا الطعام تملأ الأطباق وأواني الطهي، وكل منهم -الزوج والأطفال- يعوى مطالبًا الزوجة بتلبية طلباته).

(صوت أسامة منير): لا، مش دي النهاية!

(يظلم المشهد ويختفي الكل ما عدا الزوجة التي تلتفت لتحدق في الكاميرا مباشرة بعينين دامعتين يطل منهما مزيج من الضراعة والأمل).

(صوت أسامة منير): لسه قدامك الفرصة إنك تستردي حياتك وتحققي أحلامك.. شركة The Eye بتقدِملِك أحدث إنتاجاتها.. المنزل الذكي.. SMART HOME.

مع SMART HOME.. مشاكلك مع شغل البيت اتحلت.

- SMART HOME نظام تشغيل بيتم تركيبه في بيتِك، بيتحكم في كل أجهزة وأدوات البيت بناءٍ على أوامِرك الصوتية.. S.H. بيحتفظ في ذاكرته بالبصمة الحيوية لأفراد الأسرة، وبناءً عليها بيلبي طلباتهم الشفهية منه.

- مع SMART HOME مش هتحتاجي إنك تدخّلي بيتِك واحدة غريبة عشان تساعدك فـ شغل البيت.. SMART HOME هيبقى

خادمـك الأمـين.

- SMART HOME هيقـوم بـكل شـغل البيـت.. المطبـخ.. الغسـيل.. أعـمال النظافـة.

- مع SMART HOME إنتي ملكة فـ بيتِك.

- مع SMART HOME وقتِك بقى ملكِك.

- مع SMART HOME حياتِك رجعِتلِك.

-١٦-

فتح وليد عينيه.

لأول وهلة بالطبع آلم الضوء حدقتيه، فأغمض عينيه مرة أخرى بقوة ثم عاد يفتحهما بحذر.

- وليد، سامعني؟

ظلت الرؤية مهتزة غائمة للحظات ثم بدأت تدريجيًا في الاستقرار والاتضاح.

لو سامعني، حرك راسك.

وجه شاب حليق يطل عليه من فوق معطف طبي أبيض، وإلى جواره وجه آخر مألوف.

- سامعني يا وليد؟

غمغم بصوت واهن:

سامعك.

ابتسامات.. تنهيدات ارتياح.

تمتم:

- أنا فين؟

أجابه صاحب المعطف الأبيض:

- إنتَ ف المركز الطبي التابع لـ .E.N.

سمع صاحب الوجه المألوف يقول بصوت مألوف:

الحمد لله على سلامتك يا وليد.

وكأنما طرق الصوت المألوف بابًا منسيًا في الجدار حالك السواد الذي يحيط بعقله، فانفتح مرسلاً دفقة من النور.

كابتن خالد!

قالها بضعف، قبل أن يستسلم لتيار الصور والأصوات والروائح الذي انهمر عائدًا إلى ذاكرته.

الكابتن خالد!

يذكره ملتصقًا بمقعده في الطائرة العائدة بهم إلى المزرعة، وقد شدد زين قبضته حول عنقه.

يذكر أنه سحب سلاحه وسدده إلى زين الذي تحرك أسرع من الجميع، فأطلق الطلقات المخدرة من مسدس الكابتن خالد.. أسقطت طلقاته شادي، ثم مصطفى.. وقبل أن يطلق المزيد نحو وليد، كان الأخير قد ضغط زناد سلاحه.

الوغد تحرك بانعكاس حركي مذهل، مال مبتعدًا عن مسار الطلقة وتركها تشق الفراغ لتصيب

الطيار عبد الله في مؤخرة عنقه، فأسقطته في اللحظة التالية منكفئًا على لوحة أزرار القيادة.

تتداعى تفاصيل هذه اللحظة الكابوسية إلى ذاكرته.. هو متجمد في موضعه، أصابعه متقلصة حول مقبض وزناد مسدسه.. يحدق غير

فاهـم في جسـد عبـد اللـه المرتخـي.. الطائـرة تفقـد توازنهـا، تميـل..

يترنـح.. في اللحظـة التاليـة ينتبـه لزيـن.. يلمحـه إذ يثـب، يطـير في فـراغ الممـر القصـير بـين المقاعـد تجاهـه.

يسـتعيد سـيطرته، يحـاول أن يرفـع مسدسـه لكـن جسـد زيـن يرتطـم بـه في نفـس اللحظـة.. يسـقطا أرضًـا بعنـف.. الطائـرة تميـل أكـثر.. أصابـع زيـن تقبـض ككلابـة مـن حديـد عـلى معصمـه الممسـك بالمسـدس، تخبطـه بعنـف في حافـة المقعـد المجـاور، فيطـير المسـدس بعيـدًا.

تفـور الدمـاء في عروقـه، يزمجـر غاضبًـا.. يميـل برأسـه ليتفـادى لكمـة مـن قبضـة زيـن تنغـرس في أرضيـة الطائـرة المخمليـة، ثـم يثنـي سـاقيه ويدفعـه عنـه بعنـف إلى الـوراء، قبـل أن يثـب واقفًـا بمرونـة أكسـبته إياهـا التدريبات الشـاقة الطويلـة، ويسـتدير لمواجهـة خصمـه.

الطائـرة تميـل أكـثر.. جسـد الكابـتن خالـد فاقـد الوعـي يسـقط عـن مقعـده.

يشـتبكان في قتـال يـدوي.. الاثنـان متقاربـان جسـدًا وعمـرًا وتدريبًـا.. لثـوانٍ قليلـة تتطايـر الضربـات والـركلات في الاتجاهـين فتطيـش أو تُصَـد.. ثـم يرتـج رأسـه بعنـف إثـر ضربـة مزلزلـة أصابـت صدغـه.. يتراجـع خطـوة للـوراء قبـل أن يشـهق بـألم عندمـا يهـوى حـذاء زيـن العسـكري الثقيـل عـلى جانـب قصبـة سـاقه فيهشـمها.

يسـقط أرضًـا، يشـعر بإحـدى قبضتـي زيـن تحيـط بعضـده والأخـرى تقبـض عـلى مؤخـرة عنقـه.. يسـمعه وهـو يفـح مـن بـين أسـنانه:

الماما بترُدِلَك السلام.

يـصرخ عندمـا يديـر ذراعـه اليمنـى بعنـف فيخلعهـا مـن مفصلهـا، ثـم يغيـب عـن الوعـي عندمـا يخبـط رأسـه مرتـين في جانـب المقعـد المجـاور.

زمجر بمزيجٍ من غضب ومرارة.. حرك ذراعه المصابة وأدهشه أن طاوعته بيسر وبلا ألم تقريبًا.. نقل بصره إلى وجهي الكابتن خالد والطبيب الشاب المبتسمين، قبل أن يسمع الأخير يقول:

- بمجرد وصولك خضعت لجراحتين ليزر، واحدة في ذراعك والثانية في ساقيك.. تم استبدال أعضائك المهشمة بأعضاء صناعية بـ cover من أنسجة بشرية طبيعية، تم توصيلها بنجاح بالنهايات العصبية.

ردد بدهشة وهو يرفع ذراعه اليمنى أمام وجهه، ويضم أصابعه ويفردها:

- سايبورج؟!

- بالظبط!

حرك ساقيه بشكل طبيعي (انتبه في هذه اللحظة أنه جالس إلى مقعد وثير أقرب إلى مقاعد عيادات أطباء الأسنان) متسائلاً بدهشة:

- بس أنا اتكسرتلي رجل واحدة بس!

اتسعت ابتسامة الطبيب وهو يقول:

- الأعضاء الصناعية أقوى وأسرع 3 مرات من الأعضاء الطبيعية، واضطرينا نستبدل الساق السليمة بساق صناعية عشان توازن سرعة الساق الأولى المستبدلة، وإلا كنت هتواجه مشاكل كتيرة في الحركة.

تساءل:

- أنا هنا من إمتى؟!

- خَمَس ساعات، استغرقت الجراحة منهم 3 ساعات.

انتبه إلى أنه لم يسأل أسئلة مهمة، فأدار عينيه إلى قائده، الكابتن خالد، متسائلاً:

- الطيارة! الطيارة ماوقـ..؟!

قاطعتـه إشـارة صامتـة مـن عينـي الكابـتن خالـد الـذي التفـت للطبيـب الشـاب وسـأله:

- يقدر يمشي إمتى يا دكتور؟

نقل الطبيب بصره بينهما وهو يجيب:

- هـو تلقـى كـورس متكامـل مـن المضـادات الحيويـة والمسـكنات، والأهـم عقاقـير تجديـد الخلايـا الـلي بتـسرع التئـام الأنسـجة.

كرر الكابتن خالد بنفاد صبر:

إمتى؟

- 6 سـاعات راحـة وبعدهـا شـوية اختبـارات، عشـان نطمـن عـلى توافـق حركـة الأعضـاء الجديـدة و...

نهـض وليـد مـن رقدتـه بحركـة رشـيقة مفاجئـة، حـرك ذراعيـه وسـاقيه بشـكل طبيعـي وهـو يقـول:

- التوافق زي الفُل يا دكتور.

فتح الطبيب فمه ليعترض، غير أن الكابتن خالد بادر:

- اسمع كلام الدكتور يا وليد.

- بس يا كابتن...

قاطعه ملتفتًا للطبيب:

- هـو هيخضـع للـtime schedule يـا دكتـور، بـس أنـا محتـاج أتكلـم معـاه شـوية.

نقل الطبيب بصره بينهما قبل أن يتنهد قائلاً:

- It's ok. ، بس دقايق من فضلك، وتسيبه يرتاح.

غـادر الحجـرة بخطـوات سريعـة، وانزلـق البـاب لينغلـق أوتوماتيكيًـا مـن خلفـه.

إرتاح يا وليد.

عـاد وليـد ليسـترخي في مقعـده، وحـدق بعينـين فضوليتـين في وجـه قائـده الـذي جلـس عـلى مقعـد قبالتـه وقـال بهـدوء:

الطيارة ماوِقعِتش.

وامتـدت أصابعـه لتخـرج علبـة السـجائر مـن جيبـه قبـل أن يتذكـر أن التدخـين ممنـوع بالـضرورة في المركـز الطبـي، فأعادهـا إلى موضعهـا وتابـع:

الطيـار الآلي استشـعر فقـدان الطيـارة لتوازنهـا بعـد ثـوانٍ مـن سـقوط عبـد اللـه، وسـيطر عليهـا أوتوماتيـك ورجعهـا سـليمة للمزرعـة.

وزين؟!

- اختفى.

اختفى!

- هـرب.. الصنـدوق الأسـود سـجل فتـح بـاب الطيـارة قبـل دقايـق مـن هبوطهـا، وبالحـصر لقينـا فيـه مظلـة هبـوط وجهـاز اتصـال مفقوديـن.

أطل المقت واضحًا من عيني وليد وهو يقول:

-والعمل؟!

دي حالـة ف اللايحـة تدخـل تحـت بنـد "سـهم مكسـور"، يعنـي المفـروض تبـدأ عمليـة تعقـب ومطـاردة عاجلـة.. دا صيـاد هـارب، مـدرب، عنـده مهـارات متقدمـة، وعـارف حاجـات كتـيرة ممكـن تعمـل شـوشرة، ولازم نحـط إيدينـا عليـه قبـل مـا يسـبب مشـاكل.

- (بحماس): عظيم!

هز خالد رأسه نافيًا وهو يقول:

- لا مش عظيم ولا حاجة! عملية التعقب بدأت متأخر جدًا ومن غير التزام بالبروسيدجز.

- (بحيرة): ليه؟!

التقا حاجباه وهو يجيب ببطء:

فيه مشكلة.. مشكلة كبيرة حصلت امبارح بالليل، ف مزرعة أبو رواش غالبًا.. بطارية هربت.

ردد وليد مذهولاً:

هربت إزاي؟!

معنديش تفاصيل، دي معلومة عرفتها شفهي كده من مدير العمليات، هو صاحبي أساسًا، وأنا برفعله تقريري بالي حصل.. البطارية هربت فعلاً والحوار ده عامل قلق جامد، وفِرَق المطاردة كلها نزلت تِدَوّر عليها، وده معناه إننا هنشتغل وحدنا.

وحدنا!

آه يا وليد وحدنا.. إحنا هنتعرض لتحقيق وغالبًا كنا هنتفشخ بسبب هروب زين مننا، لولا حوار البطارية المفقودة دي اللي نزلّنا نجدة من السما.. الدنيا اتقلبت والكل انشغل فيه، وده هيدينا مهلة زمنية ننبش الأرض وراه لغاية ما نلاقيه.

وضغط على حروفه وهو يحدق في عينيه مباشرةً مستطردًا:

نصطاد زين = مستقبلنا.

كوّر وليد قبضته الصناعية الجديدة، وقال من بين أسنانه:

- هَستمتع بالصيد ده.

ربت الكابتن على كتفه وهو ينهض قائلاً:

- مصطفى وشادي عاملين غرفة عمليات لاقتفاء آثاره.. هتخلص علاجك وتحصلني على هناك.

- حاضر.

تصافحا، وابتسم الكابتن خالد وهو يستشعر قوة الأصابع الجديدة حول عظام قبضته، وقبل أن يغادر سمع مرؤوسه يناديه:

كابتن خالد!

التفت ينظر إليه متسائلاً.

- سؤال أخير.

- اسأل.

البطارية اللي زين سرقها من المزرعة.. راحت فين؟!

*****

-١٧-

أوقفت إيمان سيارتها بمحاذاة الرصيف في ذلك الشارع الهادئ من شوارع جاردن سيتي.. التفتت إلى خالتها العجوز وقالت:

شِدِي حيلِك.

تنهدت قائلة:

تعيشي يا إيمي.

والتفتت تواجهها وهي تردف:

- اطلعي اقعدي معايا شوية.

غمغمت إيمان معتذرة وقالت شيئًا ما عن "الشغل وكده"، فقالت الخالة العجوز بابتسامة واهنة لم تخفِ ما زال عالقًا من الحزن:

شغل مين يا ام شغل؟! اليوم خِلِص خلاص.

ملأت إيمان عينيها بمشهد الشارع الهادئ الغارق في ضوء الغروب البرتقالي، ثم نظرت إلى أرقام ساعة السيارة فقالت خالتها مشجعة:

بقالِك كتير مزورتيش خالتك العجوزة.

(بتخاذل): عندي معاد الـgym برضه!

وكزتها خالتها في كتفها برفق وهي تقول:

يلا يا إيمي متبقيش رخمة بقى.. هما كوبايتين شاي وتلحقي الـ gym بتاعِك.

صمتت إيمان مفكرة للحظة ثم هزت رأسها ومدت أصابعها لتطفئ موتور السيارة.. غادرتا إلى مدخل بناية قريبة ذات طابع كلاسيكي عتيق لا يخلو من أناقة.. أشارت إيمان إلى متجر صغير مغلق لدى عبورهما أمامه:

البازار أجازة النهارده؟!

أجابت الخالة وهي تعبث في حقيبة يدها:

سماح، البنت اللي بتُقَف معايا مَجَتش النهارده، وجالي مشوار الجنازة ده فاضطريت أقفل البازار.

هي مش كان اسمها مروة؟!

لا، مروة مِشيت من زمان.

ليه؟ دي كانت كويسة!

مفيش حاجة بتفضل على حالها.

قالتها الخالة العجوز وهما تصعدان آخر الدرجات القليلة في مدخل البناية الكلاسيكية وتتوقفان أمام باب شقة تقليدي من الخشب المشغول، تجاوره لافتة معدنية صغيرة تحمل بخط متعرج "شقة رقم 1- شادية نور الدين" انحنت لتدس المفتاح في الثقب المخصص وتديره ثم تدفع الباب.

اتفضلي يا إيمي.

دخلت إيمان لتغوص في الظلام شبه الدامس إلا من الضوء القادم من مدخل البناية.. غابت شادية بالداخل للحظات، ثم ارتفع هدير محرك مفاجئ لم تنزعج له إيمان، وكأنها بشكلٍ ما تتوقعه. سمعت صوت خالتها:

افتحي النور من عندِك.

مـدت أناملهـا لتتحسـس الحائـط المجـاور لهـا حتـى عـثرت عـلى زر الإضـاءة.. ضغطتـه فانبعثـت الإضـاءة البيضـاء الناعمـة مـن أكـثر مـن مصبـاح فلورسـنت موزعـين بانتظـام في أرجـاء المـكان.. بـرزت شـادية مـن مدخـل المطبـخ القريـب مـن بـاب الشـقة وعـلى شـفتيها ابتسـامة مجهـدة.

أغلقت إيمان باب الشقة وتساءلت:

الجيران مبيشتكوش من صوت الدينامو؟!

الحيطان عندي وعندهم عازلة للصوت.

ابتسمت إيمان بسخرية وهي تخلع سترتها قائلة:

طب كويس والله إنك رضيتي تستعملي عوازل الصوت!

هَنبتدي؟!

قالتها شادية مبتسمة، ثم أشارت بأصابعها مستطردة:

ادخـلي التويليـت واغسـلي وِشـك بقـى وخُـدي راحتِـك عـلى مـا اعمـل الشـاي.

أطاعتهـا إيمـان، وخرجـت مـن الحـمام وقـد أينـع وجههـا بقطـرات الميـاه لتلقـي نظـرة طويلـة عـلى محتويـات صالـة الشـقة التـي بـدت لهـا مغرقـة في الكلاسـيكية، وكأنهـا صـورة هولوجراميـة ملتقطـة مـن الزمـن القديـم.. السـقف الشـاهق والنوافـذ الطوليـة الضيقـة، الكرانيـش ذات المنمنـمات الكلاسـيكية، السـجاجيد معقـدة النقـوش حائلـة اللـون، النجف الكريسـتالي.. المقاعـد والأرائـك القديمـة المغطـاة بالمـلاءات وقايـةً لهـا مـن الأتربـة، ثـم الشاشـة المسـطحة الـLCD العتيقـة التـي تتوسـط حائـط المدخـل.. كل هـذا عـلى خلفيـة رتيبـة مـن صـوت الدينامـو القـادم مـن المطبـخ.

- أفتح الـT.V إزاي؟!

تساءلت بصوت عالٍ وهي تنفخ بحنق، فأجابتها شادية من المطبخ:

- الريموت كونترول عندِك على الترابيزة.

نظرت إلى الترابيزة وتناولت الريموت، حدقت فيه باستهجان وهي تقلبه بين أصابعها وكأنه قطعة أثرية، قبل أن توجهه نحو الشاشة وتضغط أزراره عشوائيًا ثم تلقيه جانبًا وتستلقي على الأريكة، تريح رأسها على المسند الخلفي، وتسبل جفنيها غير عابئة بما يدور على الشاشة.

لم تدر كم ولا كيف ولا متى نامت.. فقط شعرت بأنامل شادية تربت برقة على كتفها، وتسللت رائحة شهية إلى أنفها.. فتحت عينيها لتجد أمامها صينية تحمل طبقًا ممتلئًا بقطع الكرواسان الساخن، ومَج شاي يتصاعد منه البخار، وانتبهت لأنها مغطاة بكوفرتة خفيفة.. قالت لها خالتها الملتحفة بإسدال صلاة:

إنتي تعبانة أوي كده؟!

- (تفرك عينيها بأصابعها): مَبنامش كويس.

نظرت إليها شادية قائلة بإشفاق:

ليه يا حبيبتي؟

خللت إيمان أصابعها بين خصلات شعرها وهي تعتدل لتفرد ظهرها.. تجاهلت إجابة السؤال، وأشارت إلى الطبق الذي يتصاعد منه البخار شهي الرائحة وتساءلت:

- عمايل بيت؟

هزت شادية رأسها وهي تبتسم، ثم قالت:

- هَصلي العشا وأجيلِك.

(بدهشة): أنا نِمت كتير كده؟!

أجابتها بابتسامة حنون وهي تستدير متجهة إلى غرفة نومها.. أدت صلاتها ثم عادت لتجد ابنة أختها قد أتت على ما يزيد عن نصف محتويات الطبق، وراحت تحسو من مَج الشاي وتسحب الأنفاس بالتبادل من سيجارة مشتعلة بين أصابعها.

- حرمًا.

(وهي تنزع إسدالها): جمعًا ان شاء الله.

وجلست قبالتها مرددة:

سبحان مغير الأحوال!

إشمعنى؟

قالت وهي تحدق في عينيها مباشرةً:

اللي يشوفِك دلوقتي ميشوفكيش زمان.

التقا حاجبا إيمان وهي تردد:

- زمان!

أيام الالتزام، ودروس المسجد وكده.

نفثت إيمان دفقة من دخان السيجارة ثم قالت ببرود:

إنتي لسه قايلة من شوية.

وبادلت خالتها تحديقًا في العين بتحديق في العين وهي تردف:

مفيش حاجة بتفضل على حالها.

ارتفع حاجبا شادية وهي تردد:

- فعلا؟!

ابتسمت إيمان في سخرية وهي تقول:

ماعدا انتي طبعًا.

وأدارت عينيها في أرجاء الشقة واستطردت:

- وشـقِتِك.. زي مـا هـي مـن سـاعة مـا سـكنتيها.. مفيـش قشـاية اتحركـت مـن مكانهـا.. حتـى فـ البـاور، لسـه بتسـتعملي دينامو بيشـتغل بالسـولار!

تراجعت شادية في مقعدها واضعةً ساقًا على ساق وهي تقول:

ودي حاجة كويسة ولا وحشة؟

الجمود عمره ما كان كويس.. ده موت.

حتى ولو كان جمود أو ثبات على الصح؟

نفثت إيمان مزيدًا من الدخان صانعة حلقة بيضاء متقنة، وقالت:

مفيش صح بيستمر صح لسنين يا شوشو.

قالت شادية:

الصـح بيفضـل صـح طـول عمـره.. الخـير بيفضـل صـح.. العـدل بيفضـل صـح.. الـشرف بيفضـل صـح.

ابتسـمت إيمـان مجـددًا وحملـت ابتسـامتها لمحـة مـن قسـوة وهـي تقـول:

إنتـي بالـذات بعـد كل الـلي شـوفتيه المفـروض متقوليـش الـكلام ده.. إنتـي في لحظـة معينـة ضحيتـي بحياتِـك وبحيـاة عيلتِـك كلهـا عشـان الخـير والعـدل والـشرف.. عشـان نـاس متسـتاهِلش.. كانـت النتيجـة إيـه؟! خـسرتي أهلـك وأصحابـك وشـغلك، وفضلتـي سـنين مـش عارفـة ترجعـي بلـدِك.. وعشـان ترجعـي اضطريتـي تغـيري اسـمك وبياناتِـك.. لسـه بعـد كل ده

بتعتبري إنك ضحيتي عشان خير أو عدل أو شرف؟!

واتسعت حدقتاها فبدت أشبه بنمرة مفترسة وهي تمص نفسًا من السيجارة وتتساءل بانفعال:

- مش الهلالي اللي رُحتي جنازته النهارده هوَ اللي اتخلى عنِك زمان؟!

أطرقت شادية برأسها وهي تغمغم:

إنتي فاهمة غلط.

- ماتصيعيش عليّ يا شوشو.. أنا كنت صغيرة ساعتها بس كنت فاهمة.. من بين الجروب القديم، الهلالي هوَ الوحيد اللي متقتلش ومعتُقِلش ومهرِبش، بالعكس، اشتهر وبقى ضيف فـ برامج التوك شوز، ومكتبه بقى أشهر من نار على علم.

صمتت شادية ولم ترد، فتابعت إيمان من بين أسنانها:

- يعني باختصار: خاين.. وسخ.

رفعت شادية عينيها ورمتها لأول مرة بنظرة غاضبة.

بتزعِلك الحقيقة، مش كده؟

- قولتِلِك إنتي فاهمة غلط.

- باعِك وباع زمايله واشترى مصلحته، ورغم كده بتدافعي عنه ورُحتي جنازته وبتعيطي عليه! ده برضه نوع من الثبات على الحاجة الصح؟!

ألقت تساؤلها الأخير وهي ترفع حاجبيها متحدية.

ساد صمت متوتر بينهما للحظات، قبل أن تطفئ إيمان بقايا سيجارتها في مطفأة قريبة، وترشف آخر قطرات الشاي، ثم تخفض المَج قائلة:

- تسلَم إيديكي.

- بالهنا والشفا.

نهضت تلتقط الجاكيت الذي نضته شادية بعناية على مسند الأريكة وهي تقول:

أنا اتأخرت أوي، يا دوب هلحق أمشس دلوقتي.

ثم وهي ترتديه:

مش عايزة حاجة أجيبهالِك من برة؟

قالت شادية بابتسامة باهتة:

خلي بالِك من نفسِك.

ارتفع في هذه اللحظة رنين جرس الباب.. أجفلت إيمان للحظة ثم التفتت لخالتها متسائلة:

مستنية حد؟

هزت شادية رأسها نافية، ونهضت متجهة إلى الباب، ورمقتها إيمان بشبح ابتسامة على زاوية فمها امتزجت فيها السخرية بالازدراء، وهي تميل بجذعها لتلتصق بالباب كي تنظر إلى الزائر بالخارج عبر عدسة العين السحرية التي انقرضت منذ زمن بعيد مع انتشار أنظمة الأمن المرفقة بأنظمة Smart Home.

فتحت شادية الباب، ورأت إيمان عبر فتحته شابًا عشرينيًا نحيفًا أكرت الشعر، ابتسم في مواجهة خالتها قائلاً:

- مساء الخير.

مساء النور.

معتز حشاد.. صحفي بموقع Egypt Now.

أي خدمة؟

- لـو وقـت حضرتـك يسـمح، كنـت محتـاج رأيـك في تحقيـق مهـم خـاص بالموقـع عندنـا.

رددت بدهشة:

- رأيي أنا؟!

(مبتسمًا): طبعًا.

ومـال برأسـه قليـلاً نحوهـا، وقـال بصـوت خفيـض بلـغ مسـامع إيمـان داخـل الشـقة:

- رأي مدام أمل الشافعي.

تجمعـت التجاعيـد حـول عينـي شـادية، إذ ضاقتـا وهـما تحدقـان في وجهـه، في حـين نبـض قلـب إيمـان بعنـف وهـي تسـمعه يسـتطرد:

- حضرتك.. مش كده؟

-١٨-

- الأنين مبيخلصش.. مبيخلصش.

تاخد مهدئ بسرعة، وتروح أوضتها يا منعم.

يقولها الدكتور وهو يعتدل ويتحسس راحته المحترقة بألم، بينما تواصلت صرخاتها وهي تبتعد بين ذراعي الممرض:

إنتو مبتسمعوش عشان ضمايركو ماتت.. ضمايركو ماتت.

مد الدكتور محسن عبد الفتاح، نائب مدير عام مركز "أبو زيد" لعلاج الأمراض النفسية سبابته لينقر زرًا، اختفى على أثره التسجيل الهولوجرامي، ورفع عينيه بعدها إلى مدير المستشفى الدكتور محمود أبو زيد الجالس خلف مكتبه، تعلو رأسه صورة مؤطرة لوالده الراحل، مالك ومدير المستشفى السابق د. حازم أبو زيد.

ساد الصمت قليلاً بين الرجلين، قبل أن يقطعه الدكتور محمود متسائلاً بصوت مبحوح:

دي حالة وحيدة؟

أومأ الدكتور محسن برأسه موافقًا.

عاد يسأل وهو يرمق الشاشة على مكتبه:

اسمها؟

حياة.

التقى حاجباه وهو يقول:

- دي باباها الـ..؟

- بالظبط.

- التحاليل وصور الأشعة؟

- نيجاتيف.

عاد الصمت ليسود بينهما، ثم قطعه الدكتور محمود:

- شايف إيه؟

قال محسن:

ممكن تكون حالة فردية!

المشكلة القديمة بدأت بحالة فردية وبعدين وِسعِت.

وانتهت خلاص من زمان.

انتهت لوحدها.. من غير سبب علمي، وعشان كده سهل إنها ترجع تاني.

هز محسن رأسه موافقًا من دون أن يعقب.. تساءل محمود:

الحالة اللي بابا الله يرحمه كان بيعالجها.. كان اسمه...؟

(بشرود): أحمد خشبة.

أحمد خشبة، صح.. كان بيعاني من نفس الأعراض.. هلاوس.. سماع أصوات.. أحلام.. وتفاقمت معاه لغاية ما اتحولت لجنون كامل انتهى بمصرعه.

قال محسن بخفوت:

دي كانت البداية.

ثـم نظـر إلى وجـه محمـود، والتقـط غيمـة الحـزن السريعـة التـي عـبرت صفحـة وجهـه، فـأسرع يقـول:

- مفيـش دليـل واحـد عـلى إن والـدك الله يرحمـه كان من ضحايا الشـوطة دي.. أنـا كنـت جنبـه الفـترة دي يـا محمـود، وأنـا بنفـسي الـلي عملتلـه التحاليـل وصـور الأشـعة..وفاكر كويـس, عـلى عكـس نتايـج كل الحـالات اللي جَتلنـا المستشـفى، نتايـج تحاليـل الدكتـور حـازم كانـت نيجاتيـف كلهـا.

تنهد محمود قائلاً:

- تحاليل وأشعة حياة برضه نيجاتيف.

وارد جدًا تكون حالة نفسية عادية.. أو حتى غير عادية.

حك محمود جانب لحيته الأنيقة بأنامله وهو يقول:

هَيبـان إن شـاء اللـه.. المهـم إن مسـار العـلاج ينتظـم، والأهـم إن أي حالـة مشـابهة تجيلنـا لازم تبلغنـي بيهـا يـا محسـن.

(بابتسامة مطمئنة): أكيد يا محمود.

-١٩-

تنقلت عينا إيمان بانتظام بين مشاهد الهولوجرام المجسمة في فراغ الشقة، وتعبيرات وجه خالتها التي اتسعت عيناها وانفرجت شفتاها قليلاً وراح صدرها يعلو ويهبط بانفعال متصاعد بينما بصرها مثبتًا على الهولوجرام.

انتهى العرض بمشهد ثابت للـE.N المطبوعة على كتف الجسد الملطخ بالدم الملقى على أسفلت الطريق في موقع الحادث.. نظر معتز، الجالس على أحد مقاعد الصالة، لوجه العجوز وتساءل:

- ده شعار Egy- Nergy.. مش كده؟

لم ترد.. ظلت تحدق في الفراغ بشرود، وقد التمعت عيناها -بما بدت له، لدهشته- دموعًا.

نظر إلى إيمان، ونظرت إليه وهي تنفث دخان سيجارتها.

مدام أمل!

تحركت عيناها ببطء لتستقران على وجهه.. حدقت فيه للحظة ثم قالت وكأنها تستفيق:

نعم.

ده شعار Egy- Nergy؟

هزت رأسها مؤيدة بآلية.

- طب والأرقام اللي مكتوبة تحتها؟

شردت بعينيها للحظات وهي تسترجع صورة قديمة من الذاكرة.

جسد مفتول العضلات، عاري الجذع، يقف منتصب القامة، ندوب عديدة منتشرة هنا وهناك، وثمة N .E. مطبوعة على كتفه اليمنى وأسفل منها أرقام وحروف إنجليزية مطبوعة بخط دقيق.

ده كود الصياد.

قالتها مجيبة بصوت متهدج.. ردد بدهشة:

الصياد!

هزت رأسها مفسرة:

الصياد اللي اصطاده ووَرّدُه لـEgy- Nergy.

حدق في وجهها غير فاهم، فرفعت حاجبيها قائلة بشيء من السخرية:

إيه؟! متعرفش العربية اللي إنت جيت بيها لغاية هنا بتتحرك إزاي؟!

تقصدي إن...؟!

أيوه.. أقصد.

وصمتت للحظة قبل أن تستطرد:

بطارية.

امتقع وجهه، فواجهته بنظرة متحدية وهي تقول:

محسسني ليه إنك متفاجئ؟!

قال مرتبكًا:

- لا مش متفاجئ.. بس الـ..

بـتر عبارتـه وهـو ينقـل بـصره بينهـا وبـين إيمـان، التـي جلسـت عـلى الأريكـة بملامـح جامـدة وسـاقٍ عـلى سـاق، وبـدت عليـه الحـيرة والعجـز عن إتمـام عبارتـه، قبـل أن يتنهـد مستسـلمًا ويقـول:

- ممكن نكمل التحقيق؟

سألته:

- عرفت إسمي منين؟

فوجئ بالسؤال، فصمت للحظة تابعت هي خلالها:

الاسـم دا اختفـى مـن زمـان.. حتـى الإعـلام نسـيه مـن سـنين.. باسـبوري ورقمـي القومـي باسـم "شـادية نـور الديـن" بنـت أختـي نفسـها (مشـيرة بكفهـا نحـو إيمـان) بتقـولي "يـا شـادية"

ومالت نحوه متساءلة وهي تضغط على حروفها:

عرفت اسمي القديم إزاي؟

تمالك نفسه وأجاب بصوت خرج منه مرتبكًا:

أنا صحفي، وليّ مصادري.

نظرت إليه للحظة ثم تراجعت في مقعدها قائلة ببرود:

فرصة سعيدة يا أستاذ معتز.

قال بسرعة:

رئيس التحرير.

مين رئيس تحريرك؟

- إبراهيم جودة.

ضاقت حدقتاها وكأنما تبحث عن الاسم في ذاكرتها، تبادلت نظرة مع ابنة أختها الصامتة، قبل أن يضيء وجهها بالتذكر:

إبراهيم!

- حضرتِك تعرفيه؟

- (مراسل إحدى الشبكات الإخبارية): خطتكم إيه؟

(بصوت يحاول أن يعلو على الهتافات الصاخبة): "التصعيد لأعلى من أعلى سقف ممكن.. شايف الناس اللي حوالينا دول؟ فيه زيهم ملايين ف كل ميادين مصر والعالم الحر.. ومحدش منهم هيسيب الشارع ويرجع بيته لغاية ما الصفقة القذرة اللي بين الشركة والدولة تتفضح، وكل من تآمر على أرواح المصريين يتحاسب"

أعرفه.

خرجت الجملة منها مقتضبة، جعلتها نبرة الازدراء أقرب إلى البصقة، ثم التفتت إلى إيمان قائلة:

أهو ده اللي بجد خاين ووسخ.

أجابتها إيمان بعمود دخان آخر من بين شفتيها المضمومتين، في حين كتم معتز ابتسامة كادت تطفو على شفتيه، وكتم معها فضولاً مسته كلماتها، واستمع لها وهي تسأله:

هوَ اللي قالك تجيني؟

فعلاً.

ووصلتولي من الجنازة؟

- بالظبط يا فندم.

رفعت حاجبًا متساءلة:

ومتوقع مني أتجاوب معاكم؟!

قال بارتباك:

دي أسئلة بسيطة!

أيًا كان.. ليه أكشف شخصيتي بعد السنين دي كلها في تحقيق صحفي ينزل على النت؟

كلمة شرف، شخصيتِك هتفضل سر محدش يعرفه.

هزت رأسها قائلة:

it is not personal يا ابني.. بس مينفعش تحُط كلمة شرف مع إبراهيم جودة في جملة واحدة.

ابتسم قائلاً بتهذيب:

- أنا متفق مع حضرتِك فـ الجملة الأخيرة دي كومبليتلي، وده يخليني ألفت انتباهك لحاجة مهمة.. واحد بأخلاق وانحطاط رئيسي العزيز، طالما وصل ليكي، فمش هيتورع إنه يفضح شخصيتك الحقيقية لو مخدش اللي هوَ عايزه.

التقى حاجباها وهي تقول:

تهديد؟!

أسرع يقول:

أبدًا والله العظيم! أنا بَكلِم حضرتِك فـ اللي ممكن يعمله.

زَمت شفتيها وهي تهز رأسها كأنها توافقه، صمتت مفكرة للحظات قبل أن ترفع عينيها إليه قائلة:

- موافقة بس بشرط.

أطل الاهتمام من عيني إيمان الصامتة أضعاف الاهتمام الذي أطل من عيني معتز وهو يتساءل:

- شرط إيه؟

اعتدلت مجيبة:

- توصلني المستشفى.

ردد:

المستشفى!

المستشفى اللي نقلوا المصاب ليها.

تروحي المستشفى!

رددت إيمان باستنكار في غرفة النوم بمجرد أن دخلتاها وأغلقتا الباب خلفهما.

لم تجب أمل وهي تفك أزرار بلوزتها على عجل، فتابعت إيمان بحنق:

- عايزة تروحي المستشفى ليه؟

- عايزة أشوف الحالة دي بنفسي.

ليه؟!

قالتها إيمان وهي تخطف نظرة خفية لم تخل من اشمئزاز من جلدها الأبيض الذابل على عظامها، وصدرها الواهن المتهدل داخل مشد فاتح اللون.

مرة أخرى، لم ترد أمل وانهمكت في حشر ساقيها في بنطلون جينز أزرق اللون، فصاحت إيمان:

- رُدي عليّ!

صوّبت أمل إليها نظرة غاضبة، قالت مشيرة بسبابتها إلى الباب المغلق:

- الراجل قاعد برة!

- (من بين أسنانها): حَنيتي للجنان بتاع زمان؟! مش مكفيكي اللي حصل؟!

- لا مش مكفيني!

قالتها بحزم وهي تخفض طرف السويتيشرت الأسود الذي ارتدته، ثم عقصت خصلات شعرها البيضاء خلف رأسها بينما إيمان تقول بغضب:

- مش مكفيكي لو انتي لوحدِك، ياكش حتى ترمى نفسِك فـ النيل.. إنما انا ذنبي إيه أتلط معاكي؟!

قالت أمل ببرود وهي تلف طرحة داكنة على شعرها:

- أنا قولتِلك تيجي معايا؟!

تقلصت عضلات وجه إيمان بينما تقول بغضب:

- وهوَ كان حد راح معاكي لما سبتي اسكندرية وجيتي القاهرة عشان تعملي فيها بطلة وزعيمة؟!

لا رد..

تابعت بمرارة:

- محدش.. ورغم كده العقاب طالنا كلنا.. أبويا وأمي وخالي ماتوا ف الغربة.. تيتة عاشت وماتت لوحدها.. محدش من ولادها عرف ينزل مصر عشان يدفنها حتى! وكُل ده ليه؟! عشان اخوات الزعيمة العظيمة اللي بتقود الثورة ف الشوارع.

اغرورقت عينا أمل بدموع لم ترها إيمان بطبيعة الحال، وقد أولتها

خالتها ظهرها وولت وجهها صوب الدولاب المفتوح، تعبث بأصابعها بين محتوياته.

(بانفعال): عايزة تعملي إيه تاني يا شادية؟! خلاص، مبقاش فاضل فـ العيلة المنكوبة غيري.. ناويالي على إيه؟! سجن ولا نفي ولا إعدام؟!

أغلقت أمل سوستة الحقيبة القماشية التي لفتها على وسطها، وأخفت عينيها الدامعتين بمنظارها الشمسي الداكن.

قبض إيمان على معصمها وهتف بعصبية:

رُدي عليا يا شادية!

التفتت أمل إليها، حدجتها بنظرة طويلة من وراء عدسات منظارها الداكنة.. وجهها المحتقن وعيناها الحمراوان، قبل أن تجذب معصمها برفق لتحرره من قبضتها ثم ترفع أناملها لتربت على وجنتها برقة، قائلة بصوت مشفق:

أنا اسمي أمل.

ارتعشت شفتا إيمان وهي تحدق في وجه خالتها للحظة، وتقلصت ملامحها كما لو كانت على وشك البكاء.. همست بصوت مختنق:

إنتي أنانية أوي.

ثم أزاحت أصابعها عن وجهها بشيء من العنف واستدارت مغادرة.

-٢٠-

أضاءت إشارة المرور الإلكترونية الخضراء، فتحركت صفوف السيارات لتعبر التقاطع، وانحرف السائق الآلي بسيارة معتز يسارًا (بعد أن أضاء مصباح اليسار) ليدور حول الصينية المزروعة التي تتوسط الميدان، ثم أطلق العنان لسرعته في الشارع شبه الخال.

بالداخل، نظر معتز لأمل الجالسة إلى جواره، والتي أعادت تليفونها المحمول عتيق الطراز إلى حقيبتها بعد مكالمة هامسة مقتضبة لم يفلح في التقاط أي من فحواها.

- مش قديم شوية؟!

استدارت عيناها إليه، فابتسم وهو يستطرد مفسرًا:

- الموبايل.

ابتسمت، فتجمعت التجاعيد على طرفي شفتيها الرفيعتين وهي تقول:

- لزوم الكاراكتر وكده!

بدت له ابتسامتها مصطنعة وكأنما بذلت مجهودًا في رسمها لتخفي قدرًا ملحوظًا من التوتر، وإن لم تمنعه ملاحظته من إطلاق ضحكة مرحة على سبيل المجاملة، وسألها:

- حضرتك دارسة دراما بقى!

تنهدت مجيبة:

- مش لازم.. حياتنا كلها دراما، ولازم نتعامل.

- (عالماً بالإجابة): أومال دارسة إيه؟

إعلام.

(ضاحكًا): أووو! زميلة!

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تقول:

- ده كان من أكتر من 40 سنة.

كنتي دفعة إبراهيم بيه جودة؟

هزت رأسها نافية وقالت بشيء من الازدراء:

إبراهيم دفعة متأخرة عني بييجي حوالي عشرة، خمستاشر سنة، وعرفته أصلاً بعد ما كُنت اعتزلت العمل الإعلامي.. فـ الأحداث القديمة.

وصمتت لحظة ثم أردفت:

كان لسه ساعتها مراسل محطة فضائية مش فاكرة اسمها دلوقتي.

- اتعرفتوا إزاي؟

شردت ببصرها عبر الزجاج الذي تنعكس عليه أضواء المحلات وأعمدة الإنارة المتوالية على جانب الطريق.

"(بحماس): لا يذكر التاريخ الإنساني خروجًا عظيمًا لشعب كامل عن بكرة أبيه كما خرج الشعب المصري الأبيّ في هذا اليوم المجيد.. لا شيء قادر على الصمود أمام هذه الجحافل العظيمة.. لا الغاز ولا الرصاص ولا دانات الدبابات حتى.. المصريون هبوا من أجل حياتهم التي تُسرَق منهم"

"(بعينين محتقنتين وصوت مختنق): الجثث متناثرة على الأسفلت.. جثث ثوار سلميين خرجوا للمناداة بحقهم في الحياة.. ولكن أبَت *Egy-Nergy* والنظام العميل المتحالف معها إلا أن يضيفوا جريمة أخرى لسجل جرائمهم.. (يسعل) القتل عن عمد، والطلقات ثقبت الرؤوس.. الحرائق في كل مكان، وسحب الغاز المسيل للدموع تملأ السماء.. (يسعل) ورغم ذلك، الروح المعنوية للثوار عالية وقد تعاهدوا على استكمال ثورتهم مهما كان الثمن"

"أمل الشافعي، أعزائي المشاهدين.. السيدة المصرية الأصيلة.. حفيدة إيزيس وحتشبسوت.. رمز الثورة وقائدتها.. تُعلن من على المنصة تضامن عدد من المنظمات الحقوقية حول العالم مع ثورة الشعب المصري، ووصول وفود منهم إلى القاهرة للانضمام للحراك الشعبي السلمي"

"كان معكم.. إبراهيم جودة، مراسل قناة الـ(...)"

مش معقول!

التفتت له مبتسمة بسخرية وهي تقول:

- صعب، مش كده؟!

(مندهشًا): إبراهيم جودة!

هزت رأسها مجيبة، فتابع:

بـس ده ليـه فيديوهـات قديمـة هاجـم فيهـا الأحـداث دي واعتبرهـا مؤامـرة لإحـداث فـوضى في البلـد وتقويـض دعائـم الاسـتقرار وكـده!

وقطّع فـ فَروِتي انا شخصياً واتهمني إني عميلة ومأجورة وبلا بلا بلا.

سـاد الصمـت بينهـما قليـلاً، وعجـلات السـيارة تنزلـق بنعومـة عـلى الأسـفلت الممهـد بعنايـة، قبـل أن تتنهـد مسـتطردة:

- مش هوَ لوحده.. الكُل تقريبًا ساعة الجد نفض إيده.

الكل؟!

هـزت رأسـها، وعـادت لشرودهـا.. سـاد الصمـت للحظـات أخـرى، ثـم سـألها بحـذر:

والسوبرمان؟

التفتت ببطء تحدق في عينيه، رددت:

السوبرمان؟!

التقط نفسًا ملأ به صدره وقال:

السوبرمان اللي كان بيحارب في صفوفكم.

لم يفتـه الـشرود الـذي ذابـت فيـه عيناهـا، وكأنمـا تراقـب رؤى مـا تعـبر أمامهـا في الفـراغ.

جسـد مشـدود الأوتـار، عـاري الجـذع، يقـف منتصـب القامـة، نـدوب بشـعة وآثـار جـروح قطعيـة منتـشرة هنـا وهنـاك، وثمـة .E.E مطبوعـة عـلى كتفـه اليمنـى وأسـفل منهـا أرقـام وحـروف إنجليزيـة مطبوعـة بخـط دقيـق

- اسمه أدهم.

ردد وراءها مستوضحًا:

أدهم؟!

آه.. أدهم صبري.

المظاهرة الحاشدة القادمة من شارع التحرير تقترب حثيثًا من كوبري قصر النيل.. الهتافات تصم الآذان.. يسير هو في قلبها.. كفّاه مدسوستان في جيبي الجاكيت ذي غطاء الرأس الذي يرفعه فيخفي به أغلب ملامحه.. صامت لا يهتف.. عيناه لا تكفان عن مسح الأجواء المحيطة من الجهات الأربع، وثمة سماعة دقيقة مستقرة في أذنه من تحت غطاء الرأس.

الهتافات.. الحماس.. التصفيق.. الأنباء تتواتر من مقدمة المظاهرة عن حشود مضادة من الداخلية تتقدم من ميدان التحرير صوب كوبري قصر النيل.

يميل برأسه قليلاً وهو يرفع أصابعه إلى أذنه وكأنما لينصت إلى محدثه عبر السماعة.

يلتقي حاجباه.. يرفع عينيه إلى السماء الممتلئة غيومًا.. يبدأ في مدافعة الناس للوصول إلى مقدمة المظاهرة.

- الاسم ده أنا عارفه!

قالت:

- ده مش اسمه الحقيقي طبعًا.. أدهم صبري اسم شخصية خيالية كنا بنقراها ف الروايات زمان.

أومال اسمه الحقيقي إيه؟

توقفت عيناها على لمبة حمراء دقيقة مضيئة في طرف التابلوه.. أومأت تجاهها برأسها وهي تقول:

- أفترض كده إنك بدأت أسئلتَك؟

نظر إليها بارتباك قائلاً:

لو مكانش يضايقِك.

(بصرامة): يضايقني إنك متبقاش واضح.

(متلعثمًا): أنا مقصدتِش.. آسف.. لو تحبي أطفي المسجل.

لا محبِش.

قالتها باقتضاب حاسم جعله يبتلع لسانه وهو ينظر إلى الطريق أمامه، شاعرًا بالدماء تغزو أذنيه.

محدِش يعرف اسمه الحقيقي.

قالتها وهي تزفر بعمق وكأنما لتطرد المشاعر السلبية من صدرها.

ردد:

- فعلاً!

- هوَ نفسه مكانش يعرف اسمه الحقيقي.

- (بدهشة): إزاي؟!

- لما عرفناه كان مصاب.. مصاب زي الحالة اللي إحنا رايحين نشوفها في المستشفى دلوقتي.. وكان على كتفه شـ..

E.N. مطبوعة على كتفه اليمنى وأسفل منها أرقام وحروف إنجليزية مطبوعة بخط دقيق.

تساءل:

- بطارية هربانة برضه؟!

- بالظبط.

كذا أجابت، وصمتت للحظة ثم أضافت:

- وكان فاقد ذاكرته.. تمامًا.

- وليه سَميتوه...؟!

- أدهم صبري.

- آه.. ليه بقى؟!

شردت بعينيها في الفراغ وهي تغمغم:

- عشان كان زي ما إنتَ قولت.

ردد:

- زي ما أنا قولت!

- (من دون أن تنظر إليه): سوبرمان!

مدرعات الداخلية تقترب من جهة ميدان التحرير.. تشكيلات العساكر من ذوي الأردية السوداء تنتظم في صفوف.. حاملو بنادق قنابل الغاز المسيل للدموع يتقدمون.. يشهرون فوهات بنادقهم باتجاه المظاهرة القادمة عن بعد.. يضغطون الأزندة.

تنطلق عشرات القنابل مصحوبة بعشرات الفرقعات.. تشق السماء متجهة نحو المتظاهرين..

يحدث هنا أمر غير طبيعي.

ترتبك مسارات قنابل الغاز في السماء.. تتبعثر وتفقد اتجاهها، ثم وبشكل مستحيل فيزيائيًا، وكأنّ قوة خفية غير منظورة جمعتها ثم قذفتها.. ترتد عائدة لتهوى وسط صفوف عساكر الأمن المركزي.

تضطرب صفوف العساكر وينهار تنظيمهم.. الكل يهرع وهو يغالب ذهوله مبتعدًا عن الغاز المتسرب من القذائف.

إزاي ده؟!

كذا ردد معتز مذهولاً.

سايكوكاينزس.

مين؟!

قالت مفسرة بتؤدة:

سايكوكاينزس.. كلمة لاتينية معناها "التحريك عن بُعد"

ثم رفعت حاجبيها متسائلة بشيء من التهكم:

- مبتشوفش أفلام؟!

حاملو البنادق يحاولون استعادة تنظيمهم، وإعادة الكَرّة.

المظاهرة الصاخبة مستمرة في تقدمها.

أدهم يصل إلى الصفوف الأولى.

الفوهات ترتفع مجدداً بزاوية لأعلى باتجاه المسيرة.

الأصابع على الأزندة.

عيناه مثبتتان على صف العساكر على مرمى بصره.

في اللحظة التالية تتقافز البنادق من أيدي العساكر.

يتراجعون صارخين بفزع وهم يرون أسلحتهم المعلقة في الهواء لتسحق وتتحول إلى غبار تذروه الرياح.

يسود الاضطراب.. القوات تتراجع.

المسيرة تتقدم، وهتاف "الله أكبر" يرج كوبري قصر النيل.

الكلام ده بجد؟!

هزت رأسها قائلة:

لو مكنتِش شفته بعيني مكُنتِش هَصَدق.

- بس ازاي؟!

يعتدل الدكتور محمود أبو زيد في مقعده بمستشفاه بـ"بارادايس هايتس" ينقل بصره بين أمل وأدهم الجالسين في مقعدين متقابلين أمام مكتبه.. يتكلم بتؤدة:

السايكوكاينزس في الأساس قدرة عقلية فائقة، موجودة عند ناس كتيرة (زي أغلب الأنشطة العقلية الفائقة) بدرجات متفاوتة تكاد تكون غير محسوسة.. ونادرًا لما بتظهر بشكل واضح ملحوظ عند حَد.. ولما بتظهر مبتبقاش بقوة القدرة اللي عند صديقنا أدهم، أو حتى بعُشرها.. بالإضافة لنقطة تانية شديدة الأهمية.

أدهم يحدق فيه صامتًا بينما تتساءل أمل بفضول:

- نقطة إيه؟

يصمت للحظة وكأنه يراجع ما سيطرحه، ثم يقول:

- الاختبارات اللي عملناها لأدهم هنا ف المعمل نوعين: اختبارات لقياس النشاط الكهربي للمخ، واختبارات في مجال للأشعة تحت الحمراء لقياس التغير في طبيعة السيال الحيوي.. النوع الأول نتيجته طلعت سلبية، بمعنى إن مفيش نشاط كهربي مختلف أو غير طبيعي للمخ مُصاحب للسايكوكاينزس.. وعلى العكس من ده نتيجة النوع التاني من الاختبارات.

- نتيجة إيجابية؟

يهز رأسه قائلاً:

بالظبط.. (مشيراً بكفه نحو أدهم) شكل وخصائص السيال الحيوي الخاص بيه، على شريط الفيلم اللي اتصور في مجال الأشعة تحت الحمراء، كان بيتغير مع كل نشاط سايكوكاينزس كان بيمارسه.

بمعنى؟

- بمعنى إنه على عكس الشائع والمثبت في مراجع الباراسايكولوجي وفي أفلام السينما حتى.. عقل أدهم مش هو المسؤول على قدرة السايكوكاينزس اللي عنده.. المسؤول هو الأكتوبلازم.. سياله الحيوي.. هو اللي بيتفاعل وبيتحكم في الـ*leptons*.

- Leptons؟!

ردد معتز باستغراب، ثم تساءل:

- ده شاي؟

لوت أمل شفتها كإشارة لاستثقال دمه، وقالت بجدية:

الـleptons.. جسيمات.. المكون الأساسي للمادة.

- مش فاهم!

نظرت للطريق خارجًا ثم إلى ساعة يدها وتساءلت:

- إحنا هنوصل إمتى؟

نظـر إلى الأرقـام المتناقصـة عـلى شاشـة كمبيوتـر السـيارة في التابلـوه، وقـال:

أقل من خمس دقايق.

نفخـت بعمـق طـاردة المزيـد مـن التوتـر مـن صدرهـا.. لم يغـب انفعالهـا المتصاعـد عـن عينيـه.. سـألها:

مكملتيش موضوع الـ.. الـleptons دي.

أغمضت عينيها ودعكتهما برفق وهي تقول بصوت منهك:

- ملخـص الموضـوع إن أدهـم كان عنـده قـدرة نفسـية فائقـة غير مسـبوقة عـلى تحريـك أي جسـم عـن بُعـد.. قـدرة امتلكهـا سـياله الحيـوي بالتأثـير المبـاشر عـلى جسـيمات الـleptons المكونـة للجسـم الـلي عايـز يحركـه.

القدرة دي مكتسبة ولا مولود بيها؟

ينظر الدكتور محمود إلى وجه أدهم ويقول مجيبًا على سؤال أمل:

أدهم ممكن يقولنا.

تلتفـت عينـا أمـل لتحدقـا في وجـه الشـاب الـذي يصمـت لوهلـة، ترتسـم خلالهـا انفعـالات شـتى عـلى صفحـة وجهـه، قبـل أن يهـز رأسـه قائـلاً:

مش فاكر!

ترمقه أمل بنظرة مشفقة، بينما يومئ الدكتور محمود برأسه ويقول:

مفهوم..

ويعتدل في جلسته مستطرداً:

تفسيري المبدئي إن القدرة دي مكتسبة.. اكتسبها سيالك الحيوي وانت بتتعرض للتعذيب جوة ماكينات استخلاص الطاقة في *Egy-Nergy*.. يعني بالبلدي يا أدهم سيالك الحيوي كان بيدافع عنك.. لما استشعر الخطر والألم، ضاعف القدرة النفسية اللي موجودة عندنا كلنا على التحكم في جسيمات المادة ووصل بيها لمستويات خارقة.. مستويات خلّته قادر على السيطرة على كل وأي جسم محيط بيه.. وده يفسر إزاي قدرت تهرب.

-٢١-

زحف عقرب عداد السرعات في تابلوه سيارة إيمان بسرعة نحو رقم المائة وخمسين كيلومتر/ ساعة، إذ تعتصر قدمها دواسة الوقود بقوة، فتمرق السيارة كالبرق في حارة الـhigh way من كوبرى 30 يونيو الاتجاه القادم من جنوب القاهرة والمؤدي إلى شرقها.

عن يمينها وشمالها تتوالى أشباح أعمدة الإنارة واللوحات الإعلانية العملاقة لأحدث أفلام ومسلسلات وبرامج الموسم، وأفخر وأحدث الكومباوندات السكنية على نمط "بارادايس هايتس" في مواقع مختلفة بالبحرين الأحمر والمتوسط.. أضواء باهرة لا تنتبه لها إيمان، بحكم التعود أولاً، ولشرودها ثانيًا، رغم إلغائها لعمل السائق الآلي.

وبينما عجلات السيارة تلتهم الأسفلت التهامًا على ارتفاع عشرات الأمتار فوق العباسية، انتبهت إيمان لأن سرعة السيارة تنخفض ذاتيًا، وصك أذنيها أخيرًا التحذير المتكرر الذي يردده كمبيوتر السيارة طيلة الدقائق السابقة (من دون أن تنتبه له، لشرودها) لاضطراره خفض السرعة بسبب تجاوزها السرعة القصوى، والإنذار الذي أرسلته إدارة المرور على الإنترنت حاملاً قيمة غرامة باهظة وتهديد بسحب الرخصة على يد أقرب لجنة مرورية.

زفرت بحنق، أطلقت سبة بذيئة وجهتها لكمبيوتر سيارتها وكأنه شخص حي، وجمعته بـ"ديك أم المرور" على "ديك أم البلد كلها"، بينما أصابعها تتقلص على عجلة القيادة.

- تليفون.

قالتها بلهجة آمرة، فتساءل الكمبيوتر عن الهاتف المراد الاتصال به.

- يحيى.

تساءل الكمبيوتر مجددًا (بعد جزء من الثانية فتش فيه في ذاكرته) إن كان المقصود هو يحيى الجوهري أم يحيى عز العرب.

قالت بنفاد صبر:

يحيى الجوهري يا خرة!

في جزء آخر من الثانية فصل الكمبيوتر المزوّد بوحدة A.I. الشتمة عن الاسم المسجل على قائمته، فألقى العبارة المسجلة:

- جارٍ الاتصال.

استمعت للرنين الخافت الرتيب لثوانٍ وهي تنقر عجلة القيادة بعصبية بأظافرها المطلية بمانيكير فاتح اللون، قبل أن يتحول الرنين إلى أزيز يعقبه ارتفاع صوت يحيى الهادئ:

Hi.. أنا مشغول دلوقتي جدًا للأسف ومش هَقدر أرد عليك.. ممكن بعد ما تسمع الصفارة تسيبلى رسالة وهَسمعها إن شاء الله بمجرد ما...

إلى آخر الرسالة المسجلة.. تمتمت من بين أسنانها أن shit وهي تطلق زفرة أخرى من أعماق صدرها محملة بأبخرة الحنق.

- (بعد وهلة): تليفون.

- الاسم أو الرقم المطلوب؟

- هند شعلان.

- جارٍ الاتصال.

لحظات ثم تكون هولوجرام للنصف العلوي من هند صديقتها وزميلتها على ارتفاع سنتيمترات من تابلوه السيارة.

(بصوت مرح يموج بالغنج): Hi.

حدقت في صديقتها التي التمع كتفاها ومفرق صدرها في بيبي دول فاضح، قبل أن تبتسم قائلة:

- صفوت رجع بدري النهارده ولا إيه؟!

ضحكت هند بخلاعة قائلة:

حبيبتي، صفوت مبيقربليش غير مرة واحدة فـ الشهر، حتى لو قضى الشهر كله جنبي ع السرير.. وغالبًا المرة دي بتبقى ف يومين البيريود عشان هسهس الحمل.

- أومال الشفتشي ده ليه يا بايظة.

- (تضحك): جورج كلوني!

- (تضحك): يا قديمة.!

عضت على شفتها السفلى بأسنانها وهي تقول بشبق:

- لقيت نفسي خربانة.. دوّرت ف الميموري بتاعة الفيبريتور لقيت صور وفيديوهات قديمة لجورج كلوني.. بيبوس بطريقة تجنن ابن الكلب، فسجلته، وهقضي الليلة ف حضنه!

الله يسهله يا سيدي.. إبقي سلميلي عليه.

طب إنتي كنتي متصلة عايزة إيه؟

- (تبتسم): لا بعدين بقى لما تبقي تفوقي.. سلام يا منحرفة.

أنهت الاتصال، فتلاشى الهولوجرام وتلاشت معه الابتسامة من على شفتيها.. مرت ثوانٍ أخرى ثم طلبت رقمًا جديدًا.

- سامح البكري.

- جارٍ الاتصال.

الرنين الخافت الرتيب، ثم يرتفع صوت سامح مقرونًا بتكون هولوجرام لوجهه الوسيم محدد القسمات.

- (ضاحكًا): أنا مش مصدق نفسي!

ابتسمت قائلة:

- إزيك؟

- طب كويس والله إنِك لسه فاكراني يا جبانة!

أطلقت ضحكة خافتة وهي تقول:

حوش إنت سؤالك عليّ اللي مبيخلصش!

- أنا فضلت أسأل وأتصل لغاية ما لقيتك بتنفضي ومصدرالي الـ answer machine كل مرة ومبتتصليش بيّ، فقُولت يا واد خليك خفيف كده وحِل عن سماها شوية.

- أنا اقدر؟!

- تقدري ونُص يا بكاشة.. وحشتيني أوي.

(تبتسم): وانت كمان وحشتني.

ضاقت حدقتا الصورة الهولوجرامية.

- شكلِك متغير ولا انا بيتهيألي؟!

- إنت مشغول؟ ينفع أشوفَك دلوقتي؟

تهللت أساريره:

- Sure! ولو مشغول أفضالِك طبعًا.

ضحكت بدلال قائلة:

- ميرسي، حبيبي.

ثم.

- إنت فـ الشيخ زايد؟

- لا أنا فـ فيلا التجمع.

- قشطة، إنت جنبي.. يلا، مش هتأخر عليك.

أنهت الاتصال، ونقلت القيادة للسائق الآلي بعد أن حددت له العنوان بدقة على الـGPS، ثم استرخت في مقعدها وأسبلت جفنيها.

دقيقة كاملة مرت عليها في هذه الوضعية، قبل أن تتقلص ملامحها وتجز على أسنانها، ثم تنفخ بحنق وهي تفتح عينان تقدحان شررًا.

- Abort.

قالتها بعصبية، بينما السيارة تقترب من منزل الكوبري المؤدي إلى التجمع الخامس.. أبطأ السائق الآلي من سرعة السيارة، بينما الكمبيوتر يتساءل عن الوجهة الجديدة.

صمتت للحظات ثم أمرته باقتضاب أن يوقف السيارة.. أطاعها على الفور، فأضاء المصباح الخلفي الأيمن، ثم انتقل تدريجيًا بالسيارة لأقصى اليمين، حتى أوقفها تمامًا جراج مسقوف ملحق بكافيتريا ومحطة لخدمة السيارات.

هناك، أشعلت سيجارة، وقبعت في سيارتها تدخن وتتأمل المشهد بعينين شاردتين، ومن آنٍ لآخر تنفث الدخان وتزفر بحنق.. عيناها الواسعتان ملتمعتان ببريق دموع حبيسة.

- الله يحرقك يا شادية!

كـذا غمغمـت مـن بـين أسـنانها، وهـي تـضرب عجلـة القيـادة بـ"كلـوة" يدهـا.

"التفتـت أمـل إليهـا، حدجتهـا بنظـرة طويلـة مـن وراء عدسـات منظارهـا الداكنـة.. وجههـا المحتقـن وعيناهـا الحمـراوان، قبـل أن تجـذب معصمهـا برفـق لتحـرره مـن قبضتهـا ثـم ترفـع أناملهـا لتربـت عـلى وجنتهـا برقـة، قائلـة بصـوت مشـفق:

- أنا اسمي أمل."

ارتفعت نبرة صوتها وازدادت حدةً وسخطًا وهي تردد:

الله يحرقِك يا أمل!

ظلـت ترددهـا مـرات ومـرات بـلا كلـل، ثـم لم تلبـث أن دفنـت وجههـا بين كفيهـا، وانفجـرت في بـكاءٍ حـار.

-٢٢-

قال معتز معترضًا:

- بس حوار زي حوار السوبرهيرو ده كان هيبقى معروف، العالم كله هيتكلم عنه!

صمتت للحظات رمقت خلالها واجهات المتاجر والبنايات المتوالية عبر زجاج النافذة المجاورة لها، ثم قالت بصوت يموج بالمرارة:

- الفترة دي العالم عملها delete.. انطمست بمنهجية، مش هتلاقي كتب ولا فيديوهات على يوتيوب ولا إحصاءات ولا تغطيات صحفية.. الكُل اتفق إن المصلحة هي المحو.

وعادت تسرح بعينيها عبر زجاج النافذة، تجاه المارة الرائحين والغادين على الأرصفة، وهي تقول بشرود:

- حتى الناس العادية.. الشعب.. مسحوا.. نسيوا.. تناسوا.. كأن الوعي الشعبي الجمعي قرر ان الجريمة دي لازم تستمر.. وأي حاجة بتفكر بيها لازم تتمسح.. كأن مفيش حاجة حصلت!

جريمة؟!

تابعت بذات الشرود وكأنها لم تسمعه:

حتى صوت الأنين.. الناس بطلت تسمعه! أو بيسمعوه بس خلاص تعايشوا معاه!

والتفتت تنظر إليه متسائلة:

- بتسمع حاجه انتا؟!

- (بعجب): حاجة ايه؟!

- أصوات أنين.. صراخ.. بكا!

حدق فيها بحيرة من دون أن يرد.. هزت رأسها وعادت لشرودها.

قال بخفوت:

- عشان كده فضلتي برة مصر عشرين سنة؟!

ظلت جامدة كتمثال للحظات، قبل أن تهز رأسها ببطء ثم تقول بصوت متحشرج:

أنا كمان كان مطلوب اتمسح.

ارتفع صوت كمبيوتر السيارة يشير إلى دقيقتين تبقتا قبل الوصول للهدف المسجل، بينما هي تتابع:

بعد مجهودات الإعلامي العظيم إبراهيم جودة وشوية الألاضيش اللي شبهه فـ التوك شوز والجرايد، إسم أمل الشافعي بقى محظور أكتر م الجماعة المحظورة نفسها.. مجرد نزولي الشارع كان تهديد لحياتي.. مش من الشركة أو الدولة.. من الناس!

وابتسمت مستطردة بمرارة:

تخيل إن الدولة هي اللي -مشكورة- سمحتلي بتغيير بياناتي عشان اقدر ارجع اموت فـ بلدي؟!

شعر بموجة من الإشفاق تجتاحه، مد أصابعه ليربت على كفها المتغضنة، غير أنها سحبتها بسرعة وهي تقول مُستَرِدة نبرة السخرية:

- لا، مبحبِش جو المُحن ده.. هنوصَل إمتى يا عم؟

- وصلنا already خلاص.

قالها وهو ينظر أمامًا عبر زجاج السيارة التي هدأت سرعتها تدريجيًا مع اقترابها من مدخل جراج المستشفى.

- وأدهم؟

"قال له الدكتور محمود:

- على حد علمي، إنت الأول من نوعك.. بقدراتك المكتسبة دي يا أدهم، إنت مبَقِتش إنسان عادي، مبَقِتش إنسان أصلاً.. بقيت *monster*.. *alien*.. استغفر الله العظيم *half god*.. شيء مخيف.. مخيف."

تساءلت:

- ماله؟

- أدهم نسي ولا اتنَسَى؟

لحظة أخرى من الشرود ثم قالت باقتضاب:

- اختفى.

- اختفى!

هزت رأسها ببطء فتساءل بدهشة:

إزاي اختفي؟!

انزلقت السيارة بنعومة عبر ممرات الجراج بينما هي تجيب:

- اختفى.. تلاشى.. خرج ولم يعد.. مرة واحدة ملقيناهوش وسطينا.

وتنهدت مستطردة:

- ودي كانت بداية النهاية.

أطل الفضول كاسحًا من عينيه، فقالت بمرارة:

- المظاهرات والمسيرات والاعتصامات ضد Egy-Nergy كانت ف كل مكان ف البلد.. لكن الشغل الرئيسي والتركيز الإعلامي كان هنا ف العاصمة.. النظام المتحالف مع Egy-Nergy حاول باستماتة إنه يوقف احتجاجاتنا.. استخدم أعنف الأساليب وسقط شهداء كتير، وكان ممكن ينجح، لولا إن ظهور أدهم وانضمامه للثورة قلب موازين القوة.

عجلة القيادة تدور تلقائيًا بينما السائق الآلي يتحكم بدقة ليتوقف بالسيارة في مكان ضيق بين سيارتين.

قدرات أدهم النفسية كانت سلاح حاسم ضد أمن وبلطجية النظام.. جالهم رعب وهمّ بيشوفوا أسلحتهم ومعداتهم ومركباتهم وهي بتتفتت، بتتحول لغبار.. مشهد مذهل! زي ما قولتِلَك.. لولا إني شوفت بعينيّ مكُنتِش هصدق (تضحك ضحكة خفيفة).. كان لازم تشوف منظرهم وهمّ واخدين ديلهم ف سنانهم وبيجروا، وصراخهم بيصحّي الأموات.. مرة والتانية، وبعدها مبقوش يقربوا مننا.

ولما اختفى؟!

- فحتونا.. كانت مدبحة.. هجموا علينا مرة واحدة من كل الاتجاهات.. حاولنا نقاوم.. نصد.. نستغيث.. بس مفيش فايدة.. أغلب اللي تضامنوا معانا نَفّضولنا، واكتشفنا ان وسائل الإعلام العالمية انسحبت من بيننا قبل الهجوم بساعات.

وتنهدت متابعة:

كان action مترتب كويس.. خلصوا أوراقهم مع الناس اللي برة، وحَيِّدوا المنظمات الحقوقية ووسائل الإعلام، وبعدها انقضّوا على الثوار في الشوارع.. مفيش إحصائية رسمية بأعداد الشهداء اللي سقطوا ف

الأيام القليلة الأولى، لكن التقديرات لا تقل عن عشرات الآلاف.. (يتهدج صوتها) أنا بعيني شوفت مئات الجثث متنَطوَرة على الأسفلت.

وامتزج صوتها بأزيز الزجاج الكهربائي إذ يرتفع آليًا:

- بضرب الاحتجاج في القاهرة، ضعف تأثير الحركة الاحتجاجية في الأقاليم وفي العواصم العالمية.. كانت فيه دوشة وتنديد وأصوات عالية كتيرة، قضايا حقوقية وتهديدات بالتصعيد القانوني، ده غير طبعًا الإسلاميين اللي اعتبروا إن ضرب التظاهرات هو مؤامرة لإجهاض المشروع الإسلامي وحلم الخلافة... إلى آخر القاموس. وفي النهاية النار انطفت.. اللي ماتوا اندفنوا.. واللي عاشوا حسدوا اللي ماتوا، والشركة توسعت في مشاريعها وبقت موجودة في كل ركن ف العالم.

-٢٣-

رفع آدم المصري عينيه إلى عمرو عزام، مدير مكتبه وساعده الأيمن، وهو يدلف إلى قاعة مكتبه، ويدنو منه بخطوات واسعة ملقيًا التحية.

إيه الجديد يا عمرو؟

قال الشاب وابتسامة واثقة تتسع على شفتيه:

- Done، مستر آدم.

اتقدت عينا آدم باهتمام يوشك أن يصير انفعالاً، التقطته عينا عمرو الذي جلس على أحد المقعدين المتقابلين أمام المكتب وهو يقول:

- السيكيوريتي كوابريشن بروتوكول مع The Eye بدأ يؤتي أكُله زي ما بيقولوا.

- اختصر يا عمرو!

قال بسرعة:

- من دقيقة واحدة وصلني إيميل من مدير المتابعة ف Eye بيبلغني إنهم رصدوا البصمة الحيوية اللي إحنا بعتناهالهم.. بصمة البطارية الهربانة.

- فين؟

- مستشفى (Emergency Care) فـ مدينة نصر.. أجهزة السيكيوريتي بالمستشفى سجّلت دخول بصمة البطارية النهاردة الضهر، الساعة 10:37 تحديدًا كضحية لحادث مروري على الطريق الدائري.. ودا يتفق

مع نتايج المسح اللي عملته فرق المطاردة، ابتداءً من مزرعة أبو رواش لغاية قرب صقر قريش.. آثار البطارية وشهادات السكان المحليين اختلفت من بعد النقطة دي.

- بتقول البطارية سجلت دخول المستشفى الساعة 10:37؟!

بالظبط.

قال آدم:

يعني تسع ساعات و12 دقيقة بين تسجيل دخول البصمة للمستشفى، وإبلاغنا بيها!

تنهد عمرو قائلاً:

يظهر مفيش فايدة يا مستر آدم، هتفضل الأخطاء موجودة طول ما العنصر البشري موجود في المنظومة.. وده مش أي عنصر بشري، ده عنصر مصري كمان!

بدا صوت آدم باردًا كالثلج وهو يقول:

ده مش خطأ، تسع ساعات تأخير دا Fatal mistake.. افتحلي تحقيق فوري أنا اللي هشرف عليه، ولو الproblem من عندهم هَفسخ التعاقد.

- شور، مستر آدم.

وبالنسبة للبطارية؟

نظر عمرو لساعة يده وقال:

- أقرب فرقة مطاردة بدأت تحركها باتجاه الهدف بعد وصول إخطار Eye بتلاتين ثانية، وهيوصلوا في أقل من 10 دقايق.

- 10 دقايق كتير.

- كتير فعلاً، وعشان كده تم تكليف أقرب عميلين ميدانيين بالتحرك، وهيوصلوا في غضون دقيقتين.

صمت آدم للحظات ثم تساءل وهو يداعب خصلات لحيته بأصابعه:

- وحالة البطارية إيه؟

فتح عمرو فمه ليجيب، عندما ارتفع أزيز هاتف آدم للحظة، ثم تبعه الصوت الأنثوي المسجل، يقول:

إبراهيم جودة رئيس تحرير موقع Egypt Now.

تبادل الرجلان النظرات، وغمغم عمرو بسخرية:

- هوَ لسه ممَتش؟!

بيتكلم على الخط الداخلي.

قالها آدم ببطء، فعقب عمرو متسائلاً:

تحب تحوله على السكرتارية أو على الخط بتاعي؟

هز آدم رأسه وهو يقول:

أكيد عايز حاجة، وما دام عايز حاجة يبقى أكيد عنده حاجة يقدمها.

ثم قال آمرًا الهاتف:

- Answer.

لحظة، ثم تجسد في الفراغ هولوجرام متوسط لوجه إبراهيم جودة.

آدم بيه، مساء الخير.

أتعشم يكون فيه سبب قوي جدًا يخليك تكلمني على تليفوني الشخصي يا إبراهيم.

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي الصورة المجسمة بينما صاحبها يقول:

إحنا عِشرة قديمة يا آدم بيه، وإنت عارف ان أخباري دايمًا طازة وتستاهل.

(ببرود): تستاهل إيه؟

- تستاهل مثلاً إنك ترجع تعتمد عليّ فـ شغل الحملات الإعلانية زي زمان.. أنا متأكد ان معاليك منسيتش اني كنت كفاءة، وبَعمِل اللي محدش غيري يعرف يعمله.

تكوّن شبح ابتسامة على زاوية فم آدم وهو يقول بتهكم:

- هوَ فيه كفاءة يتمسك بتهمة غسيل أموال وتتقفله وكالته الإعلانية يا ابراهيم؟!

- ما يُقع إلا الشاطر يا ريس، وولاد الحرام مسابوش لولاد الحلال حاجة.

ابتسم عمرو لـ"ولاد الحلال" هذه، في حين قال آدم بجدية:

- أنا وقتي ضيق يا ابراهيم، ادخل فـ الموضوع.

أنا أحرص واحد على وقتك يا آدم بيه، وعشان كده عايز اوفّرلَك الوقت والمجهود اللي هيضيعوا في تعقب البطارية اللي هربت منكم امبارح.

هوت عبارته كَقُنبُلة انفجرت في فراغ القاعة، قنبلة يعرف هو تأثيرها، الأمر الذي بدا جليًا في ابتسامته الواثقة.. تبادل آدم وعمرو نظرة صامتة طويلة، قبل أن يتساءل الأول:

مين قال اننا عندنا بطارية هربانة؟!

- أنا اللي بَقول يا باشا.

قالها إبراهيم وهو يضغط عَلى حروفه، وعلى الفور تكوّن هولوجرام جديد للفيلم القصير الذي التقطته كاميرا معتز لحادث الطريق الدائري صباحًا، وثبتت اللقطة الأخيرة على صورة الجسد الملطخ بالدماء والذي تزين .E.N واضحة كتفه.

- الفيلم ده صوّره النهارده الصبح ولد شاب ممتاز عندي ف الموقع، ولما شوفت اللقطة الأخيرة دي، افتكرت حاجات قديمة كنت نسيتها والناس كلها نسيتها.

حدّق فيه آدم بعينين لا تطرفان من دون أن يعقب، فتابع:

- من 25 سنة شوفت الـE.N دي على جسم شخص، اتضح إنه بطارية هربانة من مزارع Egy- Nergy.. الشخص ده لأسباب معقدة امتلك قدرات نفسية غير طبيعية، ولسوء الحظ قرر انه يسخّرها لصالح الفريق المضاد لـEgy- Nergy وفي توقيت حرج، كانت الشركة فيه بتتلقى الضربات حول العالم من الحركات الاحتجاجية.

وهز رأسه مردفًا بابتسامة صفراء:

- أنا مش بعيد عليك تاريخ أنا متأكد إنك فاكره كويس يا آدم بيه، أنا بس مضطر أكرره عشان أوضّح خطورة ظهور سوبرهيرو جديد بعد اختفاء القديم لأسباب قدرية.

وضغط على حروف "أسباب قدرية" حدق عمرو في ملامح رئيسه الجامدة بينما هو يقول:

- وبعد ما وضحت؟

قال إبراهيم بلزوجة:

- أنا طبعًا يهمني ان الشركة تحتوي أي شوشرة وهي لسه ف بدايتها،

قبل ما أصحاب النوايا السيئة والمنتفعين يستغلوا الأخبار ويسببوا قلق، والمشاكل القديمة تتجدد من تاني.

تساءل عمرو متهكمًا:

- خايف على الشركة أوي؟!

التفتت الصورة المجسمة إلى النائب الشاب، وأفتر ثغرها عن ابتسامة أخرى:

طبعًا يا عمرو بيه، مش الشركة اللي هاكل منها عيش! معلش الكلام خدني مع آدم بيه، معرفتش ارحب بيك.

قال آدم بهدوء:

- لو الكارت اللي بتلعب بيه هو مكان البطارية، فإحنا خلاص وصلنالها، ورجالتنا ف مستشفى (Emergency Care) عندها دلوقتي.

قالها وهو يرمق عمرو بطرفٍ خفي، فتلقى الأخير الأمر البصري بالوقوف على المستجدات في العملية، وانسل مبتعدًا بهدوء بينما إبراهيم يقول ضاحكًا:

- معاذ الله إني أشكك في كفاءة جهازنا (وضغط على "جهازنا") الأمني يا آدم بيه.. I am sure you did.. بس أنا كلامي محدد ومتعلق بنقطة الشوشرة.. الخبر نزل عندنا على الموقع بعد حدوثه بدقائق، والمحرر الشاب العبقري اللي قولتِلَك عليه التقط طرف الخيط وفِضِل ماشي وراه لغاية ما عمل تحقيق استقصائي هايل هيعمل ضجة كبيرة ويحقق نسبة قراءة قياسية، فضلاً عن إنه هيفتح ملفات اتقفلت من زمان.. وأنا طبعًا زي ما انتَ أكيد فاكرني، من أشد المناصرين لحرية الصحافة، ومَقدَرش اقف في طريق عمل صحفي جاد.

حدق آدم فيه بعينين ثابتتين، قبل أن يقول ببطء:

كُنت فاكرك أذكى من إنك تتهور كده يا إبراهيم.

- صدقني أنا مأمّن نفسي كويس يا آدم بيه، والقلق اللي قولتِلَك عليه هيحصل for sure لو حد مس مني شعرة.

قال آدم ببرود:

مدير الدعاية والإعلان هيتصل بيك بكرة الصبح.

- أوعِدَك إنك مش هتندم يا مستر آدم.. وبالمناسبة، عندي خبر حلو، ممكن تعتبره عربون محبة من مدير حملتك الإعلانية الجديد.

رمقه آدم من دون أن تهتز له عضلة، فقال:

- قول لرجالتك ف المستشفى إنهم هيلاقوا واحدة ست عجوزة مكرمشة بتحاول تعِس على البطارية.. قولهم ميسيبوهاش تفلت منهم.

(ببرود): ست مين؟

بدت ابتسامته كريهة وهو يجيب:

- أمل.. أمل الشافعي.

وأمام تعبير الصدمة والغضب الذي كسا ملامح آدم الجامدة، تحوّلت ابتسامة إبراهيم إلى ضحكة مجلجلة، هي آخر ما حمله صوته عبر الأثير قبل أن يتلاشى ويتلاشى معه الهولوجرام إثر إنهاء آدم المكالمة.. رفع عينين مشتعلتين بالغضب إلى عمرو العائد إليه، وتساءل من بين أسنانه:

- عملوا إيه؟

-٢٤-

مـرت أمـل بسـبابتها في الفـراغ بمحـاذاة الممـر الممتـد مـن داخـل قسـم العنايـة المركـزة إلى مركـز خطـوط الحركـة بقلـب المستشـفى في المسـقط الأفقـي الرقمـي عـلى الشاشـة التـي تحتـل موقعًـا بـارزًا في ريسبشـن مستشـفى (Emergency Care). غمغمـت:

- الدور التالت، عناية مركزة رقم 12.

قال معتز مصححًا:

- التاني.. الريسبشانست قالت الدور التاني.

واتجه بخطوات نشطة نحو السلالم، فاستوقفته منادية:

- معتز!

- (ملتفتًا إليها): نعم!

- جدتك عايشة؟!

ردد بدهشة:

- جدتي!

آه.

- جدتي مامة مامتي لسه عايشة.. إشمعنى؟!

- عندها كام سنة؟!

- حاجة وسبعين باين!

- بتطلع سلالم بيتها على رجليها ولا أسانسير؟

- أسانسير!

ثم فهم فتضرخ وجهه حرجًا بينما هي تشير بكفها نحو نفسها مرددة:

- طب إيه؟!

تقدم ليضغط زر استدعاء المصعد وهو يقول مجاملاً لمداراة حرجه:

بس انتي أصغر من جدتي بكتير.

مش كتير ولا حاجة.

قالتها باقتضاب، بدا له وكأنما تدارى به انفعالاً متصاعدًا.. ركبا المصعد المتسع بين عدد من الناس ما بين زوار يحملون زهورًا وعلب شوكولاتة، وعاملين بالمستشفى في معاطف بيضاء.. مال على أذنها ليسألها بصوتٍ هامس:

عندِك توقع معين؟

(من دون أن تنظر إليه): بخصوص؟

انزلق باب المصعد بنعومة لدى وصوله الطابق الثاني، فغادرا وسط حشد بسيط تفرق في اتجاهات مختلفة باختلاف أرقام غرف العناية المركزة المطلوبة.. قال لها مفسرًا بينما هما يجدان السير في ممر متشح باللون الأبيض في الأرضية والسقف والجدران:

بخصوص البطارية المفقودة دي.. يعني، أقصد متوقعة يحصلها نفس اللي حصل لأدهم زمان؟ تبقى طفرة جديدة مثلاً وكده؟

تنقل بصرها بين أرقام غرف العناية المركزة، وهي تقول:

- كل شيء وارد.

وتجمدت عيناها على بابٍ مغلق قرب نهاية الممر، يقف إلى جانبه شرطي متين البنيان في زيه الرسمي، أومأت لمعتز برأسها تجاهه من دون أن ترى الرقم المثبت عليه وهي تهمس:

- هنا!

حدق معتز حيث أشارت شاعرًا بجفافٍ في حلقه، التفت إليها ليراها تبتعد بخطوات حثيثة لتختفي في ردهة جانبية.. أسرع الخطا ليلحق بها، فوجدها تخلع معطفها القماشي الداكن وتقلبه على بطانته البيضاء ثم ترتديه مقلوبًا ليبدو شبيهًا بمعاطف الأطباء.

نظر إليها وهو يردد مذهولاً:

إيه ده؟!

قالت له وهي تعقد أزرار المعطف:

- مش وقت اندهاش خالص دلوقتي على فكرة.

تساءل محاولاً ابتلاع ذهوله:

ناوية على إيه؟!

لم ترد عليه.. تعلقت عيناها بشاب فارع القامة في جينز ومعطف أبيض ويغطي رأسه بـ"كاب"، عَبَرَ ممرًا عموديًا وهو يحدق صوبهما من وراء كتفه.

- ناوية على إيه؟!

التفتت له قائلة بعجالة:

مفيش وقت اشرحلك.. خليك مراقبني، لو العسكري ده (أشارت بسبابتها تجاه الممر) سمحلي أدخل الأوضة يبقى هتستناني لغاية ما أخرج ونشوف هنعمل إيه.. لو لقيته أغمى عليه هتجيلي تساعدني.

- (بدهشة): أُغمى عليه! (يبتسم بحيرة) هتضربيه ولا إيه؟!

ابتسمت له وهي تبتعد غامزة بعينها اليسرى:

- Watch and learn, baby.

تابعها مشدوهًا وهي تشد قامتها المحنية، ثم تدنو بثبات من الشرطي المتوقف بجوار باب العناية المركزة.. لم ير أصابعها وهي تفتح سوستة الحقيبة القماشية الملتفة حول خصرها، ثم تسحب منها قرصًا صغيرًا وردي اللون، تحيط حوافه بأناملها بحرص.

مساء الخير.

وجهتها للشرطي بابتسامة هادئة، فرد تحيتها بصوتٍ أجش وهو يعتدل في وقفته.

الدكتورة سمية عزازي، أخصائية جراحات الأنسجة.

- أي خدمة؟

معاد الفحص الدوري.

معنديش تعليمات.

قالت بحزمٍ متقن:

- تعليمات إيه؟! ده فحص دوري.

- التعليمات اللي عندي محددة.. ممنوع أي حد يدخل للحالة دي بالذات، إلا الدكتور حلمي والدكتور إيهاب.

الدكتور حلمي بنفسه هوَ اللي كلّفني أفحص الحالة، وانا بَحَمِّلَك مسؤولية أي تدهور يحصلها.

قال بثبات:

- أتحمل أي مسؤولية إلا مسؤولية مخالفة التعليمات.

تحركت نحو الهاتف المثبت إلى الحائط وهي تقول:

- أنا هخلي الدكتور حلمي هو اللي يكـ..

بـترت عبارتهـا بغتـة عندمـا انزلقـت قدمهـا بشـكل طبيعـي، ففقـدت توازنها وترنح جسـدها وكادت تسـقط أرضًـا، لـولا أصابـع الشرطـي القويـة التـي التفـت حـول ذراعهـا وجذبتهـا لتمنعهـا مـن السـقوط.

اسـتندت إلى ذراعـه وهـي تتمتـم أن "مـيرسي"، ثـم بحركـة لا تـكاد تُلحَـظ، ألصقـت القـرص الـوردي الـذي تحملـه بـين أصابعهـا بعنقـه.

اتسـعت عينـاه وهـو يحـدق في وجههـا للحظـة، ثـم في اللحظـة التاليـة هـوى منكفئًـا عـلى وجهـه.

انحنـت لتجذبـه بصعوبـة مـن تحـت إبطيـه، أدارت رأسـها تنظـر مـن وراء كتفهـا لمعتـز المتسـمر في مكانـه، وقالـت بصـوت كالفحيـح:

واقف عندَك بتعمل ايه؟!

حـرره هتافهـا مـن جمـوده الذاهـل أو ذهولـه الجامـد.. بلـغ موضعهـا ببضـع خطـوات واسـعة وانحنـى يسـاعدها في جـذب الجسـد الثقيـل المنكفـئ.

- عملتي فيه إيه؟!

(لاهثة من فرط المجهود): ادّيته بريك 30 دقيقة.

ليه كل ده؟!

لم تـرد.. مـدت قدمهـا لتدفـع بـاب غرفـة العنايـة المركـزة لتفتحـه، وتعاونـا عـلى نقـل جسـد الشرطـي المُخَـدّر بداخلـه، وأغلقـا البـاب خلفهـما.

أراح معتـز الجسـد المخـدر عـلى بلاطـات الحجـرة البيضـاء، والتفـت لـيرى أمـل تحـدق مشـدوهة في الجسـد المسـجي عـلى الفـراش الوحيـد بالغرفـة.

الضمادات تغطي كل شيء.. الجذع، الذراعين، الساقين، الرأس بالكامل عدا فتحتي الأنف اللتين يخرج منهما خرطومان هما جزء من قبيلة من الخراطيم والأسلاك المتصلة بالجسد وتربطه بعددٍ من أجهزة الإعاشة والفحص ومراقبة إشارات المخ والقلب... إلخ.

مومياء! كذا خطر له وهو يحدق مشدوهًا في المنظر الماثل أمامه.. أما أمل فظلت تحدق بدورها لما يقرب من الدقيقة وصدرها يعلو ويهبط من فرط الانفعال، قبل أن تبتلع مشاعرها وتتجه نحو كمبيوتر المتابعة.

مرت بأناملها بسرعة على الشاشة المجسمة وكأنها تعرف ما تبحث عنه، ثم تحركت بعينيها مع سيل البيانات التي راحت تتوالى على الشاشة أمامها.

(بصوت خفيض): سجـ.. ممـم.. عقاقير.. قرنيـ.. (شهقة خافتة) تجديد... ممـم.

راقبها معتز من دون أن ينبس ببنت شفة، وهو يرمق الجسد الساكن بنظرات خرساء بين لحظة وأخرى، ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا عندما رآها تنقضّ على أجهزة الرعاية المركزة، فتفصلها وتنزع خراطيمها، الأمر الذي تسبب في تحول الأزيز المنتظم للأجهزة لصفيرٍ حاد.

- بتعملي إيه يا مجنونة؟!

خرجت منه الصيحة تلقائية من دون أن يعي ما تحمله من إهانة ورفع للكلفة، غير أنها لم تتوقف أمام هذا بطبيعة الحال.. هتفت به وهي مستمرة في نزع الخراطيم بعنف:

- اتحرك وساعدني؛ مفيش وقت.

- أساعدِك ف إيه؟!

- هَننقله من هنا.

ليه؟!

قالت بشراسة:

بقولَك مفيش وقت يا بني آدم!

تحرك بشكل آلي ليساعدها في نزع الخراطيم والأسلاك، وفوجئ بها تبدأ في نزع طبقات الضمادات من حول جسده.. هتف:

ده كده هَيموت.

(مستمرة في عملها): متقلقش.. جراحات الليزر وعقاقير تجديد الخلايا بيساعدوا على التئام الجروح في ساعات قليلة.. أنا قريت الـ Medical sheet..الجراحات اللي اتعملتله من أول ما دخل، تقريبًا كلها بمضاعفاتها عَدّت على خير، ماعدا الجراحة اللي اتعملت ف عينيه لسه محتاجة وقت.

تحركت أصابعه لتنزع الضمادات من حول ذراعيه وهو يتساءل:

جراحة إيه؟

زرع خلايا بصرية.

- تقصدي زرع قرنية؟!

(تهز رأسها نافية): لأ.. زرع خلايا بصرية.. عينيه الاتنين انفجروا جوة ماكينات Egy- Nergy واتزرعتله عينين صناعيتين تم توصيلهم بالعصب البصري.

حدق باستبشاع في موضع العينين بالوجه الملفوف بالضمادات وهمس:

- فيه كده؟!

قالت وهي تسحب الخرطوم بحرص من فتحة أنفه:

جراحة صعبة لكن موجودة ونتايجها ناجحة بنسبة 94%.

انتهيا من نزع الضمادات عن ذراعيه وجذعه، ولم ينسَ ملاحظة أن الجروح المنتشرة بطول وعرض الجسد قد جفت وتحولت إلى ندوب بفعل عقاقير تجديد الخلايا.

تعاونا لإلباسه زيًا جراحيًا من البلاستيك استخرجته أمل من أحد أدراج دولاب قريب.

- هات الكرسي المتحرك اللي هناك ده.

قالتها بصوت لاهث مجهد، فأطاعها الشاب وجلب الكرسي المستقر في ركن الغرفة.. لدهشته شعر بالجسد هشًا خفيفًا وهو يحمله بحرص وينقله إلى الكرسي المتحرك.

قالت له بحزم وهي تعدل من هندامها:

- هَنخرج من هنا على الجراج على طول.. اللي هيسألنا، إحنا بننقله على أوضته بناءً على أوامر الدكتور حلمي.

تساءل بغباء:

- على الجراج ليه؟!

(تزفر بحنق): عشان عربيتك ف الجراج يا أذكى إخواتك!

صاح:

- لا بقى! إنتي كده بتورطيني ف جريمة خطف!

عقدت ساعديها أمام صدرها وهي تقول بازدراء:

- بقى انتَ صحفي انتَ؟! فيه صحفي تجيله فرصة إنه يشوف الحدث قدام عينيه ويسيبها تضيع عشان (تقلد نبرة صوته) خايف يتورط ف جريمة خَتف (تنطقها بالتاء على سبيل التهكم)؟!

قال بعصبية:

- يشوف الحدث حاجة، وإنه يشترك فيه دي حاجة تانية.

زمت شفتيها وهي تقول بحدة:

- بقولك إيه؟! مفيش وقت للمهاترات دي.. إنت مش خدت مني الأجوبة اللي إنتَ عايزها عشان التحقيق بتاعك؟

- (بتحدٍ): وساعدتك توصلي لغاية هنا.

- نبقى خالصين يا عم الحاج.. أنا مش عايزة منك حاجة تاني.. اتكل على الله وسيبني أصَرّف أموري.

قالتها وهي تقبض على مسندي الكرسي المتحرك وتدفعه بحمولته الضئيلة إلى الممر خارج الغرفة.

وقف متجمدًا مرتبكًا في مكانه للحظات، ثم لحق بها وهو يسب بصوت خفيض.. شعرت بخطواته خلفها، فتراكمت التجاعيد على زاوية فمها إذ ابتسمت نصف ابتسامة ظافرة، وهي تدفع الكرسي المتحرك عبر الممرات.

باب المصعد يتبدى لهما في نهاية الممر.

يتوتران إذ تعبر ممرضتان إلى جوارهما وهما تثرثران بحديثٍ ضاحك.

صوت خطوات حذاء ثقيل يقترب.

انفعالهما يتصاعد.

بزاوية عينها تلمح ظلاً يرتسم على الأرض قادمًا من ممر متعامد على ممرهما على بعد عدة أمتار.

تتوقف.. تتبادل النظرات القلقة مع رفيقها الشاب الذي يهمس متسائلاً عمّ هنالك.

لا تجيبه.. فقط تتعلق عيناها بالظل الذي يتضخم ثانية بثانية.

يلتفت لينظر إلى موضع نظرها.

ينبض قلبها بعنف.

تستدير بالكرسي بزاوية مائة وثمانين درجة لتدفعه في الاتجاه المعاكس.

- تعالى بسرعة!

قالتها بتوتر شديد جعل قلبه يغوص بين قدميه وهو يدور على عقبيه، ليجدّ السير في إثرها من دون كلمة واحدة.

تحركا بخطوات سريعة أقرب إلى الهرولة في الممر، ثم انحرفا إلى ممر جانبي خاضا فيه قليلاً، قبل أن ينحرفا مرة الثانية إلى ممرٍ آخر بدت أبواب المصاعد في نهايته.

قطعا الممر الجديد في ثوانٍ.. سبق معتز ركضًا ليضغط زر استدعاء المصعد، ومرت الثواني عليهما ثقيلة وهما يراقبان الممر الخالي من ورائهما بتوجّس، حتى أضاءت اللمبة الخضراء أعلى الباب مشيرة إلى وصول المصعد.

انزلقت ضلفتا الباب بنعومة، وتنفست أمل الصعداء وهي تدفع الكرسي المتحرك نحو المصعد، ثم لم تلبث أن خرجت شهقة من أعماق قلبها، انتفض لها جسد معتز بقوة وهما يحدقان معًا في الجسدين الفارعين داخل البذلتين السوداوين والمنظارين الداكنين، واللذين احتوتهما جدران المصعد.

مرت لحظة بودلت خلالها النظرات من الجانبين.. تراجعت أمل ورفيقها خطوة للوراء بحركة غريزية، قابلتها خطوة أخرى واثقة خطاها صاحبا الجسدين المفتولين، غادرا المصعد إثرها وقد ثبتا بصريهما على الجسد المستقر على الكرسي المتحرك.

وفي اللحظة التالية ارتعش معتز، إذ وجد نفسه يحدّق في فوهة مسدس مخيف الشكل في قبضة أحدهما، وصكت أذنيه عبارة خافتة خرجت من بين شفتي الثاني موجهة للسماعة المستقرة في أذنه:

- It is done.. لقينا البطارية.

*****

(قبل دقائق):

نقل الطبيب الشاب في مركز .E.N الطبي بصره من وراء الحاجز الزجاجي بين ساقي الكابتن وليد اللتين راحتا تتناوبان على السير المتحرك، الذي تتزايد سرعته باطراد متسارع في قلب صالة الـgym، والأرقام التي تتوالى على الشاشة الهولوجرامية أمامه، والتي تنقل قياسات النبض والحرارة، والمعدلات التي تنقلها الأقطاب المتصلة بجسد وليد مفتول العضلات الغارق في فيض من العرق.

تبادل النظر مع استشاري العلاج الطبيعي الذي أومأ له برأسه، ثم مد سبابته ليضغط زرًا على لوحة المفاتيح المجسّمة ضغطة طويلة، ارتفعت معها سرعة جريان السير المتحرك أكثر فأكثر، من دون أن ترتبك حركة وليد أو تختل ساقاه أو تفقدا توازنهما.

مد سبابته ليضغط الزر مرة أخرى عندما ارتفع أزيز قوي في الحجرة.. قال أخصائي العلاج الطبيعي للطبيب:

التليفون ده عشانك.

ألقى الطبيب نظرة على شاشة التليفون المستقر على المكتب، والذي انبعث منه صوت رخيم:

كابتن خالد فضالي - قسم التوريد.

قال الطبيب بلهجة آمرة:

.Answer -

يتجسد هولوجرام الكابتن خالد.

- مساء الخير يا دكتور.

- مساء النور يا كابتن.

- إختبارات وليد ماشية ازاى؟

التقت عينا الطبيب بأخصائي العلاج الطبيعي للحظة قبل أن يجيب الأول:

لسه مخلصِتش.. بس لغاية دلوقتي نتايج التوافق العصبي كويسة.. actually ممتازة.

- عظيم جدًا، لأننا هنضطر نكتفي بهذا القدر.

قال الطبيب معترضًا:

- من فضلك يا كابتن.

قاطعه خالد بوجه متجهم:

- من فضلك إنت يا دكتور.. وليد عنده absolute priority task دلوقتي، ولازم يتحرك up right now.. تقدر تعتبره اختبار عملي جديد.

- بس ده ممكن يمثل خطورة على حياته.

- مَعتقِدش.. إنت لسه قايل إن نتايج التوافق العصبي ممتازة.. من فضلك وصّلني بيه حالاً، عشان فعلاً مفيش وقت نضيعه.

*****

-٢٦-

لم يشعر معتز طيلة عشرين عامًا من عمره منذ أن وعى على الدنيا، بهذا القدر من الفزع الذي شعر به وهو يحدق في فوهة المسدس كاملة الاستدارة، التي يفصلها عشرون سنتيمترًا عن جبهته الغارقة في عرقٍ بارد، ومن ورائها وجه صخري منحوت يغطي نصفه منظار أسود مخيف، لمح على سطحه اللامع المصقول انعكاس وجهه المرتعب.

لم تكن أمل أقل منه فزعًا.. تجمدت عيناها على بادج .E.N على صدر جاكيت البذلة، واستعاد عقلها ذكرى بعيدة جرت في حي الإبراهيمية قديمًا.

هنا شعرت بالأصابع القويّة تلتف حول كاحلي.. شهقت برعب.. أدرت رأسي فوجدت أحد العملاقين يتشبث بحافة باب عربة الترام بيد، ويقبض على كاحلي بالأخرى.. صرخت بفزع وأنا أحاول جذب ساقي من بين أصابعه الفولاذيّة.. الركاب متجمدون في أماكنهم.. الوغد متشبث بقوّة.. خصلات شعره تتطاير مع اندفاع الهواء بسبب سرعة الترام، وشبح ابتسامة يتلاعب على شفتيه وكأنه يقول لي "لن أتركك فلا تتعبي نفسك بالمقاومة"

مال صاحب الجسد الفارع الآخر (غير حامل المسدس) قليلاً للأمام باتجاه الجسد المتكوّم في الكرسي المتحرك.. رأته يلمس إطار منظاره

الأسـود، وسـمعته يقـول مخاطبًـا السـماعة الدقيقـة في أذنـه:

- فحص البصمة الحيوية.

انتزعتهـا الكلمـة الأخـيرة مـن الشـلل الـذي زرعـه الرعـب في أعضائهـا، تراجعـت للـوراء بينـما أصابعهـا تسـحب قرصًـا ورديًـا آخـر مـن الحقيبـة القماشـية الملتفـة حـول وسـطها.

لمبة خضراء دقيقة جدًا أضاءت على طرف إطار المنظار.

- positive.

خرجـت مـن بـين شـفتيه باتّـة قاطعـة، وفي اللحظـة التاليـة (ومـن دون أن يلتفـت) ارتفعـت أصابعـه بسرعـة احترافيـة لتقبـض عـلى معصـم أمـل الـذي كان قـد شـق نصـف المسـافة في الهـواء نحـو عنقـه حاملاً القـرص المخـدر بـين أناملهـا.

شـعرت بـألم مـبرح بفعـل ضغـط أصابعـه القويـة عـلى معصمهـا، حاولـت أن تنتزعـه بـلا جـدوى، وارتطمـت عيناهـا بالابتسـامة إياهـا.

وشـبح ابتسـامة يتلاعـب عـلى شـفتيه، وكأنـه يقـول لي "لـن أتـركك فـلا تتعبـي نفسـك بالمقاومـة"

لا تعـرف أهـو اسـتفزاز الابتسـامة، أم تجـدد الذكـرى بمـا تحملـه مـن إحبـاط ومـرارة الهزيمـة، أم هـي روح قتاليـة قديمـة نشـطت مـع تجـدد المواجهـة.. لا تعـرف أيًـا مـن هـذا هـو الـذي دفعهـا لتتهـور وتغـرس لكمـة واهنـة تافهـة بـين عضـلات صـدر خصمهـا، آلمـت أصابعهـا هـي مـن دون أن

تهز شعرة في جسده.. فقط زادت من اتساع ابتسامته المستفزة، ثم في اللحظة التالية طوّح بجسدها من معصمها الذي يقبض عليه، لتطير في الهواء ثم ترتطم بجدار الممر وتسقط أرضًا نصف فاقدة الوعي.

- أمل!

صرخ معتز بارتياع، واندفع نحوها غير عابئ بالفوهة المسددة إلى رأسه وهو يهتف:

- دي فوق الستين يا حيوانات!

وفي نفس توقيت مغادرة حرف التاء الأخير لحلقه تقريبًا، هوى كعب المسدس الثقيل على مؤخرة رأسه بعنف، فسقط منكفئًا على وجهه من دون كلمة واحدة أخرى، وقد تكونت بقعة حمراء قانية موضع الضربة، راحت تتسع تدريجيًا.

انفتحت أبواب غرف العناية المركزة إثر الصراخ، وأطلت منها رؤوس الأطباء والممرضات حاملة مزيجًا من الخوف والتوجس والدهشة.. تساءل أحد الأطباء بصوت عالٍ وهو يتقدم عمّا هنالك، وسرعان ما وقعت عيناه على المسدس، فقضم عبارته وتراجع للوراء بحركة غريزية وكأنما يحتمي بالغرفة التي خرج منها.. تعالت شهقات الفزع، وفي اللحظة التالية ارتفع رنين جرس الطوارئ.

تبادل الرجلان النظر من خلف منظاريهما، دسّ حامل المسدس مسدسه في جرابه أسفل إبطه، وأمسك الثاني بزمام المقعد المتحرك.

من بين الآلام الشنيعة التي سرت في كل عظامها، والدوار العنيف الذي عصف برأسها، ومن بين جفنيها نصف المنطبقين، رأتهما أمل يستديران بحمولتهما الثمينة باتجاه المصعد.. غاص قلبها في بحيرة من اليأس وهي تجاهد لمقاومة آلامها والنهوض على قدميها.

بعينين غائمتين رأت ضلفتي باب المصعد تنفتحان بنعومة.. ثم في اللحظة التالية اضطربت الرؤية لديها.

لم تميز جيدًا ما يحدث، وخطر ببالها أن السبب هو مضاعفات ارتطام رأسها بالجدار.. كانا جسدين فارعين.. الآن صاروا ثلاثًا، وثمة ما بدا لها actionعنيفًا يدور بينهم.

معركة!

ما لم تميزه هي بظروفها الحالية هو تلك الضربة العنيفة التي تلقاها صاحب المسدس من قدمين اندفعتا معًا من داخل فتحة المصعد بمجرد انزلاق ضلفتيه.. الضربة التي أصابت صدره فقذفت به ثلاثة أمتار للوراء ليسقط على ظهره.

حدث كل شيء بعدها بسرعة خاطفة تليق بالمحترفين.. تجاوز عميل E.N. الميداني الآخر صدمته، فدفع الكرسي المتحرك جانبًا بعنف وأصابعه تسحب سلاحه من غمده ثم ترفعه باتجاه صاحب الضربة سالفة الذكر، والذي ما أن استقرت قدماه على الأرض حتى اندفع نحوه.

جسدان ملتحمان يتخبطان بين جداري الممر.. أصابع تمسك بمسدس وتضغط زناده، وأخرى تقبض عليها وترفعها لأعلى، فتطيش الطلقات ذات الصوت المكتوم لتنغرس في السقف.. الممرضات تصرخن صراخًا هيستيريًا.. ضربات.. ركلات.. أحدهما.

تعلقت عيناها بشاب فارع القامة في جينز ومعطف أبيض ويغطي رأسه بـ"كاب"، عَبَرَ ممرًا عموديًا وهو يحدق صوبهما من وراء كتفه.

(ذو الكاب) يحمل غريمه، رغم ضخامته، ويضرب بجسده الحائط

بعنف.. صافرات الطوارئ تعوي بلا انقطاع.. ضربة عنيفة.. أخرى أشد عنفًا.

يهوى العملاق الذي أطاح بأمل على ركبتيه، ثم يتلقى في آنٍ واحد ضربتين هما الأعنف على جانبي جمجمته بزجاجتين من زجاجات المحاليل، تتهشمان على رأسه، فيسقط بلا حراك إلى جوار معتز الممدد جسده أرضًا.

العميل الأول ينهض على قدميه، يسحب مسدسه ويطلق رصاصتين تشقان الفراغ الذي احتله جسد صاحب الكاب منذ جزء من الثانية، قبل أن يلقي بنفسه أرضًا.. ينزلق على السيراميك الأبيض باتجاه خصمه.. يركل منضدة معدنية ذات عجلات مخصصة لنقل المعدات، فتنقلب لتطير باتجاه عميل .E.N الذي يدفعها عنه بساعده، ليفاجأ من ورائها بخصمه قبالته مباشرةً.

دقيقة كاملة من الضربات المتبادلة والمتفاداة والمصدودة، الصراخ وتهشيم الزجاج، ثم يسقط العميل أرضًا بوجه مخضب بالدماء على بعد أمتار من جسد زميله.

اعتدل صاحب الكاب واقفًا.. حوله ثلاثة أجساد فاقدة الوعي، ولا أثر لأمل أو للكرسي المتحرك بحمولته.

- مكانك، وإيديك الاتنين لفوق.

أدار عينيه لتقعا على أربع فوهات مسددة إليه عبر طرفي الممر، ومن ورائها أربعة أزياء رسمية زرقاء مميزة لسيكيوريتي المستشفى.

أغمض عينيه، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه.

أمل أيضًا أغمضت عينيها.

التقطت نفسًا عميقًا ملأت به صدرها، ثم أخرجته ببطء وهي تفرد

أصابعها، لطرد الطاقة السلبية.. كررت الفعل مرة أخرى محاولة التعالي على الآلام التي تنهش كل عظمة من عظامها، والشواكيش التي تضرب جمجمتها بلا رحمة، قبل أن تفتح عينيها، تعدل من هندامها وتفرد قامتها بصعوبة.

ضلفتا المصعد تنزلقان بنعومة.. ترسم تعبيراً محايدًا على وجهها، وتقبض بأصابعها على مسندي المقعد المتحرك، ثم تدفعه للخارج حيث الجراج.

رصدت عيناها بسهولة حالة التوتر السائدة في المكان.. صافرات الطوارئ تنافس أبواق سيارات الإسعاف.. مصابيح حمراء تومض وتنطفئ بانتظام.. الصرخات المكتومة القادمة من الطابق الثاني.. أفراد من أمن المستشفى يهرعون باتجاه سلالم الطوارئ حاملين أسلحتهم.

دفعت الكرسي بحمولته الغائبة في سكونٍ تام بين السيارات المتوقفة حتى بلغت سيارة معتز.. دست المفتاح (الذي سحبته خلسةً من جيب بنطلونه بينما كان فاقد الوعي ممددًا على أرضية ممر المستشفى، والقتال مشتعل على بُعد أمتار منه) في الثقب المخصص في الباب.. مرت لحظة ثم أضاءت لمبة حمراء بجوار الثقب، وارتفع صوت كمبيوتر السيارة يقول بآلية:

بصمة حيوية غير مطابقة.. محاولة أخرى لفتح السيارة، وسيتم إبلاغ الشرطة.

جزت على أسنانها وهي تطلق سبة ساخطة، وأدارت رأسها فيما حولها، حتى توقفت عند سيارة إسعاف برتقالية اللون متوقفة عن قرب.. حثت الخطى إليها، ودنت من زجاجها الأمامي المفتوح، حَيّت السائق وقالت بلهجة أودعتها أقصى ما استطاعت من جدية:

الحالـة دي محتاجـة تتنقـل لمستشـفى التأمـين الصحـي عـلى وجـه السرعـة.

نقـل السـائق بـصره بينهـا وبـين الجسـد الضئيـل المتراخـي عـلى الكـرسي المتحـرك وتسـاءل:

لوحدها كده؟!

يعني إيه؟!

يعنـي فـين أوراقهـا؟ وليـه موصلنيـش إيميـل بتصريـح الخـروج وأوردر النقـل؟ وفـين الممـرض المرافـق؟ ومـين حضرِتـك أساسًـا؟

نطـق سـؤاله الأخـير وهـو ينقـر بسـبابته عـلى صـدر قميصـه إشـارةً إلى عـدم وجـود ID في المـكان المفـترض عـلى صـدر معطفهـا الأبيـض.. أجابتـه بسرعـة:

أنـا الدكتـورة سـمية عـزازي، والحالـة دي الدكتـور حلمـي بنفسـه هـو الـلي أمـر بنقلهـا عـلى وجـه السرعـة، والتصريـح والأوردر غالبًـا اتأخـروا عشـان القلـق (مشـيرة بسـبابتها للمصابيـح ذات الإضـاءة الحمـراء المتذبذبـة) الـلي حاصـل ده.

هز رأسه قائلاً:

مَقدَرش أتحرك بالعربية من غير تصريح الخروج وأوردر النقل.

قالت بلهجة تحذيرية:

- دي حالـة حرجـة، ولـو حصلهـا حاجـة مـن ورا تأخـير النقـل، إنـت الـلي هتبقـى مسـؤول.

حضرِتـك مـش واخـدة بالـك.. السيسـتم مـش هيسـمح بخـروج أي حالـة مـن غـير تصريـح بالخـروج ينـزل عـلى كمبيوتـر البوابـة عليـه بيانـات الحالـة

وموقفها المالي وبيانات العربية والمسعف والسواق.. من غير التصريح ده، البوابة مش هتتـ..

بتر عبارته عندما اقتحمت الكادر من وراء كتف أمل أصابع قوية قبضت على ياقة قميصه وجذبته لتخبط رأسه في عجلة القيادة بعنف أدار رأسه، وسمع صوتًا غليظًا يقول:

ينفع التصريح ده؟

أجفلت أمل ولا شعوريًا خرجت منها شهقة وهي تلتفت يسارًا لتقع عيناها على الشاب طويل القامة صاحب الكاب الذي تركته قبل دقائق يقاتل في ممرات قسم العناية المركزة، وامتزجت شهقتها بصيحة الألم التي غادرت شفتي السائق الذي انفجرت الدماء من أنفه.

إنت مين؟

تساءلت وهي تحدق به مشدوهة، فقال لها بحزم:

اركبي بسرعة.

صاح السائق بألم:

- مناخيري اتكسرت!

شدد الرجل من قبضته على زمام ثيابه وهو يقول:

تأمينك الصحي هيغطي تكاليف عملية التجميل.. اتحرك بالعربية من غير ما ترغي عشان متخسرش أعضاء تانية ملهاش تجميل.

البوابة مش هتِـ..

قاطعه بلهجة آمرة:

افتح الصندوق الوراني.

أطاعه السائق على الفور، فألقى الأمر الصوتي لكمبيوتر السيارة، وقال

الرجل لأمل مشيراً إلى الجسد الضعيف المستقر على الكرسي المتحرك:

- خديه واركبوا ورا بسرعة.

تساءلت بإصرار:

إنتَ مين؟

قال بشراسة:

- مفيش وقت.. فرقة المطاردة هتِوصَل بين لحظة والتانية.. لازم نتحرك حالاً.

رددت:

- مطاردة!

- انجزي!

خرجت منه الشخطة حاسمة، جعلتها تدفع الكرسي من دون كلمة أخرى لتدور حول السيارة ثم تصعد به المنحدر المتدلي من الصندوق الخلفي المفتوحة ضلفتيه، واللتين انغلقتا خلفها بأمرٍ آخر من السائق لكمبيوتر السيارة.

- اتحرك.

قالها الشاب مخاطبًا السائق وهو يستقر في المقعد المجاور له.. قال السائق وهو يمسح الدم من على أنفه المتورم:

يا بيه أنا والله عايز أساعدك، بس الحاجز اللي عند البوابة مش هيترفع من غير تصريح الخروج.. ده السيستم.

- اكسره.

- أكسره؟!

- اتحـرك بسرعـة واكـسر الحاجـز، وف التحقيـق قولهـم إنـك عملـت كـده تحـت تهديـد السـلاح.. المستشـفى بتمـر بحالـة طـوارئ، ومناخـيرك المكسـورة هتؤيـد قصتـك.

- بس الـ..

- لو حابب أسيبلك دليل تاني أقوى يأكد قصتك، معنديش مانع!

أدار السائق موتور السيارة وهو يقول بسرعة:

لا، وعلى إيه؟!

غـادرت السـيارة موضعهـا، وانطلقـت بسرعـة متزايـدة تدريجيًـا في ممـرات الجـراج، ومـا أن لاح المخـرج عـلى بعـد مائتـي مـتر إلا قليـلاً حتـى صـاح الشـاب بالسـائق:

اسحب بقى!

أطاعـه السـائق عـلى الفـور، فاعتـصرت قدمـه دواسـة البنزيـن لتنطلـق السـيارة بسرعـة كبـيرة نحـو المخـرج.. ارتفـع صـوت كمبيوتـر السـيارة محـذرًا مـن تجـاوز سرعتهـا للمسـموح بـه داخـل الجراجـات، ولكـن السـائق لم يعبـأ، وزاد مـن ضغطـه عـلى دواسـة البنزيـن.

تعـالى صراخ أفـراد أمـن بوابـة الجـراج وهـم يـرون سـيارة الإسـعاف تنقض عليهـم بسرعـة غـير مألوفـة، تواثبـوا يمنـةً ويـسرة مبتعديـن عـن مسـارها، وراقبوهـا بأعـين مذهولـة وهـي تصـدم حاجـز البوابـة، فتطيـح بـه بقرقعـة عاليـة جـدًا، وتختفـي بعـد عبورهـا لمنحنـى الـramp المـؤدي إلى خـارج المستشـفى.

Good boy.

قالهـا الشـاب للسـائق الـذي ألجمـه الانفعـال، فلـم يـرد بينـما قبضتـاه متقلصتـان عـلى عجلـة القيـادة.. أدارهـا يمينًـا باتجـاه البوابـة التـي يتبـدى

منها أضوء أعمدة الإنارة بالشارع، بلغها في خمس ثوانٍ لا أكثر ثم لم يلبث أن ضغط الفرملة بغتة، فتوقفت السيارة مصدرةً عجلاتها صريرًا بعد أن عبرت المخرج بأمتارٍ قليلة.

لثوانٍ ساد صمت لم تقطعه إلا أصوات تكّات أجزاء الأسلحة الأوتوماتيكية التي تجذبها أيدي الأفراد الذين يربوا عددهم على الثلاثين فردًا، متشحين بأردية عسكرية سوداء، وأحاطوا بالمدخل باحترافية، مصوبين أسلحتهم باتجاه سيارة الإسعاف.

أغمض السائق عينيه أمام الأضواء الباهرة للكشافات الضخمة التي سُلّطَت عليهم، وكذا فعلت أمل التي غاص قلبها في ضلوعها وهي ترمق المشهد عبر نافذة جانبية في كابينة السيارة الخلفية.

أما الشاب، فتجمدت ملامحه تمامًا وهو يدير عينيه في المشهد، ثم وهو يستمع للنداء الذي ارتفع عبر مكبر صوت:

أمل الشافعي.. زين العابدين منصور.. سلِموا نفسكم.. انزلوا من العربية وإيديكم مرفوعة.

-٢٧-

- أمـل الشـافعي.. زيـن العابديـن منصـور.. سـلِموا نفسـكم.. انزلـوا مـن العربيـة وإيديكـم مرفوعـة.

لحظـة ثقيلـة الوطـأة، شـعرت خلالهـا أمـل بالعـالم كلـه يطبـق عـلى روحهـا.

نظـرت عـبر نافـذة الكابينـة الخلفيـة للأجسـاد المفتولـة في الثيـاب السـوداء الشـبيهة بأرديـة القـوات الخاصـة، والأقنعـة الداكنـة ذات المناظـير المخصصـة للرؤيـة الليليـة، الأسـلحة مخيفـة الشـكل المسـددة تجاههـم.. و.E.N واثقـة متحديـة عـلى الصـدور.

غمرها يأسٌ كثيف، وانتباتها رغبة عارمة في البكاء.

عبر السماعة الداخلية، سمعت السائق يردد بذهول:

- أمل الشافعي! أمل الشافعي بتاعة الـ..

قاطعه صوت زين الجالس إلى جواره:

- ارجع بضهرك.

إيه؟!

- (بحدة): ارجع ع الجراج.

وفي اللحظـة التاليـة دوى صـوت طلقتـين أصابتـا عجلتـي السـيارة الأماميتـين، ففجرتاهـما، وارتفـع صـوت قائـد المجموعـة عـبر مكـبر الصـوت:

- مفيش فايدة من المقاومة.. إنتو محاصرين بالكامل.. سلموا نفسكم.

وبإشارة من كفه المختفية داخل قفاز أسود، تقدم عشرة من أفراد مجموعته في شكل نصف دائرة بأسلحتهم المشهرة نحو السيارة.

- مفيش فايدة من المقاومة.

تحفزت عضلات زين في الكابينة الأمامية، في حين عضت أمل على شفتها السفلى بيأس وهي ترمق الفوهة التي تقترب منها حثيثًا.. لا شعوريًا امتدت أصابعها لتحضن كف الجسد المستكين في المقعد المتحرك إلى جوارها.. أدارت عينيها له، لرأسه المائل على كتفه والملفوف بالضمادات.. اغرورقتا بالدموع وهي تهمس بلا معنى:

متخافش.

انزلوا من العربية، وإيديكم مرفوعة لفوق.

السائق يقفز من السيارة وذراعاه مرفوعتان فوق رأسه.

سلموا نفسكم.

كوّرَ زين قبضته استعدادًا لقتالٍ يائس، بينما أصابع أقرب الجنود تمتد لتفتح الباب المجاور له.

مفيش فايدة من المقاومة.

وفي اللحظة التالية اقترن دوي طلقة الرصاص بانفجار جمجمة الجندي، وتناثر أشلائها على باب السيارة الذي كان يهم بفتحه.

حدق الكل مذهولين في الجثة التي هوت أرضًا بلا رأس تقريبًا.. الكل ما عدا زميله الواقف خلفه مباشرةً، والذي ظل واقفًا في وضع التصويب، والدخان يتصاعد من فوهة سلاحه. ولوهلة خُيِّلَ لعيني زين المندهشتين أن جسده يرتعد..

رائف!

خرجت من بين شفتي القائد عبر مكبر الصوت هادرة، تحمل من الصدمة أكبر بكثير مما تحمل من الغضب.. التفت الجندي بسلاحه إلى قائده.. أطلق زملاؤه النار عليه.. اخترقت ذراعيه وساقيه ما لا يقل عن ست طلقات (وقته سترته الواقية من الرصاص من سبعة آخرين) لم تمنعه من ضغط زناد بندقيته، لتغادر فوهتها طلقة واحدة أخيرة اخترقت جمجمة القائد، قبل أن يسقط هو نفسه بجمجمة متشظية إثر طلقة صديقة.

كان هذا إيذانًا ببدء الجنون.

السائق ألقى بنفسه أرضًا محيطًا رأسه بذراعيه، زحف مبتعدًا وهو لا يكف عن الصراخ.. أما زين في الكابينة الأمامية، وأمل في الخلفية، فحدقا بذهول في ثماني وعشرين جنديًا مدججين بالسلاح يطلقون نيرانهم، فيفجرون رؤوس بعضهم بعضًا.

تساقطت الجثث منسوفة الجماجم، وتناثرت الدماء وبقايا الأمخاخ الممزقة على أسفلت الشارع الصغير المتفرع من مصطفى النحاس.

صراخ وضوضاء من بعيد لم ينتبه لها المذهولان في سيارة الإسعاف.

حانت التفاتة من أمل باتجاه الجالس إلى الكرسي المتحرك، فتضاعفت دهشتها إذ لمحت ما بدا لها أشبه بوميضٍ ما في موضع الخليتين البصريتين أسفل طبقات الضمادات المحيطة برأسه المائلة إلى كتفه.. لم تصدق، لم تفهم، لم تشعر إلا وباب الكابينة التي تجلس بها ينفتح عنوة، ويظهر وجه زين من فتحته وهو يهتف بها:

- يلا بسرعة!

تجمدت وهي تحدق في عينيه الحادتين ورأسه الأصلع (من دون الكاب) وذقنه نصف الحليقة.. كرر بعنف:

اتحركي!

هتفت به وهي تجدّ السير إلى جواره محاولة اللحاق بخطواته الواسعة:

- إيه اللي حصل؟!

أجاب بصوت لم تفارقه الدهشة:

- خلصوا على بعض.

إزاي؟!

هز رأسه وهو يدفع الكرسي المتحرك بحمولته على الرصيف:

معنديش تفسير.

ثم التفت بوجهه إليها متسائلاً:

إنتي أمل الشافعي فعلاً؟

مرت لحظة من الصمت قبل أن تهز رأسها بوجوم.. سألها وهما ينحرفان بحمولتهما في شارع عمودي موازٍ لمصطفى النحاس:

وكُنتي واخدة البطارية دي (مشيرًا إلى صاحب الجسد) على فين؟

أجابت سؤاله بسؤالٍ آخر:

إنت مين؟

أدار وجهه أمامه صوب الشارع الذي سادته حركة مضطربة باتجاه مصدر أصوات الطلقات (عكس اتجاه حركتهما)، وقال:

زين العابدين منصور.. صياد.

رددت:

صياد!

آه.

- بتصطاد إيه؟

- بطاريات.

صمتت لحظة مفكرة في الجواب، ثم همست:

في .E.N؟!

آه.

توقفت تحدق فيه بدهشة.. لم يتوقف هو، فسبقها ببضعة خطوات بذلت مجهودًا لتستردها، وهي تهتف لاهثة:

استنى هنا!

التفت يرمقها من دون أن يتوقف، فصاحت به:

- واخده على فين؟!

لم يرد، فقبضت بأصابع واهنة على طرف سترته هاتفة:

مش هسمحلَك ترجعهولهم تاني!

جذب طرف سترته ليحرره منها ببساطة، وتوقف قائلاً ببرود لم يخل من تهكم:

ما أنا لو عايز أسلمه، كنت سبته لرجالة الشركة ياخدوه.

أومال واخده على فين؟

ارتفعت السارينات المميزة لسيارات الشرطة قادمة من بعيد، فأومأ برأسه تجاهها وقال:

أهم حاجة نبعد الأول وبعدين تسمعيني واسمعِك.

لهثت بشدة وهي تحث الخطى إلى جواره من شارع إلى شارع

بين الأبنية الأنيقة، والأشجار المزروعة على الجانبين, حتى خرجا إلى شارع مصطفى النحاس.. أشار بسبابته إلى محطة المترو الطائر الكائنة على مبعدة عشرات الأمتار، فهزت رأسها بإرهاق وتبعته عبر الشارع المكدّس بزحام أبدي لا ينتهي.. بلغا بهو المحطة الرئيسي المقام في موضع مخصص بالجزيرة الوسطى التي تقسم الشارع لاتجاهين.. قطع هو تذكرتين، واستقلا المصعد الذي ارتفع بهما إلى الرصيف الرئيسي المقام على هيكل من الصلب بارتفاع خمسة عشر مترًا.

وقفا متجاورين وسط عدد من الركاب بانتظار المترو القادم.. تشاغل هو بالنظر إلى الأضواء الباهرة القادمة من أسفل، من المباني والمحلات وأعمدة الإنارة ومصابيح السيارات، بينما أصابعه ملتفة على مسندي الكرسي المتحرك.. أما هي فأخرجت هاتفها المحمول عتيق الطراز، والذي تذبذت أضواؤه معلنةً عن مكالمة.. ضغطت الأزرار وهي تدس سماعته الدقيقة في أذنها من تحت الطرحة.

أدار زين عينيه إليها فرآها تبتعد قليلاً وهي تتحدث بصوت خفيض.

- ده صديق.. هَيستنانا.

قالتها باقتضاب هامس ردًا على النظرة المستفهمة في عينيه لدى إنهائها للمكالمة وعودتها إليه.. انعكست أضواء المترو المقترب على وجهه وثيابه وهو يسألها:

- مين؟ وفين؟

قالت وهي تنظر إلى المترو الذي هدأت سرعته وهو يدنو ليستقر أمام الرصيف:

- هتعرف لما نوصَل.

رمقها بغيظ قائلاً من بين أسنانه:

- إنتي مجهزة كل حاجة بقى!

غمرت صوتها نبرة متحدية وهي تقول:

- لو مكّانش عندك خطط تانية يعني!

فوجئت بعينيه تتجاوزانها لما خلفها، فى نفس اللحظة التى انعكس فيها على وجهه ضوء باهر، وصك في أذنيها أزيز مكتوم.. أدارت رأسها بسرعة لتقع عيناها على طوافة عمودية صغيرة تحلق بالقرب من رصيف المحطة، و.E.N واضحة على جانب جسمها الأسود المصقول.

سرت قشعريرة باردة في جسدها، واستجابت لجذبة قوية من ذراعه، فدفعت نفسها وسط الركاب داخل عربة المترو عبر الباب المخصص لصعود الركاب.. وعبر النافذة رأت زجاج الطوافة ينزاح لأسفل بنعومة، ثم لمحت من ورائه وجهًا أدهشها أن لوّح صاحبه لهما بذراعه وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة.

نظرت إلى شريكها بعجب، فوجدته يحدق بوجه ممتقع في راكب الطوافة، وسمعته (بصعوبة بسبب الصوت الأنثوي المسجل الذي انبعث عبر الإذاعة الداخلية يعلن للركاب اسم المحطة التالية وزمن الوصول إليها) يردد:

مستحيل!

*****

-٢٨-

(قبل دقائق):

الطوافة صغيرة الحجم تتسع لاثنين فقط، مستقرة على مهبط المركز الطبي التابع لـ E.N، الطيار في مقعده، المحركات مشتعلة متأهبة للإقلاع.

وليد يتقدم منها في زي العمليات أسود اللون، كامل المعدات، بخطوات رشيقة أقرب إلى الركض.

الكابتن خالد يخاطبه عبر السماعة الدقيقة المستقرة في أذنه:

- الوقت اللي قدامنا محدود جدًا يا وِل.. إحنا دلوقتي عارفين مكانه، بس ما بين لحظة والتانية ممكن يختفي.

وثب وليد ليحتل المقعد المجاور للطيار، والذي أقلع بالطوافة على الفور، وقبل حتى أن يكتمل انغلاق بابها.. تجاوزت سطح المركز بسرعة لتحلق في الظلام، بينما وليد يقول لقائده:

مش فاهم يا كابتن ليه ممكن يختفي! ما دامت بصمته الحيوية متسجلة، هيترصد فـ أي مكان يروحه.

قال خالد بصرامة:

مش مطلوب منك تفهم.. إنت تأدي المهمة اللي عليك وبس!

وصمت لحظة ثم استطرد:

Actually المشكلة مش عندنا أد ما هي عند قسم المتابعة فـ Eye..

وواضح إنها مشكلة مش بسيطة، لأنهم اتأخروا جدًا في رصد بصمة البطارية المفقودة اللي قولتِلَك عليها.. ولولا انهم رصدوا بصمة زين في نفس المكان وبلغونا بيها، الله أعلم كانوا هَيرصدوها إمتى.

تساءل وليد وهو يرمق أضواء القاهرة التي تتحرك بسرعة من أسفل الطوافة:

بس إيه اللي جمع الشامي على المغربي؟! هو عرف منين ان فيه بطارية هربانة؟!

- من جهاز الاتصال اللي سرقه من الطيارة قبل ما يهرب.

- الطيار الآلي استشعر فقدان الطيارة لتوازنها بعد ثواني من سقوط عبد الله، وسيطر عليها أوتوماتيكيًا ورجعها سليمة للمزرعة.

وزين؟!

اختفى.

اختفى!

هرب.. الصندوق الاسود سجل فتح باب الطيارة قبل دقايق من هبوطها، وبالحصر لقينا فيه مظلة هبوط وجهاز اتصال مفقودين.

أردف:

- الجهاز متطور، مفتوح على كل الموجات وبيفك جميع الشفرات اللي بنستخدمها عندنا فـ الشركة.

- وازاي عرف يوصل للبطارية اللي فِرَق المطاردة طول اليوم بتنبش الأرض وراها؟!

دا اللي هنعرفه لما يقع ف إيدينا.

ثم.

- (بحـزم): زيـن مـش صيـد سـهل يـا وليـد، مَتنسـاش الـلي عملـه فينـا كلنـا وفيـك إنـت بالـذات النهـارده الصبـح.

استعاد وليد ذكرى اشتباك الطائرة صباحًا، وغمغم بمقت:

- أوعـدك يـا كابـتن، بكـرة الصبـح ف نفـس المعـاد مـش هيتبقـى منـه غـير سـيال حيوي.

بـدأ المـترو يتحـرك يتحـرك طائـراً عـلى مجـال كهرومغناطيـسى (غـير مـرئى بطبيعـة الحـال) ، فدفـع الطيـار عصـا التحكـم لتحلّـق الطوافـة بمحاذاتـه.. تسـاءل وليـد وعينـاه لا تفارقـان خصمـه:

- المحطة الجاية إيه؟

- نوري خطاب.

صمت وليد للحظات، ثم قال وقد التمعت عيناه:

- قرّب م المترو على أد ما تقدر، وافتحلي الباب.

(بدهشة): هَتنُط؟!

آه.

ما تستنى لما يقف ف المحطة الجـ..

- نفذ الأوامر.

قالها بلهجة آمرة، فلم يعقّب الطيار.. زاد السرعة وهو يرتفع بطوافته قليلاً، يميل يسارًا باحترافية، فيقترب من مجرى حركة المترو المقام على هيكل من الصلب المقوّى.. ضغط زرًا فانفتح الباب المجاور لوليد الذي أعاد غطاء وجهه الأسود إلى موضعه اتقاءً لتيار الهواء البارد المندفع لداخل الطوافة.

صاح الطيار محاولاً أن يعلو بصوته على الضجيج:

خلي بالك

- قَاسَ وليد المسافة ببصره بدقة ، ثم في لحظة مختارة دفع ساقيه بكل قوته (الأمر الذي أخلّ بتوازن الطوافة لولا احترافية الطيار) ووثب بجسارة ليقطع مترين من الهواء الأسود على ارتفاع خمسة طوابق من الأرض قبل أن يرتطم جسده بعربة المترو المنطلق بسرعة، وتتشبث الممصات في قفازيه بسطحها المعدني.

شهق الركاب القلائل الذين راقبوا المشهد عبر زجاج نوافذ العربة (واحد أو اثنان راحوا يصورونه بتليفوناتهم المحمولة)، ثم تحولت شهقاتهم لصرخات عندما ضم وليد المتعلق بجسم العربة قبضته ثم هوى بها على زجاج أقرب نوافذ العربة إليه.. تشقق الزجاج المقوى من الضربة الأولى ثم تهشم مع الضربة الثانية تحت وطأة الأصابع البديلة.

ارتفع صوت صفارات الإنذار مع تهشم الزجاج، وامتزج بصرخات الركاب وهم يتراجعون مبتعدين عن النافذة المحطمة، التي اندفع منها تيار قوي من الهواء البارد، وحدقوا بمزيجٍ من خوف ودهشة في وليد الذي وثب برشاقة ليعبر فتحة النافذة مع الهواء البارد والزجاج المهشم إلى داخل العربة.

تساءلت أمل بخوف وهي تتراجع للوراء:

تعرفه؟

دفع زين مسندي المقعد المتحرك إليها وهو يجيبها من دون أن تفارق عيناه زميله القديم:

زميل.

ثم تقدم منه ببطء وهو يقول له:

حمد الله على السلامة يا وِل!

فرد وليد قامته، رفع قناعه الأسود عن وجهه، وحدق بابتسامة ساخرة في وجه زين قائلاً:

- الله يسلمك يا زيزو!

أومأ زين برأسه نحو النافذة المهشمة وهو يقول مستمرًا في التقدم:

- مش هتبطل الأفلام بتاعتك دي!

بدأ وليد يخطو نحوه بدوره وهو يقول:

- وحشتني! مقدرتش أستنى أكتر من كده!

ابتسم زين ابتسامة خفيفة بزاوية فمه وهو يتساءل:

- مَقدِرتِش تستنى لغاية نوري خطاب؟!

- (يضم قبضته): قبل ما نِوصَل نوري خطاب هَنكون صفينا حسابنا.

توقفا متواجهين، يفصل بينهما متر واحد.. تأمل زين جسده الممشوق المشدود في زيه الأسود، ثم سأله:

أنهي دراع اللي كسرتهولَك الصبح؟

- دا.

خرج الحرفان الغاضبان من بين شفتي وليد، بينما قبضته اليمنى تشق الهواء بسرعة مذهلة باتجاه وجه خصمه، الذي بدا وكأنه يتوقعها فمال بجذعه متفاديًا إياها، وصك أذنه لدهشته صوت تهشم العمود المعدني الذي أصابته إذ طاشت.

تعالت صرخات الركاب من جديد لتطغى على صوت صافرات الإنذار التي لم تنقطع.. قبضت أمل على مسندي المقعد المتحرك وهي تراقب القتال العنيف الدائر، ونبض قلبها بقلق إذ لاحظت أن زين لم يفلح في تفادي أو صد عدد من الضربات، بدت لسرعتها أقرب إلى أكشن سنيمائي تم تسريع لقطاته، أصابته في وجهه ومعدته، ثم لم يلبث غريمه أن حمله بحركة خاطفة (بعد أن صد واحدة من ضرباته) وطوّح به بقوة مدهشة عبر ممر العربة، ليسقط أرضًا على بعد خطوات من سيقان الركاب الذين تراجعوا صارخين بفزع.

أعلن الصوت الأنثوي المسجل قرب بلوغ محطة نوري خطاب، وبالفعل بدأت سرعة المترو في الانخفاض.. نهض زين ببطء والدماء تنزف من جرح في حاجبه الأيسر، ومن بين شفتيه المتورمتين.. حدق في وليد الذي يتقدم منه قائلاً بابتسامة ظافرة:

- نهاية الخط يا زين.

- دي محطة، مش النهاية يا وليد.

- دي النهاية بالنسبالك يا زميلي.

وقبل أن يتم حروف كلماته، فوجئ به يثب نحوه من جهة اليسار.. طوح بقبضته اليسرى الطبيعية ليستقبله، ولكنها غاصت في الفراغ، إذ انزلق زين بجسده لأسفل بمرونة ليعبر بين ساقيه المنفرجتين ويضربه في خصيتيه.

شهق بألم وهو ينثني، وقبل أن يستدير ليواجهه، قبضت أصابع زين الذي انتصب واقفًا من خلفه، على ذراعه اليسرى ولواها بعنف.. سمعه يقول له:

- هتحتاج سايبورج جديد يا وِل.

جن جنون وليد، حاول أن يحرر ذراعه أو يصيب زين بواحدة من ركلاته المحمومة من دون جدوى، بينما ارتسم تعبير أقرب إلى الفزع على وجهه.. ثم لم تلبث أن امتزجت صرخاته بصوت قرقعة عظام ذراعه إذ تتهشم في أكثر من موضع.

هوى أرضًا وهو يئن بألم.. رأى زين يقترب منه.. قال له من بين أسنانه:

- المرة الجاية هَتبقى الأخيرة يا زين.

- التالتة تابتة يا وليد.

كان هذا آخر ما التقطته أذنا وليد قبل أن يرتج مخه داخل جمجمته، إثر ركلة عنيفة من قدم زين استقرت مباشرةً في وجهه، ليغيب بعدها عن الوعي.

انفتحت أبواب العربة، فهرع الركاب خارجها بعشوائية وتخبط صانعين ضجة عظيمة، وتدفق داخلها عدد من رجال أمن المترو كانوا واقفين بانتظارها على الرصيف.

مسح زين الدماء من على وجهه بالمناديل الورقية التي ناولته أمل إياها وهما يجدان السير من دون أن يتبادلا كلمة واحدة باتجاه المصعد المؤدي إلى بهو المحطة.. لم يريا راكب العربة الذي أشار نحوهما وهو يكلم أحد رجال الأمن، ولكنهما سمعا هتافًا عاليًا:

- يا أستاذ يا اللي هناك.. من فضلك.. يا مدام.

التفتا ليريا ثلاثة من رجال الأمن يتقدمون صوبهما.. انفتح باب المصعد في هذه اللحظة، فهمس زين لها:

- انزلي واستنيني تحت.

أطاعته على الفور، فخطت مع الركاب إلى داخل المصعد، وسمعته يقول لها محذرًا:

- بلاش غدر. إنتي لسه محتاجاني!

هزت رأسها، وسمعت "استني يا مدام!" عالية من أحد رجال الأمن الثلاثة الذين رأتهم من بين ضلفتي المصعد وهم يهرولون تجاههما.. وقبل أن تنغلق الضلفتان لمحته يستدير بهدوء لمواجهتهما.

التقطت نفسًا عميقًا، أغلقت عينيها وهي تخرجه ببطء فاردةً أصابعها.. لم تعبأ بنظرات الركاب المتوجسة الفَزِعة لها بينما المصعد يهبط، وخُيِّلَ لها أنها تسمع أصوات ضجيج وصراخ قادمين من أعلى.

انفتحت الأبواب مجددًا.. غادرت بأسرع ما تسمح به ساقاها الواهنتان من سرعة وهي تدفع حمولتها أمامها.. انتظرت حتى أضاءت إشارة عبور المشاة، فعبرت إلى رصيف حديقة العاشر، وسارت قليلاً بمحاذاة السور، ثم انحرفت إلى شارع الطيران، وهناك توقفت بجوار سيارة داكنة.. مالت بجذعها قليلاً لتنقر زجاجها الأمامي الأيمن، فانزلق لأسفل بنعومة وبدا وجه إيمان من ورائه.. رمقتها بحمولتها بنظرة باردة، قبل أن تتساءل باقتضاب:

البطارية؟

هزت أمل رأسها فانفتح باب الأريكة الخلفية إثر أمر صوتي من إيمان.

قالت أمل وهي تتراجع بالمقعد المتحرك نحو الباب المفتوح:

- تعالي دخليه معايا يا إيمي.

- خليكي مستريحة يا إيمي!

التفتتا بسرعة لمصدر الصوت، وحدقت إيمان بمزيجٍ من دهشة وتوجس في وجه زين الدامي متورم الشفتين.. سمعته يقول لخالتها وهو ينحني ليحمل الجسد الخفيف النائم من على الكرسي المتحرك:

شكرًا إنك استنيتيني!

كنت عايزني استناك لما تتمِسِك وبعدين ينزلوا يمسكوني أنا كمان؟!

رمقها بنظرة متهكمة من دون أن يعلق وهو ينقل الجسد إلى الأريكة الخلفية، بينما قالت إيمان بعصبية:

- مين ده كمان؟!

صديق.

أجابتها أمل باقتضاب وهي تستقر في المقعد المجاور لها، ثم أردفت:

اطلعي يا إيمي.. بسرعة!

نقلت إيمان بصرها بينها وبينه وقد استقر على الأريكة الخلفية وجذب باب السيارة خلفه ليغلقه.. نفخت بحنق، قبل أن تدير المحرك وتقبض بأصابعها على المقود متسائلة:

- على فين؟

*****

-٢٩-

في قاعة مكتبه المطلة نافذتها الزجاجية العريضة على زرقة مياه بحيرة ميتشجن من على ارتفاع أربعين طابقًا، حدق المستر جيكوب فيلدمان المدير العام التنفيذي لمجموعة The Eye في هولوجرام مرؤوسه اللبناني نصير لبكي، المدير الإقليمي لفروع المجموعة بالشرق الأوسط الكبير، وهو يتكلم بسرعة وبقدرٍ من الانفعال، استمع له بتركيز حتى انتهى.. استرخى في مقعده، شابكًا أصابعه أسفل ذقنه.. مرت عليه لحظات من الصمت عَلَت خلالها أمارات التفكير قسمات وجهه، مما دعا لبكي لالتزام الصمت بدوره حتى رفع عينيه الرماديتين إليه متسائلاً:

آدم المصري بنفسه هو الذي اتصل بك؟!

فهز لبكي رأسه مجيبًا:

- مدير مكتبه، المستر عمرو عزام هو من اتصل بي، وأبلغني برسالة رئيسه.. تهديده بمعنى أصح.

لحظات أخرى من الصمت، ثم قال فيلدمان:

حسنًا لبكي.. سندرس الموقف ونتصل بِك.

أرجو أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن مستر فيلدمان.. المعروف عن آدم المصري أن تهديداته ليست جزافية.

ونحن لا نقبل أي تهديدات من آدم المصري أو من غيره، نصير.. سنأخذ وقتنا في الدراسة والتقييم وحل المشكلة كاملاً كما ينص

البروتوكـول بيننـا وبينـه.

- ولكن مستر فيلـ..

(ببرود): وداعًا مستر لبكي.

أنهى الاتصال فتبدد هولوجرام اللبناني، والتفت جيكوب إلى هولوجرام مورجان سميث، نائب رئيس مجلس الإدارة وهو يردد بحنق:

- آدم المصري يهددنا!

نفث هولوجرام المستر سميث دخان سيجاره وقال:

المشكلة أكبر من آدم المصري وتهديداته، جيك.. قبل ثلاثة أيام وصلتنا شكوى رسمية من الـM16 البريطاني بسبب تأخر تقرير مراقبة البصمة الحيوية لواحدة من الشخصيات المشتبه في تمويلها لواحدة من المنظمات الإسلامية المتطرفة، وقبلها بأسبوع استقبلنا أربع شكاوى متتالية.. اثنتان من الـFBI وواحدة من مخابرات الاتحاد الأوروبي، وأخرى من الاستخبارات الصينية.. أتحدث عن شكاوى رسمية مبطنة بتهديدات بفسخ التعاقد الاستخباراتي مع أنظمة The Eye.

تهديدات "مبطنة" ومن "حكومات" وليست تبجح صريح من ابن عاهرة كالمصري!

آدم المصري المساهم الرئيسي في Egy- Nergy المسيطرة على سوق الطاقة العالمية.. فعليًا هو أخطر من كل هذه الحكومات.. دعك من أن واحدة من شركات مجموعته هي التي تحتكر إنتاج وصيانة أجهزة التعرف على البصمة الحيوية التي تعتمد عليها أنظمتنا.

ولكن..

كف عن هذا الـshit من فضلك، جيك.. الموقف أخطر من أن هذه الشخصنة.

أطبق فيلدمان شفتيه، بينما التفت سميث لهولوجرام توم وارن، المدير التقني ورئيس قسم الدعم الفني وسأله:

إلامَ وصلت، عزيزي تومي؟

استقرت الأعين على وارن الذي ارتبك للحظة ثم قال:

- الوضع معقد بعض الشيء.

- تفصيل من فضلك.

التقط نفسًا عميقًا.

حسنًا.. منظومة The Eye المعلوماتية مختلفة عن أي منظومة معلوماتية أخرى.. The Eye أنظمة تشغيل موجودة في البيوت والمكاتب والشركات والمتاجر والمصانع والأندية الليلية، تعمل بالأوامر الصوتية وتحتفظ في ذاكراتها بملايين أو بلايين البصمات الحيوية لعملاء الشركة، وعلى أساسها تقوم بخدمتهم.. التنسيق والإدارة يقوم بهما ديف.. الكمبيوتر المركزي.

بدا شيء من الملل على وجهي سميث وفيلدمان وهما ينصتان لهذه النشرة الدعائية، ولكنهما لم يقاطعاه.

هذا هو الشق المعلن من أنشطة The Eye.. أما الشق الآخر غير المعلن، فهو عملية مراقبة مستمرة لجميع البصمات الحيوية المسجلة في ذاكرة ديف.. مراقبة وتسجيل وتعبئة ملفات كاملة لحظة بلحظة على مدار 24 ساعة يوميًا، 7 أيام أسبوعيًا، 30 يوم شهريًا.. كل فراغ يتمتع بخدمات The Eye يخضع أوتوماتيكيًا لمراقبة كل بصمة حيوية وجدت فيه منذ لحظة تسجيل دخولها، وحتى تسجيل خروجها، لتتلقفها أنظمة المراقبة في الفراغ الذي يليه، ثم الذي يليه، وهكذا.. وفي نهاية اليوم، يصبح لدينا ملف كامل بأنشطة ومسار وأحاديث وأنفاس

كل بصمة حيوية تتحرك في مجال أنظمة الشركة.

والتقط نفسًا عميقًا آخر وتابع:

- باختصار، عزيزنا ديف يقوم بأكبر وأوسع عملية تجسس في التاريخ.. تجسس على الأشخاص.. الأجهزة.. المؤسسات.. والمعلومة دومًا سلعة لا ينتهي الطلب عليها.

قالها سميث بهدوء:

- مستر وارن.

نعم مستر سميث.

أنت تخبرنا بـA,B العمل الذي نمارسه منذ خمسة عشر عامًا!

ابتسم محرجًا وهو يقول:

أرجو المعذرة.

تساءل فيلدمان بعصبية:

أين المشكلة؟!

المشكلة بدأت في الظهور بشكل تدريجي منذ عدة أسابيع.. الشق العلني سليم، يعمل بكفاءة.. أما الشق الآخر.. المعلوماتي.. فثمة اضطراب في أداء ديف فيه.

تساءل سميث باهتمام:

ما نوع الاضطراب؟

اضطراب في تلقي الطلب الاستخباراتي.. في استيعابه.. في تنفيذه.. المعلومة الاستخباراتية يتم تلقيها ضمن فيض المعلومات التي تتدفق من قنوات The Eye كل ثانية.. تُصَنّف وتُخَزّن آليًا بكفاءة.. تنفيذ الطلب المعلوماتي يستغرق في العادة أقل من الثانية الواحدة، ولكن

خلـلاً مـا مؤخـرًا أدى إلى تأخـر اسـتيعاب وتنفيـذ الطلـب لسـاعات وربمـا لأيـام، كـما حـدث مـع الطلـب البريطـاني الأخـير.

- لماذا وصفت الخلل بالاضطراب، مستر وارن؟

أجاب وارن:

"اضطـراب" مصطلـح مناسـب أكـثر لطبيعـة ديـف.. ديـف ليـس مجـرد جهـاز كمبيوتـر كلي القـدرات، ولكنـه مـزوّد بأقصى قـدر يسـمح بـه القانـون مـن وحـدات الـA.I، وهـو قـدر رغـم محدوديتـه التـي تفرضهـا بنـود القانـون الـدولي، إلا أنـه يمنـح ديـف درجـة مـن الاسـتقلالية في التفكـير واتخـاذ القـرار.. الاسـتقلالية هنـا تجعلـه مرنًـا في البحـث الدقيـق بـين بلايـين الملفـات المكدسـة بالبيانـات بمجـرد اسـتيعابه لطبيعـة المعلومـة المطلوبـة، الأمـر الـذي يوفـر وقتًـا، يدفـع العميـل مـن أجلـه.

وتنهد مستطردًا:

- هـذه الاسـتقلالية تجعـل مـن ديـف كيانًـا اعتباريًـا بشـكلٍ أو بآخـر.. صحيـح أن هـذا الكيـان غـير كامـل لأسـباب موضوعيـة كثـيرة، أهمهـا المخـاوف المتخيلـة مـن خـروج الآلـة عـن السـيطرة لـو امتلكـت مـن الـذكاء الاصطناعـي مـا يخلـق إحساسـها بنفسـها، الأمـر الـذي حـدا بالمشرع لوضـع سـقف لتطويـر برامـج الـA.I، ولكـن ديـف يخـرج عـن تصنيـف الآلـة المألـوف، فهـو يفكـر ويضطـرب ويشـعر بمشـكلته ويسـعى لدراسـتها وحلهـا.

تململ فيلدمـان في مقعـده، بينـما قـال سـميث رافعًـا حاجبًـا أيمـن أبيـض اللون:

- وهل توصل للحل؟!

ليـس الأمـر بهـذه البسـاطة، مسـتر سـميث.. ديـف أذكى جهـاز كمبيوتـر عـلى وجـه الأرض حاليًـا، ويقـف عـلى قـدم المسـاواة مـع أجهـزة أعتـى

أنظمة الاستخبارات، ولكنه في النهاية مثلها.. محدود القدرات للسبب الذي ذكرته آنفًا.

قال فيلدمان:

إذن فقد فشل!

استدارات عينا هولوجرام وارن لتستقران عليه، وتحركت شفتاه بالكلمات:

لِنَدَع ديف نفسه يجيبك، مستر فيلدمان.

حدق الاثنان في هولوجرامه، وهو يرفع عقيرته مناديًا:

ديفيد.

أجابه الكمبيوتر بصوته الهادئ المسجل، الذي تردد في الأمكنة الثلاثة التي يجلسون فيها:

- نعم، مستر وارن.

هل سمعت المناقشة الدائرة في هذا الاجتماع؟

- نعم، سيدي.

- المستر فيلدمان يتساءل إن كنت قد فشلت في تحليل وحل مشكلتك.

قالها وهو ينظر بعينين واثقتين إلى فيلدمان الذي خلا وجهه من أي تعبير.

قال ديف:

العمليات التي أجريتها منذ بدء الخلل، مستر فيلدمان، نجحت بنسبة 98% في تحليل المشكلة والتوصل إلى أسبابها.

تساءل فيلدمان:

- وماذا عن الحل؟

أجاب الصوت الذي يوشِك أن يكون دافئًا:

- جاري البحث عن حلول.

وما سبب التأخر؟

- طبيعة المشكلة نفسها.

قال هولوجرام سميث بينما عيناه ترمقان فيلدمان بنظرة حملت مزيجًا من اللوم والضيق:

اشرح طبيعة المشكلة، ديف.

- المشكلة تكمن في برنامج صغير مكوّن من معادلة واحدة، تمكن من اجتياز الدفاعات وحوائط النار، والوصول لبرنامجي الرئيسي.. معادلة واحدة تغير من رموزها كل جزء من الثانية هروبًا من المطاردة التي تقوم بها برامج الحماية.

التقا حاجبا كل من سميث وفيلدمان، وتساءل الأخير مصدومًا:

كيف حدث هذا؟!

أجاب ديف:

جزء من عمل البرنامج الدخيل هو طمس آثاره، الأمر الذي نتج عنه تشوش هذا الجزء من الذاكرة.

ردد سميث مندهشًا:

إذن فأنت لا تعرف كيف وصل هذا البرنامج إليك؟!

قال ديف بلهجة تقريرية خالية من أي انفعال:

نعم، سيدي.

تبادل الثلاثة النظرات، قبل أن يقول وارن:

- اشرح للسادة طبيعة المهمة التي يقوم بها Anarchy، ديف.

ردد فيلدمان:

- Anarchy!

قال ديف:

- Anarchy هو اسم الملف الذي احتوى على البرنامج، وهو يقوم بمهاجمة وإضعاف وحدات الـA.I المختصة بتحليل وفحص الطلبات المعلوماتية، واستخراج الملفات المطلوبة من أرشيف التخزين.. الأمر الذي تسبب في الخلل المعلوماتي خلال الفترة الأخيرة، وهو خلل مطرد، بمعنى أنه يتزايد بمرور الوقت مع تلف المزيد من وحدات الـA.I.

غمغم سميث بخفوت أن "يا إلهي!"، وتساءل فيلدمان:

- ومن يمكن أن يكون مسؤولاً عن إرسال هذا البرنامج التخريبي إلينا؟!

أجاب وارن هذه المرة:

.HAM

- ماذا؟!

HAM اختصار Humans Against Machines وهي واحدة من المنظمات الرجعية المتطرفة المعادية لحركة المستقبل باتجاه المزيد من الاعتماد على الآلة.

هل أعلنت مسؤوليتها رسميًا؟

أومأ هولوجرام وارن برأسه وهو يقول:

- أعلنت عن نفسها في صورة بيان text مرفق بالبرنامج، مذيل بسلوجان HAM ومكون من كلمتين: "مجرد بداية".

يا إلهي!

كذا ردد فيلدمان هذه المرة، بينما تساءل سميث بقلق:

- والحل، مستر وارن؟

أجاب:

- ما دام البرنامج التخريبي يهاجم وحدات الـA.I ويضعف من قدراتها، فالحل المنطقي هو تطويرها ورفع قدرتها على التصدي له وتدميره.

ولكن هذا...

(مقاطعًا): يتعارض مع بنود القانون الدولي الذي يحدد سقف تطوير واستخدام برامج الذكاء الاصطناعي.

بالضبط!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي وارن الرفيعتين وهو يقول:

- هنا تخرج المشكلة من نطاق القسم التقني، مستر سميث.

تبادل سميث وفيلدمان النظر للحظات، قبل أن يقول الأول:

- أعتقد أن فيديو كونفرانس عاجل لمجلس الإدارة سيُعقد خلال ساعات، مستر وارن.. وسيكون عليك أن تشرح مجددًا للسادة الأعضاء هذه المشكلة باستفاضة.

- بكل سرور.

نظر فيلدمان لهولوجرام سميث وهو يتساءل:

أتظنهم يتخذون قرارًا ثوريًا؟

هز سميث رأسه قائلاً:

الأمر ليس سهلاً، عزيزي جيك.. ستكون معركة سياسية كبرى قبل أي شيء آخر.. سيكون الضجيج عاليًا، وستستخدم عبارات كثيرة من قبيل

"حمايـة مسـتقبلنا"، "الحـرب عـلى الرجعيـة والفـوضى" بـلا بـلا بـلا... وغالبًـا سـيتم تكليـف السـيناتور تينانـت وبقيـة رجالنـا في الكونجـرس بالبـدء عـلى الفـور.. الوقـت ليـس في صالحنـا عـلى الإطـلاق.

*****

-٣٠-

(رنين رتيب للحظات، ثم).

- مين معايا؟

- مساء الخير يا كابتن خالد.

(لحظة من الصمت، ثم).

- زين؟!

(بلهجة شبه ساخرة): في خدمِتَك.

(لحظة أخرى من الصمت).

آخرة اللي بتعمله ده إيه يا ابني؟

طول عمرك بتنصحني أعمل ايه ومعمِلش إيه يا كابتن.

لو كُنت بتسمع كلامي مكُنّاش وصلنا للي احنا فيه ده.

- عايزني أسمع كلامك وابقى بطارية؟!

- انتَ اللي حطيت نفسَك وحطيتنا ف الموقف ده.

(كلاكس سيارة نقل ثقيل يعلو، ثم ينخفض تدريجيًا).

- بتتكلم منين يا زين؟

(بسخرية): أجهزة التتبع مقالتلَكش؟

(بصراحة): لسه.

ومش هَتقولَك يا كابتن.. عيب أوي تشك إن تلميذك النجيب ممكن

يُقَع فـ أخطاء الهواة دي.. الخط والتليفون اللي بَكلِمَك منهم متأمنين كومبليتلي، لا شبكات ولا أقمار صناعية هَتعرف تحدد مكاني (مفيش هولوجرام لو لاحظت).. ده غير إن المكالمة متشوشة، يعني مَتقلَقش إن حد يسمع كلامنا.

كلام إيه؟

الكلام الجد يا كابتن.. كلام المصلحة.. المخرج اللي هَيخرجني ويخرجَك من المغرز اللي وقعنا فيه.

المغرز إنت وقعت فيه لوحدَك يا زين! أنا برة القصة دي.

ما قولنا عيب تشُك ف تلميذَك يا كابتن! أنا قديم ومذاكر كويس.

(يلتقط نفسًا عميقًا، ثم...).

حسب اللايحة، أنا حالة "سهم مكسور" وفشل قائد فريق وتلاتة من مساعديه في منع هروبي هو بشكلٍ ما اشتراك فيه، وإنت أدرى مني بمحققين .E.N والي ممكن يوصلوله.. اللي هوَ يعني لو أعفوك من منصبك ورَموك ف الشارع، يبقى عملوا معاك واجب جامد أوي تقديرًا لسنوات خدمتك الطويلة!

(لحظات من الصمت، ثم...).

(باقتضاب): قول عرضك.

تمام.. إنتَ أكيد عرفت اني قدرت اوصل للبطارية الهربانة اللي الدنيا مقلوبة عليها.

وصلتلها إزاي؟

مش موضوعنا.. المهم ان البطارية تحت ايدي دلوقتي.. وإنك انت يا كابتن خالد لو لقيتها ورجعتها، ف دا الشيء الوحيد اللي ممكن

يرفع أسهمك فـ الشركة ويخليك تجتاز التحقيق على خير، إن مكانوش يكافئوك كمان.

- مش شرط.. طول ما إنت لسه هارب، فأنا وفريقى متهمين بتسهيل هروبِك.

- ما دا الشق التانى من الصفقة.

اللي هو؟!

إني مش هَفضل هربان!

- هَتسلّم نفسَك؟!

أكيد لأ.

- يبقى مفيش مهرب ليك.. غير الموت طبعًا.

- هوَ ده.

هَتنتحِر؟!

- أستغفر الله العظيم.

- (بحدة): ماتلَخّص وتجيب م الآخر يا زين!

- (بجدية): تمثيلية صُغيَرة.. مداهمة.. تبادل إطلاق نار.. بووووم كبير يخلف جثة متفحمة مطموسة الملامح.. الصياد الهربان مات.. تم العثور على البطارية المفقودة.. case closed.. بس كده!

- بتتكلم إزاي بس يا ابني؟! إنت نسيت إن فيه بصمة حيوية وفحص طبي هيكشفوا بمنتهى السهولة إن الجثة المتفحمة دي متخُصّكش؟!

البصمة الحيوية مرتبطة بالسيال الحيوي، فبتنطمس بعد الموت بفترة بسيطة مع تبدد السيال الحيوي.. الكشف الطبي هيلاقي صعوبة شديدة في استخراج أي data من الأشلاء المتفحمة اللي هتتبقى من

الانفجار، وفرضًا عرفوا يستخرجوا حاجة، همّتَك إنت بقى تلعب فـ data base وتستبدل الداتا اللي ف الملف بتاعي بالداتا اللي هَبعتهالك.

- (ببطء): ده حوار مش سهل.

- ومش مستحيل.. إنتَ الكابتن خالد فضالي، أقدم صياد في Egy-Nergy.

- وانت؟!

- هَختفي.

- إزاي؟!

- هَختفي وسط 7 مليار نسمة على وِش الأرض، ودا مش هَينفع غير لو الشركة اقتنعت إني مُت، وأغلقت ملفي.

(يصمت مفكرًا).

متفكرش كتير يا كابتن.. دي صفقة رابحة لكل الأطراف، أنا هَفلت من المطاردة والتصفية، إنتَ هَتفلت من الطرد والتشريد أو ما هو أسوأ.. والشركة هَتسترد بطاريتها وتفلِت من الفضيحة والباللو اللي بيترتِبلها.

باللو إيه؟!

تفتكر أمل الشافعي؟

(بدهشة): أمل الشافعي الإرهابية بتاعة الـ..؟!

أيوه هي.

دى لسه عايشة؟!

- عايشة وقابلتها ف المستشفى، كانت بتحاول تِهَرّب البطارية.. الله أعلم ليه، بس لَكَ أن تتخيل بقى!

- هي معاك دلوقتي؟

- معايا آه، بس بعيد عني، مش سامعة المكالمة.

- أمل الشافعي!

- الوقت ضيق وبيمر بسرعة يا كابتن.. قررت إيه؟

- ادّيني فرصة أفكر.

- هَكلِمَك بعد رُبع ساعة بالظبط، تبلغني قرارك عشان نبدأ التنفيذ.

- واثق ف نفسك أوي كده؟!

واثق في دماغ أستاذي.. سلام.

أنهى زين الاتصال.. ضبط خاصية الـalarm بالجهاز لتنبهه بعد مرور خمس عشرة دقيقة، ثم قفل عائدًا إلى سيارة إيمان المتوقفة وسط صفوف السيارات في جراج داندي مول قرب بوابات طريق مصر اسكندرية الصحراوي، والتي استقرت أمل في أريكتها الخلفية إلى جوار الجسد النحيف، معصوب العينين، الغارق في سباتٍ عميق.

اقترب من النافذة، فرآها تميل بوجهها نحو الجسد، وقد غطت عينيها بمنظار داكن أقرب للمناظير التي يرتديها الغطاسون تحت الماء، تزين إطاره لمبة دقيقة تضيء باللون الأخضر.. راقبها قليلاً، ثم سألها:

- بتعملي إيه؟

لم يبد عليها أنها فوجئت بوجوده عن كَثب.. أجابته من دون أن تنظر إليه:

كشف الإكتوبلازم.

- ممكن اشوف؟

اعتدلت، فردت جذعها بصعوبة، وخلعت المنظار لتناوله إياه عبر

النافـذة المفتوحـة.. ارتـداه ولمـس إطـاره الأيـسر كـما طلبـت منـه.

- بُصّلي.

أطاعها فرآها ظلاً محاطًا بهالة صفراء رقراقة خفيفة.

المنظـار ده بيخلـق مجـال محـدود للأشـعة تحـت الحمـراء.. الـلي انـت شـايفه هـو الشـكل واللـون الطبيعيـين للسـيال الحيـوي الخـاص بيّ.. الـلي هو غـير مـرئي إلا في مجـال للأشـعة تحـت الحمـراء.

قال مبتسمًا بسخرية:

أنا صياد ف .E.N على فكرة!

تجاهلت ملحوظته الساخرة تابعت:

- هتلاقيـه قريـب جـدًا في شـكله ولونـه وكثافتـه مـن السـيال الحيـوي لأي حـد حوالينـا، أي حـد طبيعـي ممكـن تشـوفه.. مـا عـدا ده.

قالتها مشيرة بكفها المفتوح تجاه الجسد المستلقي إلى جوارها.

أدار رأسـه إلى موضـع إشـارتها، واتسـعت عينـاه بدهشـة إذ رأتـا الجسـد ظـلاً دقيقًـا محاطًـا بهالـة حمـراء قانيـة اللـون، تمـوج بحركـة غرويـة ثقيلـة.. رغـمًا عنـه خرجـت منـه شـهقة تلقائيـة، وردد مأخـوذًا:

- إيه ده؟!

- هات المنظار.

ناولهـا المنظـار وهـو يحـدق مندهشًـا في الجسـد الـذي بـدا لـه في الضـوء الخافـت القـادم مـن عمـود إنـارة قريـب، وديعًـا ضعيفًـا لحـد مثير للشـفقة، وقـد انفرجـت الشـفتان المشـققتان قليـلاً وسـال منهـا خيـط متصـل مـن اللعـاب.

لم تـرد عليـه.. أعـادت المنظـار إلى عينيهـا، وانتبـه هـو لأول مـرة للأقطـاب

التي وزعتها على صدره ورأسه.. تساءل:

- إيه الأقطاب دي؟!

(تنظر في شاشة جهاز صغير في حجم قبضة اليد): قياس كثافة الأكتوبلازم.

مرت لحظات من الصمت المشوب بالجلبة المتشابكة القادمة من المول القريب، قبل أن يتساءل مجددًا:

اللي شوفته ده له علاقة باللي حصل قدام المستشفى؟! لما أفراد فرقة المطاردة فتحوا النار على بعض؟!

- وارد.

ورفعت رأسها إليه وسألته بغتة:

- انتَ كنت بتكلم مين؟

ارتبك للحظة وهو يقول:

- إمتى؟

أومأت برأسها جهة اليسار قائلة:

لما بعِدت ووقفت عند السور هناك عشان تتكلم ف التليفون.. كُنت بتكلِم مين؟

(باقتضاب): صديق.

إنتَ إيه حكايتَك بالظبط؟

نظر إليها من دون أن يتكلم، فتابعت بحزم وهي تنزع المنظار عن عينيها:

بيتهيألي مينفعش نكمل خطوة واحدة من غير ما اسمعك وتسمعني.

قال ببطء:

- Fair enough.

حكى لها بكلمات مختصرة (أعدّها بعناية طيلة المشوار من مدينة نصر وحتى بوابات طريق مصر إسكندرية الصحراوي) بعض ما دار منذ فوجئ بزيارة قائده وزملائه لبيته صباحًا.. استمعت له بين اهتمامٍ ودهشة حتى انتهى، فسألته:

- ووصلت لمكان البـ.. مكانه (مشيرة للجسد الساكن) إزاي؟!

تنهد قائلاً:

- شوية تفكير، شوية search، شوية حظ.

تقصد شوية توفيق من عند ربنا.

- Anyway.

قالها ملوحًا بكفه، ثم استطرد مفسرًا:

- بعد ما هربت، قضيت وقت أتنصت على اتصالاتهم بالجهاز اللي خدته من الطيارة (لوّحَ بجهاز الاتصال المستقر في راحته).. كُنت عايز أعرف خططهم، تحركاتهم، المسافة اللي بيني وبينهم.

ولقيتهم ناسيينك ومشغولين ف مطاردة هدف أهم.

هز رأسه قائلاً:

بالظبط.

كَمّل.

تابِعت قصة البطارية المفقودة دي، فِرَق المطاردة اللي نزلت وراها، وخمنت إنها ما دام خرجت من ماكينات استخراج السيال الحيوي، فأكيد مصابة إصابات فشيخة، والأقرب للواقع أنها بطريقة أو بأخرى

اتنقلت للمستشفى.. بدأت ادوّر على النت على الحالات اللي استقبلتها مستشفيات القاهرة خلال الـ24 ساعة الأخيرة مصابة بجروح قطعية من الدرجات الأولى والتانية والتالتة.. عملت حصر، ونزلت أدوّر من مستشفى لمستشفى لغاية ما لقيته.

قالت بحيرة:

وفِرَق المطاردة دي مَكانتش عارفة تعمل زيك كده؟!

- على حد علمي، المفروض إن عمل search في المستشفيات وأقسام الشرطة إجراء روتيني بمجرد بدء عملية المطاردة.. بس...

بس إيه؟!

قال ببطء وكأنه يرتب أفكاره بينما يتكلم:

فيه مشكلة حاصلة ف E.N. أنا لسه مش فاهمها.. مشكلة miscommunication غالبًا، لأنهم بيتكلموا ف الاتصالات اللي اِتنَصَت عليها عن data بتوصل متأخرة وحاجات كده.. ده محَصَلش معايا لما عملت الـsearch بتاعي من مصدر مستقل عن شبكة E.N.! ده يمكن تفسير إني سبقتهم للبطارية.

ليه؟

- ليه إيه؟!

ليه سبقتهم للبطارية؟

- ما أنا قولتلك إن الـ..

قاطعته:

- السؤال بطريقة تانية: ليه عايز توصل للبطارية؟

ارتج عليه للحظة، حاصرته خلالها بنظرة ثاقبة من عينيها المحاطتان

بالتجاعيد، وانتابه الضيق لشعوره بالحصار المعنوي.. لحظة ثقيلة مرت، أنقذه بعدها رنين الـalarm الصادر من جهاز الاتصال الذي استحوذ عليه من طائرة .E.N، هز لها رأسه على سبيل استئذان (زاد من ضيقه) وابتعد عن السيارة بخطواتٍ واسعة.

حاولت أن ترهف السمع لتلتقط أي شيء مما يقول، إلا أن المسافة والضجة القادمة من بعيد بالإضافة إلى ضعف سمعها (الضيف الوافد منذ سنوات)، لم يساعدوها.. أخرجت هاتفها المحمول وطلبت رقمًا:

(بصوت خفيض): وصلت لفين؟ إحنا ف داندي مول، ف الجراج.. آه.. بس فيه مشكلة.

كلمات هامسة متتالية غادرت شفتيها، ثم لم تلبث أن أنهت الاتصال عندما رأت زين قادمًا من بعيد.. فتحت سوستة حقيبتها القماشية بحذر، ومدت أصابعها بداخلها.

وعندما اقترب لاحظت أن ثمة اضطرابٍ ما يموج في ملامحه.

- مالك؟!

- مفيش.

أشارت إلى جهاز الاتصال الذي يحمله متسائلة:

- Bad news؟

بالعكس..

- مش تفَرحنا معاك، طيب!

خليني الأول أجاوِبلِك على سؤالِك.

مال بجذعه ليدنو برأسه من فتحة نافذة السيارة، وتابع بلهجة أثارت مزيدًا من قلقها:

ليه عايز أوصل للبطارية؟!

حدقت فيه بعينين لا تطرفان.

تفتكري ليه؟!

قالت بهدوء:

عشان تساوم الشركة عليها.

برافو!

قالها بابتسامة بدت لها مزعجة.. سحبت قبضتها المضمومة ببطء من داخل حقيبتها، بينما هو يقول:

- سؤالي أنا بقى.

وقبض بغتة على معصمها مستطردًا:

إنتي عايزة البطارية ليه؟!

أجفلت.. أنّت مع ضغط أصابعه القوية على عظام معصمها.

تعاطف إنساني؟!

أجبرتها أصابع يده الأخرى على فتح قبضتها المضمومة، ليتناول القرص المخدر المستقر في راحتها.

ولا تهور زي أيام زمان؟!

رمقته بغِل وهو يتأمل القرص وردي اللون بين سبابته وإبهامه من دون أن يفلت معصمها، ثم يدير عينيه إليها ليحدق في عينيها مباشرةً.

بتعمِلي كل ده ليه يا أمل؟!

حدقت فيه بمقت، ثم قالت من بين أسنانها:

واجبي.

قال بهدوء:

أنا كمان بَقوم بواجبي.

وأدنى القرص المخدر من وجهها، متابعًا:

- وخليكي فاكرة كويس.

حاولت بوهن أن تتراجع أو تحرر معصمها من قبضته بينما هو يردف:

It is not personal.

وفي اللحظة التالية فوجئت برأسه يستدير بحركة مفاجئة نحو الجسد المستلقي إلى جوارها، وتفجرت دهشتها براكينًا عندما أدركت أن وجهه يشحب، وأن نظرة فزع تطل من عينيه..

أدارت عيناها إلى الجسد النحيف الساكن، ولمحت بوضوح وميضًا قادمًا من موضع عينيه، أسفل طبقات الضمادات المحيطة بهما..

-٣١-

تتفنن الأعمال الأدبية في وصف وقع أثر الصدمة على الشخص المصدوم، فتتحدث عن جحوظ عينيه، القشعريرة التي تسري في بدنه، عن شعر رأسه الذي يقف، الدماء التي تتجمد في عروقه... إلخ.. غير أن كل هذه الأعراض مجتمعة لا تكفي لوصف حال زين المحشور نصفه العلوي داخل سيارة إيمان المتوقفة في جراج داندي مول.

الذي حدث أن كيانه حرفيًا ارتج.

في البدء صفعت الأنفاس جانب وجهه.. الأنفاس التي تفوح برائحة كحول نفاذة لا زالت ملتصقة بأنفه رغم جريان السنين.

انتصب (من قبل حتى أن يدير رأسه لينظر) شعر ساعده.. لجزء من الثانية قاوم عقله الفكرة.. صرخ به أن انتظر، هذا غير حقيقي، لا يمكن أن يكون حقيقيًا! غير أن الرؤية كانت كفيلة بنسف أي قدرة على التعقل أو قياس الأمور بأي منطق.

ضربت الرائحة أنفه.. استعادها عقله، وصنّفها.. وبينما كان يصرخ به ليهدأ، كان هو قد أدار رأسه لمصدرها، لتصطدم عيناه بما توقعه استنادًا لخبرته بالرائحة.

الأنف الضخم العملاق، يعلو شاربًا كثًّا غزته شعيرات بيضاء.. الشفتان الغليظتان المنفرجتان عن أسنان ضخمة نضيدة تركت سنوات التدخين والقهوة أثرًا عليها.. البشرة المصقولة من جراء حلاقة يومية لشعيرات الذقن.. السوالف التي وخطّها الشيب.. ثم العينان الرهيبتان الشبيهتان

بعيني أسد يحدق في فريسته.

لا إراديًا خرجت شهقة من أعمق أعماق روحه.. وخلال الأجزاء المتبقية من الثانية، مرت بجسده كل الأطوار المذكورة عاليه من جحوظ العينين والقشعريرة وتجمد الدم في العروق.

تراخت قبضته المحيطة بمعصم أمل التي حدقت فيه غير فاهمة.. أجفلت عندما انتفض جسده بعنفٍ شديد تزامن من خروج الشهقة من بين شفتيه، وسقوط القرص الوردي المخدر من بين أصابعه..

ثم في الثانية التالية فوجئت به خارج السيارة.. دفع جسده بكل قوته ليقذف به خارجًا.. وعبر نافذة السيارة لمحت في عينيه (وقد سقط أرضًا) رعبًا حيوانيًا غير مسبوق.. وبلغت أذنيها أنفاسه المتلاحقة التي توشك أن تُصَنَف كشهقات متتالية.

أما هو، فانغرست أصابعه في أسفلت الجراج وهو يحدق في الوجه غير المتوقع الذي أطل عليه من نافذة السيارة.

حاول عقله معه مجددًا.. سمعه يهتف به من بعيد وبصوت واهن أن هذا مستحيل، محض وهم، ولكنه لم يصغ.. غطى عليه صوت تكة رتاج باب السيارة إذ ينفتح، لتغادره ساقان فارعتان في بنطلون أسود، وزوج من الأحذية العسكرية الثقيلة، استقرا بثقة على الأرضية الأسفلتية.

نقلت أمل بصرها بدهشة عارمة بين وجهه الذي ابيضّ وقد غادرته الدماء من فرط الرعب، والوميض الغامض المنبعث من موضع العينين

أسفل الضمادات المحيطة بالرأس المستلقي إلى جوارها، والمائل قليلاً إلى كتفه الأيمن.

التمعت الفكرة بغتة في رأسها.. مدت أصابعها لتعيد منظار الأشعة تحت الحمراء الشبيه بمناظير الغوص إلى عينيها.. نظرت إلى الجالس جوارها، فلمحته ظلاً دقيقًا ومن حوله سياله الحيوي أحمر اللون، غروي الحركة، غريب الأطوار.. ثم ندت منها صيحة دهشة عندما رأت السيال الحيوي وقد تمدد وخرج منه (من حول الرأس تحديدًا) ما يشبه حبلاً سُريًا من الهلام أحمر اللون امتد في الفراغ بتلك الحركة الغروية المقززة ليعبر فتحة نافذة السيارة.. يسبح في الهواء المظلم.. يبلغ جسد زين المتشنج أرضًا، فيحيط رأسه بما يشبه سحابة دموية اللون.

زين الذي طفرت الدموع من عينيه، ودفع الأسفلت بقدميه داخل حذائه الكاويتشوكي ليزحف للوراء بحركة متشنجة حتى التصق بصاج فورميولا قريبة، وبصره يتسلق الساقين اللتين بدأتا تتقدمان منه بتؤدة.. البنطلون الأسود.. السترة السوداء المميزة لضباط الأمن المركزي.. الملامح المرعبة المحفورة في أعماق روحه.. العينان القاسيتان تمضغانه بنظرة أفتك من طلقة الرصاص.. ثم القبضة الصخرية التي يتدلى منها طرف الكرباج.

عاودته آلام قديمة مبرحة كان قد نسيها مُنذُ زمنٍ بعيد، بينما عيناه مثبتتان على طرف الكرباج الذي يهتز بتراخٍ يمنة ويسرة.. تدافعت

الدموع أكثر فأكثر لتغرق وجهه، وتلاحقت كلمات كثيرة خرجت من فمه، لم تفهم منها أمل حرفًا وهي تغادر السيارة، تدور حولها بأسرع ما تسمح به عضلاتها الواهنة لتهرع نحوه، تهوى إليه.. ضربت أنفها رائحة بول نفاذة.. أمسكت بكتفيه.. هزتهما.

- زين!

نظر إليها بعينين جاحظتين، وبوجهٍ اختلطت على صفحته الدموع بالمخاط السائل من أنفه.. تشبث بها بأصابع متشنجة، وأشار تجاه اللا شيء ، وتناثر لعابه وهو يردد من بين شهقاته، وبصوت متهانف، كلمات مفككة هيستيرية:

- ضربني.. معلش.. آسف.. قولتله.. والله العظيم.. الكرباج.. ماما.. قوليله.. قوليله.. آخر مرة والله العظيم.. ماما.. قوليله.. ماما.. قوليله.. قوليله.. قوليله!

غمرتها شفقة كاسحة، لم تدر بنفسها إلا وهي تحتضن رأسه بقوة.. تعالى بكاؤه وجسده يرتعد بقوة بين ذراعيها.. نظرت صوب الجسد النحيف المستقر داخل السيارة.. لوحت بذراعها تجاهه قائلة بصوتٍ مختنق:

خلاص.. كفاية!

الأمر الذي فجر دهشة إيمان عندما قَدِمَت بعد دقائق من جهة المول، حاملة أكياس برجر كينج لتجد غريب الأطوار هذا مستلقٍ بين ذراعي خالتها على الأسفلت في ظلام الجراج.

*****

-٣٢-

الظلام دامس.

يسمع، من دون أن يميز أو يعي، صوت أمل خفيضًا أقرب إلى الهمس:

شايف إيه؟

صوت رجالي منهك يجيب بخفوت:

- الموضوع مش سهل.

يصمت للحظة، ثم يستطرد:

- خلينا نراجع الـtimeline من أوله.

*****

يتنفس بصعوبة.

****

قالت بنفس الصوت الهامس:

هارب من الماكينات.. قدر بمعجزة أنه يخرج من ماكينة استخراج السيال الحيوي، يجتاز الحراسة، وأسوار المزرعة.. ده مش بيفكرك بحاجة يا محمود؟!

(باقتضاب): أدهم.

بالظبط! وأدهم لولا امتلاكه السايكوكاينزس، مكانش قدر يهرب.

هز رأسه مصدرًا "إممممم" موافقة من بين شفتيه المطبقتين، فتابعت:

- يعني ممكن نقول وبنسبة خطأ مش كبيرة، إن الهارب الجديد -زي أدهم- امتلك قدرة نفسية غير طبيعية ساعدته إنه يفلت من الخطر.

الباب في نهاية الممر المظلم.

خط دقيق من الضوء قادم من الداخل، يلامس الأرض عند موضع التقائها بالباب.

- سايكوكاينزس برضه؟

لأ.

أومال؟!

مش عارفة تحديدًا إيه نوع القدرة دي، بس هي أقرب للقدرة على إحداث هلوسة.

ده استنتاج مش متسرع؟!

(بحماس): خالص.. كل اللي حصل بعد كده بيدعمه.

ثمة أصوات قادمة من وراء الباب.

تلتقطها أذناه بصعوبة، تقل شيئًا فشيئًا مع تقدمه عبر الممر المظلم باتجاهه.

تقدمه!

هو لا يريد.. لا يريد.

إيه اللي يخلي soldier في فرقة المطاردة، محترف ومدرب، يقتل زميل له؟!

- يمكن عن طريق الخطأ!

- بعد ما قتله، اِتدَوَر ببندقيته وأطلق النار عامدًا متعمدًا على راس الـleader بتاعه.

ممكن تكون حالة هيستيريا فردية!

- ممكن.. بس اللي حصل إن الفرقة "كلها" بعد كده فتحت النار على بعضها!

خلينا نقول ان الإشعاع السايكوفيزيائي ممكن يكون لِعِب دور في انتشار العدوى الهيستيرية!

مش over دي مِنَك يا محمود؟!

الأفورة مطلوبة عشان نقدر نستبعد أي احتمال خاطئ.

ماشي! حالة هيستريا فردية "مفاجئة" انتشرت بالإشعاع

السايكوفيزيائي بين أفراد المجموعة وخليتهم يصفوا بعضهم.. ok.. طب واللي حصل لزين؟!

*****

الأصوات تعلو وتتضح أكثر مع كل خطوة تخطوها قدماه الدقيقتان داخل الصندل الجلدي باتجاه الباب الموصد.

يميز صوتيهما.

صوت أمه الضعيف الواهن يئن متألمًا من وراء الباب.

وصوته.. صوته الغليظ المنبعث من حنجرة مخيفة يطلق الزمجرة تلو الأخرى.

يرتعش.. يبكي.. يسيل خيط من المخاط من فتحة أنفه.

ولكنه لا يتوقف عن التقدم.

****

دي الشريحة الخاصة بمنظار الأشعة تحت الحمراء.. عليها تسجيل كامل لكل فيمتوثانية المنظار التقطها.. راقب كويس شكل ولون وحركة السيال الحيوي للـ.. مضطرة أقول "البطارية" عشان معرفش اسمه! راقب وقارن ده بتأثيره على زين لما حصل.. خلينا نقول "الاعتداء" من أكتوبلازم البطارية على سياله الحيوي.

*****

يسمع أمه تئن.. تبكي.

يبكي بدوره.. يضرب الباب الموصد بقبضتيه الصغيرتين.. يصرخ مناديًا باسمها.

ينفتح الباب بعنف.

تمتلئ فتحته بجسد عملاق عارٍ إلا مما يستر عورته.

الشارب الكث.. الشفاه الغليظة.. ثم العينان الرهيبتان.

ساكت ليه؟!

Unbelievable!

اقتنعت؟!

بإيه؟

بإن evolution ما حصل للسيال الحيوي بتاع البطارية كنوع من الميكانيزم الدفاعي جوة ماكينات استخلاص السيال الحيوي (نفس اللي حصل لأدهم زمان).. طفرة أكسبته القدرة على إحداث الهلوسة.

وصمتت للحظة ثم أردفت بانفعال:

- طفرة مستنيين ظهورها من 25 سنة!

اللطمة تهوي على وجهه.. تقذف به إلى الوراء.

يرتطم بالموكيت الذي يغطي أرضية الممر.. من داخل الغرفة، يلمح وجه أمه المذعور الغارق في العرق.. يسمعها تصرخ باسمه، قبل أن ينغلق الباب بينهما إثر جذبة قوية.

في اللحظة التالية تقبض الأصابع الصخرية على خصلات شعره الناعم.

يصرخ متألمًا إذ تجذبه.

يرفس مقاومًا بقدميه في يأسٍ مثير للشفقة، بينما تجره الأصابع عبر الموكيت باتجاه الغرفة، في نهاية الطرف الآخر للممر.

وعلى بعد سنتيمترات قليلة، تراقص طرف الكرباج المستقر زمامه بين أصابع اليد الأخرى.

وافرضي! ممكن تفيدنا بإيه؟!

بتهَرَج، صَح؟!

- خالص! لو النظرية دي فعلاً صحيحة، فده (مشيرًا بكفه) مش سوبرمان يقدر يتحكم في جسيمات المادة زي أدهم.. هَتعمِل إيه القدرة على إحداث الهلوسة قدام قوات مسلحة مدربة؟!

- يا ابني أومال إحنا بنهرى ف إيه م الصبح؟! أنا مش لسه حاكيالَك إن فرقة المطاردة خلصت على بعض قدام باب المستشفى؟! فرقة من تلاتين بغل يا محمود! ده غير زين!

- زيــن أنــا شــوفته بنفــسي fighting تلاتــة مــن قبضايــات .E.N، غــير سـيكيوريتي المـترو.. واو! حاجـة زي الـلي بنشـوفها ف أفـلام بوليـوود.. وجِـه عنـد أخينـا الضعيـف المتهالـك ده (مشـيرة بكفهـا)، وانهـار بالشـكل الـلي حكيتهولَـك!

- ضربنـي.. معلـش.. آسـف.. قولتلـه.. واللـه العظيـم.. الكربـاج.. ماما.. قوليلـه.. قوليلـه.. آخـر مـرة واللـه العظيـم.. ماما.. قوليلـه.. ماما.. قوليلـه.. قوليلـه.. قوليلـه!

واضـح إنهـا مـش أي هلوسـة.. أعتقـد إنهـا مرتبطـة بمخـاوف كامنـة في نفـس الـ.. ممكـن نقـول "الضحيـة"

قالت:

فكرت ف حاجة زي كده.

يبقـى كـده ممكـن نفكـر إن توصيـف الطفـرة في السـيال الحيـوي للـ case دي هـو القـدرة عـلى إحـداث هلوسـة مسـتمدة مـن أفـكار ومخـاوف وتجـارب الشـخص الـلي بيتعـرض لاعتـداء مـن سـياله الحيـوي.

- عظيم.

لحظات من الصمت ثم كرر:

- بس برضه، الموضوع مش سهل!

- ومش مستحيل يا محمود! عندك مَعمَلَك وأجهزتك، تقدر تتأكد وتجزم زي ما عملت زمان وأحسن.. ولا إنتَ اللي مش عايز؟!

- (بانزعاج): إزاي تقولي كده؟!

العرق يغمر جسده.. يرتعش في فراشه.

يسمع صوت أمل بينما يشعر بأناملها تتحسس جبهته:

- محمود!

صوت خطوات تقترب.. يسمعها مجددًا:

- سُخن.

برهة من الصمت لا يقطعها إلا أزيز مرقابٍ ما، أنفاس مسموعة، صوت مغلف بلاستيكي يتمزق.

إيه ده؟!

وخز إبرة تنغرس في أحد أوردته.

(باقتضاب): مهدئ.

لحظات ثم ينتظم تنفسه، ويتسلل الخَدَر إلى رأسه بنعومة.

طرف الكرباج المتدلي.. يتأرجح بتراخٍ ذات اليمين وذات اليسار.

يبهت تدريجيًا.

يغطي الظلام المشهد بالكامل.

- (مداعبًا): اللي فات كان سوبرمان، بيتحكم ف المادة بسياله الحيوي، وسميناه أدهم صبري.. ده بقى نسميه إيه؟!

ما دام بيلعب ف zone الخوف، يبقى رفعت إسماعيل طبعًا!

(ضحكة خافتة).

-٣٣-

انفتح باب الردهة المؤدية إلى جناح الطوارئ بالمركز الطبي التابع لـ E.E، وتعلقت عينا الكابتن خالد بالطبيب الخمسيني أشيب الشعر الذي خرج عبره، وفي أثره الطبيب الشاب الذي أجرى عملية السايبورج لوليد صباح الأمس.

نهض من على المقعد الوثير الذي يتوسط استقبال الطوارئ، واتجه نحوهما.

إيه الأخبار يا دكتور؟

Not so good.

قالها الطبيب الخمسيني بلهجة منذرة، ثم استطرد:

الإصابات المرة دي أخطر من الإصابات اللي اتعرضلها امبارح وفقًا للـfile بتاعه، وreport الدكتور علاء (مشيرًا بكفه إلى الطبيب الشاب).. مش بس الكسر الثلاثي في ذراعه الأيسر.. ده مقدور عليه زي ما تعاملنا مع كسور ذراعه اليمين.

تساءل خالد بقلق:

أومال إيه؟!

خرجت الكلمات متلاحقة من بين شفتي الطبيب:

الضربة اللي تلقاها في راسه كانت من العنف لدرجة أنها سببت ارتجاج ونزيف في المخ.. كسر في الجمجمة وآخر في الفك.. تهتك في فص المخ الأيمن.. صور الأشعة بتظهر إصابة فادحة فعلاً، ولولا إن الإسعاف

نقله بالسرعة المطلوبة، كان زمانه انتهى.

نقل خالد بصره بينهما للحظة وكأنه يستوثق من تعبيرات وجهيهما مدى ضخامة وهول الخبر، قبل أن يقول متوترًا:

- والحل؟!

إحنا بنحاول نشفط الدم النازف من المخ، وإن كانت الحالة متدهورة فعلاً، واحتمال كبير تسيب أثر على وظائف المخ.

أثر زي إيه؟!

تدخل الدكتور علاء (الطبيب الشاب) قائلاً:

- درجة من الشلل في الجانب الأيسر من الجسم.

اتسعت عينا خالد وهو يردد مصدومًا:

- ده أكيد؟!

قال الطبيب الخمسيني:

بنسبة 90%.

إلا إذا!

قالها الدكتور علاء، فالتفت له الخمسيني وتبادلا نظرة طويلة، قطعها خالد متسائلاً بلهفة:

إلا إذا إيه؟!

عاد الطبيب الخمسيني بعينيه إليه وأجاب:

الدكتور علاء بيتكلم عن تكنولوجيا جديدة لعلاج إصابات المخ، ما زالت لسه قيد التجربة.

تكنولوجية إيه؟!

- نوع جديد من الجراحات.. أنا مبنصحش بيه ف الوقت الحالي، لأن نتايجه مش مؤكدة وفي منتهى الخطورة!

-٣٤-

مـن بـين شـفتيها المضمومتـين، نفثـت إيمـان دخـان السـيجارة المشـتعلة بـين أصابعهـا صانعـة خطًـا أبيـض مائـلاً بزاويـة تقـترب مـن خمـسٍ وأربعـين، اخـترق السـماء المصطبغـة بحمـرة الغـروب.

رغـم هديـر المـوج القـادم مـن عـلى بعـد عـشرات الأمتـار مـن رمـال الشـاطئ الممتـدة أمـام حاجـز الشرفـة، يفصلهـا عنهـا طريـق أسـفلتي بعـرض خمسـة أمتـار.. رغـم الهديـر، ورغـم الضُلَـف الخشـبية، التقطـت أذناهـا صـوت أمـل قادمًـا مـن داخـل الحجـرة:

(برفق): أحسن دلوقتي؟

أحسن.

ميـزت بوضـوح النـبرة الواثقـة التـي بـدأت تغـزو صـوت زيـن بعـد وهـن أربـع وعشريـن سـاعة مضـت.

مالـت برأسـها للـوراء لتريحهـا عـلى مسـند المقعـد القـماشي البسـيط، تاركـة هـواء البحـر المشـبع باليـود يتخلـل ثيابهـا القطنيـة الخفيفـة وخصلات شـعرها الحـرة.

- اشرب شوية الشوربة دول.

- مش عايز.

- اشرب، إنت من امبارح محَطيتش حاجة ف بقك.

يلا يا ابني، حرام عليك نفسك!

مالك؟!

من موضعها بالشرفة، أرهفت السمع.. ثوانٍ من الصمت ثم.

(بخفوت): من زمان محَسيتش الإحساس ده.

اي إحساس؟

الاهتمام.. إن someone care about me.

برهة أخرى من الصمت، ثم.

إنت مش متجوِز؟

كُنت.

و...؟!

انفصلنا.

مكَانِتش عندها استعداد تهتم بحد غير نفسها.

أومال بتقول من سنين محدِش...

من بعد وفاة ماما.

صمت مشحون، نفثت خلاله إيمان بعصبية المزيد من دخان السيجارة في سماء الشرفة الآخذة في الإظلام.

يلا اشرب الشوربة طيب.

- بعد شوية.

- طب نتفِق اتفاق.. لو قولتلي "يا ماما"، هَسيبك براحتك.

- ماشي يا ماما.

- أهو بعد ماما دي، والله ما أنا سايباك غير لما تخلص الشوربة.

ضحكا معًا.

اعتدلت إيمان في جلستها وهي تزفر بحنق، أطفأت بقايا السيجارة في منفضة بلاستيكية قريبة، ثم نهضت لتزيح بوابة خشبية قصيرة في طرف سور الشرفة، تهبط درجتين تنزلا بها لمستوى الطريق الأسفلتي.. تبتعد.

لم تسمع صوت نشيجه، ولا صوت أمل المشفق إذ تحاول تهدئته.

-٣٥-

- نيجاتيف.

قالها عمرو عزام بصوت محايد، ثم انتظر.

لدقيقة كاملة لم يرد آدم الذي كان موليه ظهرًا عريضًا، ومتأملاً الشمس الغاربة عبر الحائط الزجاجي، وقد صبغت المساحات الخضراء الشاسعة المترامية حول المبنى الرئيسى لـEgy- Nergy بلون داكن.

دقيقة كاملة، شعر عمرو خلالها -رغم سنوات خدمته وخبرته برئيسه- بالقلق يموج في أحشائه، قبل أن يتحدث آدم أخيرًا من دون أن يستدير له:

نصير لبكي اتصل؟

اتصل وبعت ريبورت مفصّل.

بيقول ايه؟

عندهم مشكلة ف وحدات الـA.I وبيحاولوا يضغطوا فـ الكونجرس لتغيير القانون، وحوار كبير كده شكله هياخد وقت، مذكور بالتفصيل ف الريبورت.

سيبهولي على المكتب.

أطاعه عمرو، فوضع على المكتب مكعبًا صغيرًا يحمل نسخة الهولوجرام من التقرير الوارد من The Eye واعتدل يستمع لرئيسه الذي قال:

أفترض إن "نيجاتيف" دي بخصوص البطارية المفقودة؟!

- (بـشيء مـن الارتبـاك): إحنـا مسـتمرين في البحـث وهنلاقيهـا في أقـرب وقـت.

قال آدم بلهجة باردة كالثلج:

- أو هي اللي هتلاقينا.

- (بدهشة): إزاي؟!

- (ضاغطًا حروفه): أمل الشافعي.

غمغم عمرو بتخاذل:

إحنا لسه مش متأكدين إن كانـ..

أنا متأكد!

ساد الصمت للحظاتٍ قصيرة قبل أن يقول عمرو:

- هَتعمِل بيها إيه يعني؟!

تعمـل كتـير.. إحنـا خسرنـا فرقـة مطـاردة كاملة بسـبب الطفـرة الجديدة فـ أكتوبـلازم البطاريـة الهربانـة.. فرقة كاملـة العتاد والتسـليح والتدريب!

واستدار بجانب وجهه الذي كسته الظلال لمرؤوسه الشاب مستطردًا:

البطاريـة دي سـلاح خطـير.. و99% وقـع فـ إيـد واحدة مدركـة الخطورة دي.

وعاد إلى مشهد الشمس الغاربة وهو يردف:

واحدة مهووسة، مسيطرة عليها فكرة واحدة.. الانتقام!

مش شايف يا ريس إنك مدّيها أكتر من حجمها؟!

لم يرد آدم، فتشجع عمرو متابعًا:

- دي راحت ولا جَت، واحدة سِت.. وف أرذل العمر.. ف إيدها إيه تعمله معانا بس؟!

قال آدم بحزم:

- ف إيدها سلاح قضى على تلاتين جندي مسلح محترف في ثواني.. وف دماغها أفكار تخريبية مغيرتهاش السنين.. أنا أعرف أمل من أيام الأزمة القديمة، ومتأكد إنها ف اللحظة اللي بنتكلم فيها دلوقتي، بتستعد لبدء جولة جديدة.

- (بحماس): وإحنا مستعدين بقوتنا والتكنولوجيا بتاعتنا.

والولَد الصياد بتاعنا اللي انضم ليها؟!

حتى ده، إحنا جاهزينله بالكارت المضاد.

وأردف بثقة:

صدقني مستر آدم، فرصتها 0% إن مكانِتش أقل.

لم يرد آدم.

اكتست ملامحه بقناع بارد، بينما ظل واقفًا يتأمل صفحة السماء التى ملأت المشهد أمامه بضوء الغروب الأحمر، والذى بدا له نذيراً بخطر داهم يقترب..

*****

-٣٦-

جلس الأربعة على مقاعد أنتريه مريح لا يخلو من بساطة.

نقلت أمل بصرها بين زين الجالس قبالتها منتصب الجذع، إيمان التي استرخت إلى يمينها واضعةً ساقًا على ساق، وبين أصابعها سيجارة مشتعلة.. والدكتور محمود الذي جلس محني الظهر قليلاً، بجثة عملاقة، كرش ضخم، ورأسٍ أبيضَ أغلب ما تبقى من شعره ولحيته.

عقارب الساعة العتيقة المعلقة إلى الحائط تشير إلى الحادية عشر والنصف مساءً.

قالت بهدوء:

أسئِلة؟

نفثت إيمان عمودًا من الدخان وثبتت بصرها على صفحة الحائط المقابلة الخالية إلا من لوحة بسيطة لمنظر طبيعي.. أطرق محمود برأسه أرضًا وهو يداعب خصلات لحيته بأصابعه.. أما زين، فتساءل:

احنا فين هنا؟

أجابته:

- قرية قديمة من قرى الساحل الشمالي، قريبة من سوق الحَمَام.

- جينا هنا ازاي؟

أشارت بسبابتها بسرعة إلى محمود مجيبة:

- محمود عدى علينا بعربيته ف داندي مول، وجابنا لغاية هنا.

نظر زين إليه وتساءل:

- مين حضرته؟

الدكتور محمود حازم أبو زيد.. أستاذ الطب النفسي ومدير مركز "أبو زيد" لعلاج الأمراض النفسية والعصبية.

مرت لحظة من الصمت بودِلَت خلالها النظرات، قبل أن يسأل زين مجددًا:

إحنا هنا ليه؟

لم تُجِب أمل على الفور.. نهضت من مكانها، خطت على البساط فاتح اللون الذي يغطي الأرضية المصنوعة من رخام حال لونه وفقد بريقه.. استدارت إليهم وكأنها على وشك إلقاء محاضرة.. التقطت نفسًا عميقًا.. قالت:

- من خمسة وعشرين سنة، صحى المصريين على كابوس لقوا نفسهم مغروسين فيه.. المصريين طول عمرهم ظروفهم صعبة، وحياتهم سلسلة مبتخلّصش من الكوابيس.. استعمار.. حروب.. إرهاب.. فساد.. ظلم.. ورغم كل ده فضلوا عايشين.. موجة تشيلهم، وموجة تحطهم.. يعانوا أد ما يعانوا، وف آخر اليوم يتقفل عليهم بابهم، يتعشوا ويحمدوا ربنا ويناموا.

لَوَت إيمان شفتها فبَدَت تمثالاً مجسمًا لمعنى السأم.

الكابوس المرة دي كان مختلف، كان مص حقيقي لدم وأرواح الغلابة عشان الأغنيا يعيشوا أحسن وثرواتهم تتضخم أكتر وأكتر.. جريمة اشترك فيها الغرب والشرق وإسرائيل مع النظام الحاكم الاستبدادي.. الكل اتغدى على آلام الناس وأنينهم.

راح أداؤها يعلو وصوتها يكتسب انفعالاً مع كل كلمة.

بدون مبالغة.. Egy- Nergy أبشع جريمة ارتُكِبَت فـ حق الإنسانية

عبر التاريخ.

أطرق زين بوجهه أرضًا، وقد اكتسى بتعبير جامد لا يشف عن أي شيء.

- (بعينين ملتمعتين): من خمسة وعشرين سنة، عرف المصريين اللي بيتعمل فيهم، فانفجروا في ثورة عارمة.. ثورة عظيمة اشترك فيها الشعب كله، وتشرفت الشعوب الحرة بتأييدها والمشاركة فيها.. المظاهرات والمسيرات مَلِت الشوارع والميادين.. الناس تخلـ..

قاطعتها إيمان ببرود:

- مش نوفر الخُطَب دي لبرامج التوك شوز أحسن؟!

رمقتها أمل بعينين غاضبتين، فأردفت وعمود الدخان يغادر شفتيها:

- ده تاريخ كلنا حافظينه!

- (ببرود): التاريخ ده انطمس من زمان، مَحَدِش عارفه.

تدخل الدكتور محمود قائلاً بكياسة:

- للأسف الشديد التحرك الشعبي العظيم ده أُجهِض.. عرفت شركة Egy- Nergy تحلل مناطق القوة والضعف في القوى اللي بتواجهها، واستغلت مناطق الضعف في ضرب مناطق القوة.

ورمق أمل بطرف عينه، فاستجابت لدعوته وعادت إلى مقعدها بهدوء بينما تابع هو:

إيه كانت مناطق القوة ومناطق الضعف؟

حدق فيه زين باهتمام، وفقدت نظرة إيمان نسبة لا بأس بها من لا مبالاتها.

- مناطق القوة كانت (يعد على أصابعه): عدالة القضية- المشاركة

الشعبية الواسعة- انخراط الإسلاميين بإخلاصهم وقدراتهم التنظيمية- التجاوب العظيم من شعوب العالم مع الثورة المصرية- وعامل مهم لعب دور كبير في صد الضربات الأمنية للتجمعات، وبالذات في الأيام الأولى الصعبة.. أدهم صبرى.

عمودُ جديد من الدخان الأبيض خرج من بين شفتي إيمان المضمومتين، بينما زين يتساءل بحاجبين معقودين:

- مين أدهم صبري؟!

- أدهم كان بطارية هاربة من ماكينات Egy- Nergy زى أخينا اللى نايم فوق فـ الأوضة (مشيراً بكفه لأعلى).. التعذيب داخل الماكينة استفز دفاعات جسمه، فأطلقت العنان لقدراته النفسية، وامتلك السايكوكاينزس.. القدرة على التحكم في الجسيمات الأساسية المكونة للمادة.. استطاع إنه يسخّر قوته دي في الهروب من مزارع E.N. وفوجئنا بيه بينضم لاحتجاجاتنا من يومها الأول، وبيعرض علينا خدماته.

استمع زين مأخوذًا مسحورًا، بينما لم يَفُت إيمان (التي تحفظ هذا التاريخ) أن تلقي نظرة بطرف عينها على وجه خالتها العجوز الذي اكتسى بمسحة من الحزن.

أداء أدهم كان مبهر الحقيقة.. فعّال جدًا.. مهما بلغت شدة الهجمات الأمنية من الجيش أو الشرطة أو مرتزقة .E.N، كانت بتنهار قدام قدراته الخارقة.. إحنا شفنا بعينينا أسلحة ومدافع بتتفكك وبتتحطم بين إيدين العساكر والظباط.. المدرعات كانت بتتخبط ف بعض، بتتطاير زي ما تكون ألعاب أطفال.. شيء خيالي يكاد لا يُصَدَق.

ردد زين مندهشًا:

- ودا راح فين؟!

تجاوز الدكتور محمود سؤاله وتابع:

- دي كانت مناطق القوة.. أما مناطق الضعف (التقط نفسًا عميقًا) فكانت الوجه الآخر لكل نقطة من نقاط القوة.. الوجه اللي تجنبنا نشوفه أو ناخد بالنا منه.

استقرت ثلاثة أزواج من الأعين على أصابعه إذ بدأ يَعُد.

- عدالة القضية.. عنوان جميل، رنان.. قيمة كبيرة.. إنما إيه مدلولها على الأرض لو مفيش تحتها قوة حقيقية مؤمنة بيها، وحُط ألف خط تحت "مؤمنة بيها" دي! تستند إليها؟!

المشاركة الشعبية الواسعة.. ممكن تكون قوة فعلية تدافع عن عدالة القضية أو القضية العادلة، لولا إن الجموع أو الشعوب بطبيعتها، وبالذات الشعوب المتخلفة -ما اقصدش أي إهانة- فوضوية بطبيعتها، وصعب السيطرة على حركتها وجموحها.

فرحنا بنزول الملايين للشارع، وغضينا الطرف عن العَرَض الجانبي للنزول ده.. الفوضى اللي ضربت المدن والمحافظات.. سقط القانون مع ضعف وتراجع سلطة الدولة.. أي حد بقى عايز يعمل أي حاجة بيعملها.. وده كان كفيل إنه يخلي قطاعات عريضة من الناس تقفش وتتمنى رجوع القانون والأمن، بأي تمن.

الاعتصامات والمسيرات والمظاهرات استمرت.. يوم.. يومين.. تلاتة.. ومع اكتمال أسبوع، كانت بدأت تعلا نبرة التململ والزهق والتساؤل عن آخرة ده كله إيه.. حتى مع انكسار التهديد الأمني أمام قوة أدهم الخارقة.. وابتدينا نسمع أصوات بتشكِك في الهدف من ورا اللي بيحصل.. ومين قال إن فيه تعذيب؟! وبصوا مين اللي بيتخطفوا وبيتحولوا لبطاريات؟! ما كلها أشكال ضالة، حرامية وبلطجية وأطفال

شـوارع، البلـد محتاجـة تنضـف منهـم!

وبكـده كانـت المفارقـة المدهشـة إن المشـاركة الشـعبية الواسـعة زي مـا كانـت السـبب الرئيـسي في انفجـار الاحتجـاج الثـوري، كانـت برضـه العامـل الرئيـسي في إجهاضـه.. نزلـوا خَطـف، وانسـحبوا خَطـف! وده درس مهـم.. الشـعوب عـلى عكـس الأكليشـيهات الشـائعة، لا يُعَـوَل عليهـا في إحـداث التغيـير، التغيـير بيجـي مـن مجموعـة.. نخبـة.. group مـا، عنـده رؤيـة، وعنـده القـدرة عـلى ترجمتهـا عـلى أرض الواقـع.

وصمت لثوانٍ استرد خلالها أنفاسه، ثم تابع:

الإسلاميين كانوا حالة مختلفة.

مـن ناحيـة، عندهـم الميـزة الـلي افتقدتهـا الحركـة الاحتجاجيـة الشـعبية.. منخرطـين في تنظيـمات قائمـة عـلى السـمع والطاعـة، وليهـا أسـاس عقائـدي متـين يخليهـم مسـتميتين في تحقيـق هدفهـم.. رجالـة وسـتات.. أطفـال وشـيوخ.. ممكـن يقعـدوا بالشـهور في الشـوارع.. يواجهـوا الرصـاص والمـوت بصـدور عاريـة.. فلوسـهم كتـيرة، يقـدروا يمـوّلوا اعتصامـات ضخمـة طويلـة.. مفيـش زهـق.. مفيـش خـوف.. الفكـرة الـلي آمنـوا بيهـا واتربـوا عليهـا خليتهـم أقـرب لـrobots.

ومـن الناحيـة التانيـة.. الوجـه الآخـر.. دي كانـت برضـه نقطـة ضعفهـم.. الـrobot مبيفكّـرش.. بينفـذ عـلى طـول بنـاءً عـلى البرنامـج الـلي اتحطلـه.. وإذا كان البرنامـج ده مختـل، فالروبـوت بيعجـز عـن تعديلـه أو تعديـل أفعالـه المبنيـة عـلى برنامـج مختـل.. ومشـكلة التنظيـمات عمومًـا، إنهـا محتاجـة فكـرة جبـارة للسـيطرة عـلى عقـول وأفـكار أعضائهـا.. ومهـما كانـت قـوة وقيمـة أو عظمـة أو نبـل أي فكـرة، فهـي لا تحقـق السـيطرة الكاملـة.. فقـط الديـن وحـده هـو الـلي ممكـن يحقـق ده -انسـوا أي كلام عـن أي

أيديولوجيا سياسية أو أخلاقية تانية.. كله بلح!- هو اللي ممكن يدفع عضو التنظيم للتضحية بحياته عشان يطيع أوامر قادته اللي هي هتقوده للجنة.

ودي تاني مفارقة مدهشة.. نزول الإسلاميين الشوارع وانضمامهم للثورة كان مكسب ضخم، نظرًا لتنظيمهم وثباتهم واستماتتهم في مواجهة الهجمات الأمنية، وبالذات بعد بدء انفضاض الشعب.. وفي نفس الوقت، النزول ده كان سبب رئيسي من أسباب الهزيمة.. ليه؟! لأنهم نزلوا يشاركوا في ثورة قامت ضد شركة بتمتص أرواح الناس، "من أجل تحرير الأقصى" (!).. الفكرة.. البرنامج.. الشريحة المزروعة في عقولهم للسيطرة على حشودهم متستحملش هدف تاني غير "تحرير الأقصى واستعادة الخلافة". وده طبعًا لعِب دور كبير في إقناع الحكومات الغربية بتجاهل احتجاجات شعوبها المؤيدة للثورة المصرية، ومنح Egy- Nergy تأييد مكانِتش تحلم بيه.

والمفاجأة.. الفضيحة اللي انفجرت بعدها بشهور، إن قيادات التنظيمات دي كانت جوة المكاتب المغلقة بتساوم الشركة الأم في أمريكا للاستحواذ على نصيب حسن فودة، الشريك المصري، مقابل سحب الملايين الثائرة من الشوارع! الملايين اللي نزلت تحرر الأقصى وتستعيد مجد الخلافة!

أطفأت إيمان بقايا سيجارتها، ونظرت إليه وهو يرشف من زجاجة مياه معدنية، ويعيدها إلى المنضدة ثم يستطرد:

النقطة التالتة كانت أدهم! الـsuperhero اللي حمى الثورة والثوار بقدراته الاستثنائية.. ولأنها استثنائية، فوجودها استثناء.. وبشكل إحنا لسه مش فاهمينه الاستثناء ده زى أي استثناء زال بزوال صاحبه.. إحنا منعرفش أدهم اختفى فين ولا إزاي! فجأة فص ملح وداب.. ولأن اعتمادنا

الأساسي في التأمين كان على استثناء خارق للعادة، فلما زال الاستثناء لسبب غير معروف انكشفنا لأعدائنا، وأصبح التخلص مننا مش محتاج إلا لذخيرة أكتر بس!

أشارت له أمل، نظر لها وكأنه يتأكد من استعادتها لهدوئها.. هزت له رأسها، فعاد إلى مقعده وقالت هي:

- 3 عوامل قوة هي نفس عوامل الضعف، والنتيجة إن الحراك الثوري أُجهِض.. اتنسف.. الشعب انفَض.. أدهم اختفى.. الحكومات الغربية تخلت.. مبقاش ف الشارع غير الإسلاميين، وده ف حد ذاته كان green light.

بعد المذبحة، خرج الشعب تاني للشوارع يرقص احتفاءً بانتهاء "القلق" الدولة استعادت سيطرتها، الشركة اكتسبت دعم وتأييد داخلي (!) قبل الخارجي.. الإعلام مشي ورا كل ده، وباحترافية مسح كل حرف اتكتب ف كتاب الثورة.

كُنا إحنا ف الوقت ده اختفينا.. اللي اتقتل اتقتل.. اللي اتمسك اتمسك.. واللي هرب هرب.

محمود (أشارت نحوه بسبابتها) كان بعيد عن الأضواء، وده سَهّل له إنه يبقى ف مصر ويحتفظ بشغله ومكانته.. أنا قدرت بمعجزة إني أهرب برة مصر، وفضلت عشرين سنة أتنطط من بلد لبلد. المرحوم بشير الهلالي أخد مسار مختلف.

وحدقت في عيني إيمان مباشرةً وكأنها توجه الكلام لها وحدها.

- قبيل أيام من هجوم الأمن وتصفية الاعتصامات، المرحوم الهلالي تنبأ بالي هَيحصل.. انفرد بينا على جنب، شاور على جحافل الإسلاميين في الشوارع والميادين، وقالنا إن الموضوع انتهى، وإن فض الاعتصام وتصفية

الثورة مسألة وقت.. واقترح نبدأ في plan B.

Plan B؟!

كذا ردد زين مندهشًا، فأومأت برأسها وتابعت:

- الله يرحمه كانت عنده بصيرة سياسية ثاقبة (ظلل شبح ابتسامة متهكمة شفتي إيمان).. قال إن مفيش وقت نضيعه.. وإذا مكُنّاش مستعدين بخطة بديلة، فلازم نستعد.

الخطة البديلة اعتمدت على تفادي نقاط الضعف اللي حطمت الحراك الثوري.

مفيش اعتماد على المشاركة الشعبية.. مفيش اعتماد على الإسلاميين (كده كده مبقاش فيه إسلاميين بعد المواجهات المسلحة اللي حصلت بعد فض الاعتصامات).. ودي فـ حد ذاتها معضلة.. نعمل إيه؟! وخصوصًا إن Egy- Nergy مبَقيتش مجرد شركة أو مجموعة بتمارس نشاط اقتصادي أو تجاري أيًا كان توصيفه.. .E.N أصبحت كيان عملاق يتجاوز المفهوم التقليدي للشركات العابرة للقارات.. خاضت حروب ضروسة ضد الشركات دي، وف النهاية خرجت منتصرة في كل معاركها، وبَقِت شريك رئيسي في حكم العالم.

الحل كان في ضربات نوعية لأهداف منتقاة بدقة، لإضعاف أداء الشركة وقدرتها على إنتاج الطاقة.. لو عجزت الشركة عن سد احتياجات الحكومات والكيانات الكبرى من الطاقة هتخسر دعمهم، اللي هو الجزء الرئيسي من نفوذها.

قال زين محذرًا:

- إنتي كده بتتكلمي عن عمليات مسلحة! وفي قولٍ آخر: إرهاب!

ضحكت قائلة بسخرية:

إنتَ ناسي إني مصنفة كإرهابية؟!

بعصبية أشعلت إيمان سيجارة أخرى.

- الإرهابيين سهل تصنفهم كثوار، والثوار سهل تصنفهم كإرهابيين.. it is depends to المكان اللي بتتكلم منه.. وبشكل شخصي، رأيي إن الإرهاب المسلح صورة راديكالية من صور الثورة.

- محمود من شوية قال ان التغيير بييجى من مجموعة.. نخبة.. group ما، عنده رؤية، وعنده القدرة على ترجمتها على أرض الواقع..

دا بشكلٍ أو بآخر بينطبق على الحركات المسلحة الطامحة للتغيير.. واللى بيحصل فـ كل مرة: إما بينجحوا فى إحداث التغيير فبيبقوا ثوار وأبطال، وإما بيفشلوا وبيبقوا إرهابيين وخونة وفوضويين

عمود كثيف من الدخان يندفع بعصبية خارج الشفتين الممتلئتين.. تلاحظه أمل، فترمق ابنة أختها بطرف عينها بينما زين يتساءل:

وعندِك القوة العسكرية، أفراد ومعدات وخبرات، اللي تقدرى بيها تنفذى رؤيتِك؟!

تجاهلت إجابة سؤاله وأكملت:

- الإعداد للضربات دي كان يستلزم وقت ومجهود وتخطيط وتمويل وقاعدة معلوماتية.. وقبل كل ده محتاج الأفراد المخلصين محل الثقة.. وعشان كده كان لازم ننقذ نفسنا.. محمود انسحب، أنا هربت، وبشير راح برجليه سلم نفسه.

لم يفلح البوكر فيس الذي غطى ملامح إيمان في إخفاء علامات الدهشة التي أطلت من عينيها، وترجمها تساؤل زين المذهول:

- سلم نفسه لمين؟!

أطرق محمود برأسه أرضًا، بينما أمل تقول:

- سَلِم نفسه للشركة.. راح لكمال فودة شخصيًا (كان لسه ساعتها في منصبه).. قَدِملـه an offer he could not refuse.

إيه؟!

(بصوت متهدج): إنه يبقى راس الحربة الإعلامية في مواجهة الاحتجاج الشعبي ضد الشركة.

حدقا فيها بدهشة عارمة، فتابعت بعينين مغرورقتين بالدموع:

أحمد بشير الهلالي.. المناضل اليساري المعروف، المحامي الحقوقي، القيادي البارز في أكبر ثورة احتجاجية في تاريخ مصر الحديث.. يظهر في توقيت حرج على شاشات الفضائيات بيعلن تراجعه.. بيعلن ندمه.. بيعلن إنه مكانش احتجاج.. مش ثورة.. بيعترِف إنه انضحك عليه عشان يشترك في ثورة هي في حقيقتها مؤامرة لضرب استقرار البلد وإدخالها في دوامة الفوضى.

- (بدهشة عارمة): والمقابل إيه؟!

- مقابل إنه يحتفظ بحياته وشغله بعد انتهاء العاصفة.

لا أنا قصدي المقابل اللي هيعود عليكم.. plan B!

تناولت منديلاً ورقيًا من بين أصابع محمود الممتدة به نحوها.. مسحت دموعها وهي تجيب:

- اللي هيعود علينا إن كوادرنا تفضل موجودة.. إننا نبدأ بعد فترة كمون نبني الشبكة اللي هتكمل المسيرة.

والتفتت تواجه إيمان مباشرةً قائلة بصوت دامع لم يخلُ من تحد:

- بشير مكانش خاين ولا وسخ.. مباعش زمايله عشان يشتري مصلحته.

بادلتها إيمان النظر بثبات لثوانٍ، قبل أن تشيح بوجهها.

نقل زين بصره بينهما وقد أدرك أن لهذه المبارزة تاريخًا كفيلاً بتعطيل المناقشة.. أسرع يقول:

- وبنيتوا الشبكة؟!

أجابه محمود هذه المرة:

حصل.

التفتوا له، فالتقط نفسًا عميقًا وأكمل:

- الموضوع مكانش سهل، واستغرق سنين.. actually الربع قرن الأخير.. لاحظوا إن العين كانت على بشير في مصر، وأمل في أوروبا.. الأجهزة الاستخباراتية التابعة لـ.E.N كانت بتعد عليهم أنفاسهم، وبالذات في الخمس سنين الأولى.. ورغم كده بدأنا نتحرك (إحنا التلاتة) ببطء وبسرية.. تواصلنا مع حقوقيين وسياسيين جوة وبرة مصر، وأسسنا شبكة من الخلايا محدودة الأفراد، مهمتها جلب المعلومات عن أنشطة وعلاقات .E.N حول العالم، حجمها وتطورها.. تحليلها وتخزينها وupdateing مستمرة، لغاية ما تيجي ساعة الصفر، اللي نقدر فيها نستغل الصورة اللي اتكونِت عندنا للشركة، لضربها.

- وإيه هي ساعة الصفر؟!

أجابته أمل:

- الساعة اللي نمتلِك فيها القوة اللي نقدر نوجه بيها ضربات للشركة تضعِف من قوتها وتخلي...

قال زين:

- إنتي متخيلة حجم الترسانة الأمنية اللي تملكها .E.N؟!

- عندى.. واللى ناقصنى، إنت هتكملهولى..

وحدقت فى عينيه مباشرةً وقالت:

- مافَكرتِش ان تقاطعنا مش مجرد صدفة؟!.. إن ربنا قَدَرُه خصيصاً عشان الداتا اللى عندنا تكتمل من واحد جاى من داخل المنظومة؟!..

بادلها تحديقاً بتحديق من دون أن يتكلم..

إنتى مجاوبتيش على سؤاله..

إستقرت ثلاثة أزواج على وجه إيمان، التى أشارت سبابتها إلى زين.. تساءلت أمل:

أى سؤال؟..

نفثت إيمان دخان سيجارتها قائلة ببرود:

- عندِك القوة عسكرية، أفراد ومعدات وخبرات وتمويل، اللى ممكن تعملى بيهم كل الأفشخانات دى؟!..

أجابتها أمل بهدوء:

التمويل موجود..

منين؟!..

مش مهم التفاصيل.. كل اللى ممكن اقوله دلوقتى ان فيه كيانات كبيرة حول العالم يهمها إسقاط استثمارات Egy- Nergy.. الكيانات دى تواصلنا معاها من فترة طويلة وساعدونا فـ تأسيس الشبكة بتاعتنا فـ كل الدول اللى فيها أنشطة لـ .E. N...

والتقطت نفساً عميقاً ثم استطردت:

- التمويل المفتوح سَهِل لنا حاجات كتيرة منها توفير السلاح والكوادر

المدربة.. بس الأهم من كل دا، سلاحنا الجديد..السلاح الأقوى من الأفراد والمعدات ومن ترسانة Egy- Nergy كلها..

- دا اللى هو إيه؟!!..

تبادلت نظرة سريعة مع محمود، ثم أشارت بسبابتها للسلم الداخلى المؤدى للطابق الأعلى حيث غرف النوم، وهى تقول بحسم:

- الخوف..

-٣٧-

العطش.

عطش حارق رهيب يملأ حلقه الجاف.. كان هذا أول ما ملأ نفسه من أحاسيس.

ببطء فتح عينيه.

النور الباهر يعميه للحظات..

ثم، تدريجياً، بدأ يراهم

ظلالاً كانوا فى بادئ الأمر..

أربعةٌ كان عددهم..

حاول أن يفتح فمه ليخبرهم أنه عطشان، ولكنه لم يستطع.. لسانه كان ثقيلاً كالحجر.

أربعة كان عددهم.

لم تسطع عيناه -أو ما كانتا عينيه، وصارتا خليتين بصريتين- بعد طول إغلاق، وبسبب الضوء الباهر القادم من خلفهم أن تميز أشكالهم ولا أنواعهم.

فقط كانوا أربعة.

وكانوا يحدقون به من أعلى.

حاول مرة أخرى أن يفتح فمه ويقول شيئًا.

لم تخرج منه سوى حشرجة.

ثم تكلم أحدهم.

أحد الأربعة.

مس الصوت الأنثوى الهامس أذنيه مساً:

(صوت أنثوي): حمد الله على السلامة.

نهاية الجزء الأول

فكـرة اسـتخلاص السـيال الحيـوى مـن الأجسـاد المحتـضرة عـن طريـق التعذيـب هـى فكـرة أصيلـة للدكتـور «أحمـد خالـد توفيـق»، وورد ذكرهـا فى روايتـى كليمنجـارو والظاهـرة.

شكر مستحق ل سارة البدرى

أعمال أخرى للكاتب

تحت الأرض (رواية) عن دار دَوِن، عام ٢٠١١

أنين (رواية) عن دار كيان، عام ٢٠١٢

برهة من الصمت قضاها آدم المصرى جالساً خلف مكتبه.
الضوء الخافت القادم من قمرٍ شاحب تناوبت عليه الغيوم، لم يفلح فى اختراق طبقات الظلام داخل القاعة التى تعمد صاحبها إطفاء أضواءها الذاتية.
برهة من الصمت، تنهد بعدها، ونقر بعض الأزرار المتراصة أمامه على لوحة المفاتيح بمكتبه.
رفع عينيه إلى الهولوجرام الذى تشكل أمامه فى الفراغ..
رمق الوجه (الذى طمست الظلال أغلب ملامحه) بنظرة طويلة، شعر خلالها بالعينين الثاقبتين، من تحت الظلال، تنفذان إلى أغواره.
قال لصاحب الهولوجرام بصوت يموج بالقلق:
يظهر ان الأحداث هتستدعى ظهورك من جديد يا سيد أدهم.

بتكتب رواية أو قصص أو مقال
بالفصحى، بالعامية أو حتى بالأنجليزى
بتحب تكتب ، أو تعرف حد بيحب يكتب ،كلمنا
هنعمل كل اللى نقدر عليه عشان نساعدك تحقق حلمك
وتكون كاتب معروف
لأن فى كيان ، للإبداع مكان

اتصل بينا على
محمول: 01005248794 - 01001872290 - 01000405450
أرضي: 0235688678
www.kayanpublishing.com

وابعتلنا على
info@kayanpublishing.com
kayanpub@gmail.com

وتابعنا

kayanpublishing kayan.publish

kayanpublishing kayan_publishing

عالم أفضل - الميلاد

فى مستقبل قريب مظلم، تنضب موارد الطاقة التقليدية من نفط وغاز طبيعى وخلافه، وتعجز الطاقة المتجددة عن سد الحاجة العالمية المتزايدة للطاقة.. تصبح الكرة فى ملعب Egy - Nergy .. الشركة العملاقة، عابرة القارات، المتخصصة فى استخلاص الطاقة النفسية من الأجساد البشرية (عن طريق تعذيبها حتى الموت) ثم تحويلها لطاقة كهربية..

بعد ما يقرب من ربع القرن من الاستقرار والسيطرة على سوق الطاقة.. تنفجر الأحداث مجدداً مع هروب أحد ضحايا الشركة من داخل ماكينات التعذيب، وقد اكتسب قدرات غير طبيعية جعلت منه سلاحاً رهيباً، تصارع الشركة من جهة، وخصومها من الجهة الأخرى، للوصول إليه أولاً..

من أجل عالم أفضل، يتقاتل الجميع لفرض قواعده، كل وفقاً لرؤيته.. تراق الدماء بلا حساب، وتشتعل الحرب من جديد..

9 789776 376687